الجمهورية العربية المتحدة

اخترنا لك - ٨٧

تاريخ بني اسرائيل

من اسفارهم

بقلم
محمد عزة دروزه

الجزء الثالث

إخترنا لك ٨٧

تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم

بقلم

محمد عزه دروزة

الجزء الثالث

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

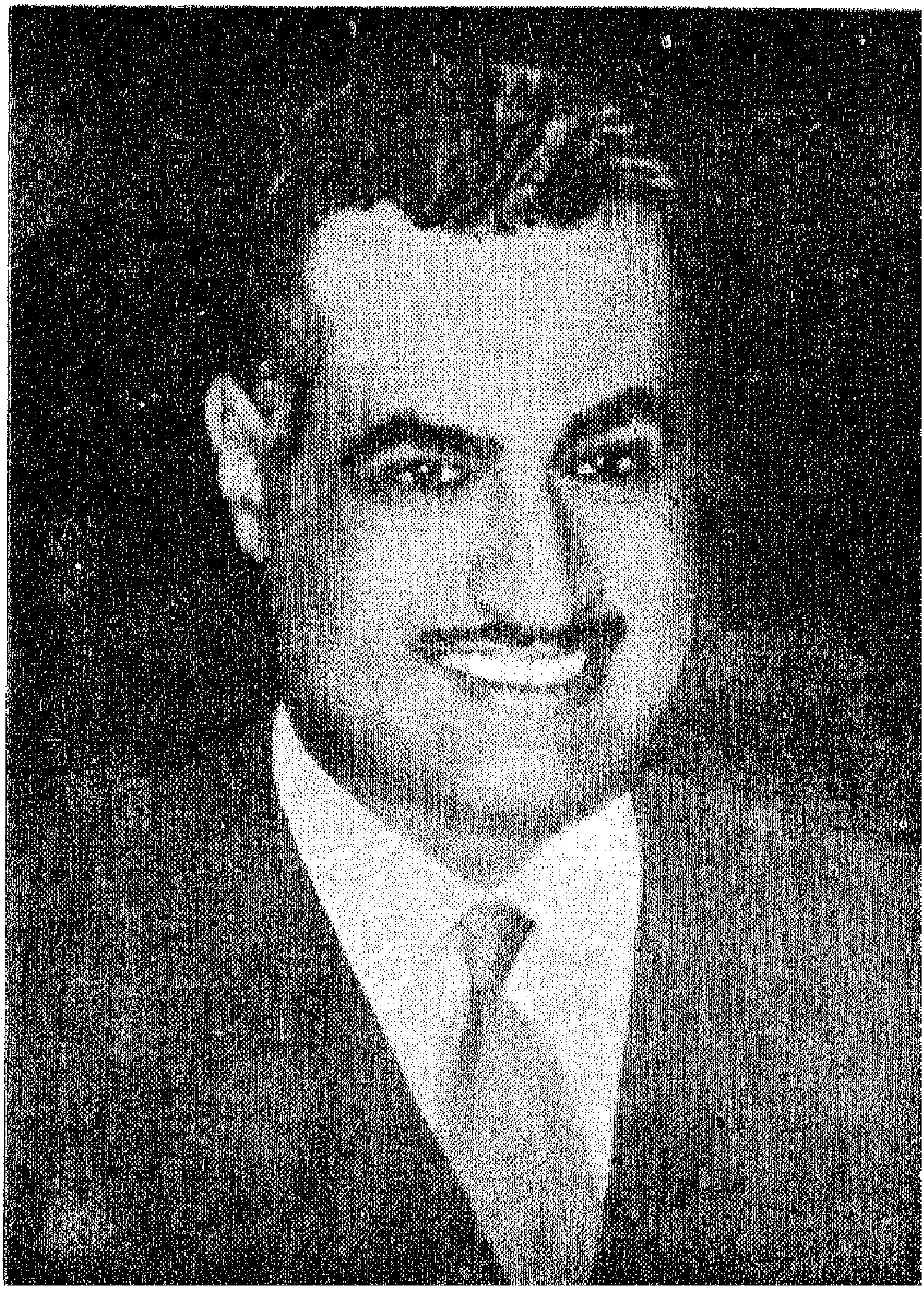

الرئيس جمال عبد الناصر

تاريخ بنى اسرائيل بعد السبى الى دور المكابيين

- ١ -

والآن نأتى الى تاريخ بنى اسرائيل بعـــد سبى أورشليم وتدميرها •

وفى آخر اصحاحات سفر الملوك الثانى نبذة تحتوى ما جرى عقب هذا التدمير • وفى سفر أرميا فصول عديدة فيها بيانات أوفى فى صدد ذلك لان أرميا شهد حادث التدمير وعاش بعده أمدا ، فى فلسطين ومصر • ثم هناك أسفار عديدة منسوبة الى أشخاص عاشوا فى حقبة السبى وبعدها واحتوت أشياء كثيرة عنها • وهى أسفار عزرا ونحميا واستير وحزقيال ودانيال ويوئيل وحجـــى وزكريا ويهوديت وطوبيا وباروك والمكابيين • والاربعة الاخيرة هى من زوائد النسخة الكاثوليكية •

وأسفار عزرا ونحميا واستير ويهوديت وطوبيا تغلب عليهـا السمة التاريخية دون البقية التى هى رؤى وتنبؤات وتجليـات وتنديدات بما كانت عليه حالة اليهود فى هذه الحقبة وقبلها وما

كان من غضب الله عليهم وضربهم وتشتيتهم ، ومواعظ وبشارات لهم بالعودة واستئناف الحياة ثانية فى أرض كنعان ، وتقريعات للامم الاخرى التى كانت تغزو وتزعج دولتى يهوذا واسرائيل واليهود عامة وتسيطر عليهم وتستعبدهم وتذلهم وتذكيرات بما حل بها من دمار وبلاء مما ينسحب عليه ما قلناه قبل من التناقض مع منطق الاسفار والروح التعصبية الضيقة وما بعثته العودة من السبى فى نفوس بنى اسرائيل من آمال وجددته من آلام وأحقاد وفى خلال ذلك بعض بيانات وصور قوية عن حالة اليهود فى حقبة السبى وما بعده والمتبادر ان ما جاء فى هذه الاسفار عن حالة بنى اسرائيل وتاريخهم قبل السبى مستمد من أسفار اخرى، وفيها تطابق لما جاء فى أسفار اخبار الايام والملوك . وسنورد العبارة اذا اقتضى الامر بصيغتها الواردة فى النسخة الكاثوليكية كما فعلنا قبل لأنها كما قلنا أقوى تمثيلا وأشد صلة للزمن الذى تذكر أحداثه وتعطى صوره .

ولقد جاء فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الملوك الثانى ـ الرابع وهو آخر اصحاحاته أن نبوخذنصر ولى على من بقى من شعب يهوذا جدليا بن أحقيان بن شافان ـ وهو من بنى اسرائيل ـ وأن رؤساء الجيوش وهم اسماعيل بن تتنيا ويوحانان ابن قاريح وسرايا بن تنحومت النطوفى ويازنيا بن المعكى لما سمعوا بذلك أتوا مع رجالهم الى جدليا فى المصفاة ـ موقع فى

غور أريحا ـ فحلف هذا لهم وقال لاتخافوا من عبودية الكلدانيين • اسكنوا الارض وتعبدوا لملك بابل فيكون لكم خير ، وأنه فى الشهر السابع جاء اسماعيل بن تنيا بن أليشاماع من النسل الملكي وعشرة رجال معه وضربوا جدليا فمات وضربوا اليهود والكلدانيين الذين معه فى المصفاة فقام جميع الشعب من الصغير الى الكبير ورؤساء الجيوش وأتوا مصر لانهم خافوا من الكلدانيين •

ولقد جاء فى الاصحاح الاربعين من سفر أرميا ان جدليا قال لرؤساء الجيوش المذكورة أسماؤهم ولرجالهم انى ساكن فى المصفاة (١) لأقف أمام الكلدانيين الذين يأتون الينا • أما انتم فاستغلوا الخمر والحصيد والزيت وأوعوها فى آنيتكم واسكنوا فى مدنكم التى أخذتموها • وكذلك جميع اليهود الذين فى مؤاب وبين بنى عمون وفى أدوم والذين فى كل الأراضى ، لما سمعوا تولية جدليا رجعوا من جميع الاماكن التى دحروا اليها وأتوا الى أرض يهوذا وأخذوا يستغلون من الخمر والحصيد شيئا كثيرا • وجاء يوحانان بن قاريح وجميع رؤساء الجيوش الذين فى الصحراء الى جدليا وقالوا له ان بعليس ملك بنى عمون أرسل اسماعيل بن تننيا وطلب منه يوحانان أن يأذن له بقتله قائلا : لماذا

---

(١) المصفاة هى المكان الذى يقال له اليوم شعفاط فى ضواحى القدس على ما ذكره المطران الدبس ؛

يقتلك فيتبدد جميع اليهود المجتمعين اليك وتهلك بقية يهوذا فأبى ولم يصدق وقال ليوحانان انك تتكلم على اسماعيل افتراء • ولكن اسماعيل جاء فى الشهر السابع مع عشرة رجال الى جدليا فى المصفاة وأكلوا على مائدته ثم ضربوه وقتلوه على ما جاء فى الاصحاح الحادى والاربعين وقتلوا جميع اليهود والكلدانيين الذين كانوا معه ، وفى طريقهم صادفوا ثمانين رجلا محلقى اللحى ممزقى الثياب وهم مخدشون وبأيديهم تقدمة ولبان ليقربوها الى بيت الرب فذبحهم وألقاهم فى وسط جب • وكان بينهم عشرة رجال قالوا لاسماعيل لا تقتلنا فان لنا كنوزا فى الصحراء من حنطة وشعير وزيت وعسل فاستبقاهم • وسبى اسماعيل جميع بقية الشعب الذين فى المصفاة وبنات الملك الذين وكلهم نبوز ردان رئيس شرط بابل الى جدليا وانطلق عابرا الى بنى عمون • وسمع يوحانان وجميع رؤساء الجيوش بكل الشر الذى صنعه اسماعيل فأخذوا جميع الرجال وانطلقوا ليقاتلوه ولكنه استطاع أن يفلت منهم واضطر الى التخلى عن المسبيين فأخذ يوحانان وجميع رؤساء الجيوش الذين معه ، كل بقية شعب المصفاة الذين استردهم من اسماعيل واتجهوا صوب مصر فرارا من وجه الكلدانيين لانهم خافوا منهم بسبب قتل اسماعيل لجدليا.

ويقول الاصحاح الثانى والاربعون انهم تقدموا لارميا ليصلى الى الرب لأجلهم ووعدوه بفعل كل مايأمرهم به بلسان الرب •

فوعدهم بالصلاة • وبعد عشرة ايام دعاهم وقال لهم ان الرب يقول ان سكنتم فى هذه الأرض فانا أبنيكم ولا أنقض وأغرسكم ولا أقلع لانى قد ندمت على الشر الذى صنعته بكم • لا تخافوا من ملك بابل فانى معكم لاخلصكم وانقذكم من يده • وان قلتم لا نسكن فى هذه الارض ولم تسمعوا لصوت الرب وثبتم وجوهكم لتذهبوا الى مصر فالسيف الذى تخافون منه يدرككم هناك والجوع الذى تخشونه يتعقبكم وهناك تموتون • ولا يبقى لمن يفعل ذلك شريد ولا مفلت وكما انصب غضبى وسخطى على سكان أورشليم ينصب سخطى عليكم اذا ذهبتم الى مصر فتكونون سبة ودهشا ولعنة وعارا ولا ترون هذا الموضع بعد ؛ هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل •

ويقول الاصحاح الثالث والاربعون ان عزريا بن هوشعيا ويوحانان وجميع الرجال العتاة قالوا بعد ما فرغ من خطابه انك تكلمت افتراء على الرب وان باروك بن نيريا يغريك بنا لنجعل فى أيدى الكلدانيين ونقتل ونجلى الى بابل • وأخذوا كل بقية يهوذا الرجال والنساء والأطفال وبنات الملك وانطلقوا الى مصر وانتهوا الى تحفيس احدى مدن مصر على ما يستفاد من سياق الكلام ولعلها من مدن الدلتا — ويظهر أن أرميا ذهب معهم لان الاصحاح يقول ان الرب أمر أرميا فى تحفيس بان يأخذ حجارة كبيرة ويطمرها فى موضع التلبين عند مدخل بيت فرعون بتحفيس

على عيون رجال من اليهود ويقول لهم هكذا قال الرب هأنـذا أرسل وآخذ نبوخذنصر ملك بابل عبدى وأجعل عرشه فوق هذه الحجارة ويبسط ديباجه فوقها فيقبل ويضرب أرض مصر فيصير الذين للموت الى الموت والذين للسبى الى السبى والذين للسيف الى السيف وأضرم نارا فى بيوت آلهة مصر وهو يحرقها ويسبيها ويلبس أرض مصر كما يلبس الراعى ثوبه ويخـرج من هناك بسلام ويكسر أصنام بيت الشمس التى فى أرض مصر ويحـرق بيوت آلهة مصر بالنار •

وهكذا تشرد جميع سكان يهوذا تشردا شاملا ، والذين نجوا من الموت أجلوا الى بابل والذين لم يجلوا نزحوا الى مصر •

ويظهر أن النازحين الى مصر لم يلبثوا ان انحرفوا الى الديانة المصرية • فقد جاء فى الإصحاح الرابع والاربعين من سفر آرميـا أن أرميا خاطب جميع اليهود الساكنـين فى أرض مصر الذيـن يسكنون مجدول وتحفيس ونوف وأرض فتروس بلسان الرب قائلا : يقول رب الجنود قد رأيتم كل الشر الذى جلبتـه على أورشليم ومدن يهوذا وهى الآن خربة لا ساكن فيها بسبب شرهم الذى صنعوه يسخطوننى اذ ذهبوا ليقطروا ويعبدوا آلهة اخرى • وقد أرسلت اليهم عبيدى الانبياء ، قائلا لا تصنعوا رجسا مثل هذا فانى أمقته فلم يسمعوا فانصب سخطى وغضبى عليهم فلماذا تصنعون هذا الشر العظيم العائد عليكم لينقرض منكم الرجـل

والمرأة والصبى والمرضع ولتسخطونى باعمال ايديكم مقتريـن لآلهة آخرى فى أرض مصر التى آتيتموها لتتغربوا فيها وتنقرضوا وتصيروا لعنة وعارا فى جميع أمم الارض • أنسيتم شرور آبائكم وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائهم ونسائكم التى صنعت فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم فهأنذا أجعل وجهى عليكم للشر ولانقراض جميع يهوذا الذين انطلقـوا الى أرض مصر فيسقطون بالسيف والجوع ويفنون من الصغير الى الكبير ويصيرون سبة ودهشا ولعنة وعارا • فأجاب الرجال العارفين أرميا أن الكلام الذى كلمتنا به باسم الرب لا نسمع لك فيه بل نعمل بحسب كل كلام يخرج من أفواهنا مقترين لملكة السماء وساكبين لها كما عملنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا فى مدن يهـوذا وشوارع أورشليم فشبعنا خبزا وكنا بخير ولم نر شرا • ولكن منذ أهملنا التقتير لملكة السماء صرنا محتاجين الى كل شىء وفنينا بالسيف والجوع • فأجابهم أرميا : ان التقتير الذى فترتمـوه والذى حظره الرب عليكم جعله لا يستطيع الاحتمـال فصارت أرضكم خرابا ودهشا ولعنة لا ساكن فيها كما هى اليوم فاسمعوا كلمة الرب ها أنا قد أقسمت باسمى العظيم أن اسمى لا يذكر من بعد فى فم أحد من يهوذا فى جميع أرض مصر • هأنذا أسـهر عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين فى أرض مصر بالسيف والجوع • انى سأفتقدكم فى هذا الموضع لكى تعلمـوا

أن كلامى عليكم للشر يقوم ، هأنذا أجعل فرعون خفرع ملك مصر فى أيدى أعدائه كما جعلت صدقيا فى يد نبوخذنصر ملك بابل .

- ٢ -

وسفر نبوءة باروك — وهو من زوائد النسخة الكاثوليكية ستة اصحاحات فى اثنتى عشرة صفحة ، ومحتوياته متصلة بحقبة غزو الكلدانيين لاورشليم ، وكاتبه من قافلة المسبيين الأولى من أورشليم الى بابل على ما يستفاد منه . ويقول اصحاحه الأول ان هذا كلام الكتاب الذى كتبه باروك بن نيريابن معسيا بن صدقيا بن حسديا بن حلقيا فى بابل ، فى السنة الخامسة حين أخذ الكلدانيون أورشليم وأحرقوها بالنار وتلاباروك كلام هذا الكتاب على مسامع يكينا بن يوياقيم ملك يهوذا وبنى الملوك والشيوخ وجميع الشعب من الصغار الى الكبار الساكنين فى بابل على نهر سود ، فبكوا وصاموا وصلوا أمام الرب وجمعوا من الفضة قدر ما استطاعت يد كل واحد وبعثوها الى يوياقيم بن حلقيا بن شلوم الكاهن والكهنة والشعب الذين معه فى أورشليم وقالوا انا ارسلنا اليكم فضة فابتاعوا بها محرقات وذبائح للخطيئة

ولبانا واصنعوا تقادم وقدموها على مذبح الرب الهنا وصلوا من أجل حياة نبوخذنصر ملك بابل وحياة بيلشصر ابنه لكى تكون أيامهما كأيام السماء الارض فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونحيا تحت ظل نبوخذنصر ملك بابل وظل بيلشصر ابنه وتتعبد لهما أياما كثيرة ونحن نائلون لديهما حظوة وصلوا من أجلنا الى الرب الهنا فانا قد خطئنا اليه ولم يرتد سخطه وغضبه عنا الى هذا اليوم واتلوا هذا الكتاب الذى أرسلناه اليكم لينادى به فى بيت الرب فى يوم العيد وفى أيام المحفل • وقولوا للرب الهنا العدل ولنا خزى الوجوه كما فى هذا اليوم لرجال يهوذا وسكان أورشليم ولملوكنا ورؤسائنا وكهنتنا وأنبيائنا وآبائنا ، من يوم أخرج الرب آباءنا من أرض مصر الى هذا اليوم ما زلنا نعاصى الرب الهنا ونعرض عن استماع صوته فلحق بنا الشر واللعنة اللذان أمر الرب موسى عبده ان يوعد بهما يوم أخرج آباءنا من أرض مصر ليعطينا أرضا تدر لبنا وعسلا فلم نسمع لصوت الرب الهنا ولا لجميع كلام الانبياء الذين أرسلهم الينا ومضينا كل واحد على اضرار قلبه الشرير عابدين آلهة أخر صانعين الشر أمام عينى الرب الهنا •

وتستمر حكاية كلام بنى اسرائيل لاخوانهم فى أورشليم فى الاصحاح الثانى حيث جاء فيه : فأقام الرب كلامه الذى تكلم به علينا وعلى قضاتنا الذين يقضون فى اسرائيل وعلى ملوكنا

ورؤسائنا وعلى رجال اسرائيل ويهوذا ، جالبا علينا شرا عظيما بحيث لم يحدث تحت السماء بأسرها مثل ما أحدثه فى أورشليم على حسب ما كتب فى شريعة موسى ، حتى أكل بعضنا لحم ابنه والآخر لحم بنته وأخضعهم تحت أيدى جميع الممالك التى حولنا وجعلهم عارا ودهشا فى جميع الشعوب الذين شتتهم الرب بينهم .

ثم يتغير سياق الكلام فى الاصحاح حيث يحكى خطاب الاسرائيليين أصحاب الكلام السابق الى الرب فيعترفون بما كان منهم من خطأ ونفاق واثم ومخالفة لكل رسوم الشريعة ويلتمسون منه الاصغاء لصلاتهم وتضرعهم لينقذهم وينيلهم الحظوة أمام الذين أجلوهم ، ويقولون انهم يرفعون تضرعهم أمام الرب لا لأجل بر آبائهم وملوكهم بل لانه أرسل سخطه وغضبه عليهم وفقا لما تكلم به على السنة عبيده الانبياء حيث قال : احنوا مناكبكم وتعبدوا لملك بابل فتسكنوا فى الارض التى أعطيتها لآبائكم وان لم تسمعوا لصوت الرب بأن تتعبدوا لملك بابل فانى أبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح صوت العروس والعروسة وتكون كل الارض مستوحشة لا ساكن فيها . فلم نسمع لصوتك بأن نتعبد لملك بابل فأقمت كلامك الذى تكلمت به على السنة عبيدك الانبياء أن تخرج عظام ملوكنا وعظام آبائنا من مواضعها

وها انها مطروحة لحر النهار وقرس الليل وقد ماتوا فى أوجاع أليمة بالجوع والسيف والطرد وجعلت البيت الذى دعى باسمك كما فى هذا اليوم لاجل شر آل اسرائيل وآل يهوذا (١) ، وقد عاملتنا أيها الرب بكل رأفتك ورحمتك العظيمة وتكلمت على لسان عبدك موسى يوم أمرته أن يكتب شريعتك قائلا ان لم تسمعوا لصوتى فان هذا الجمع العظيم الكثير يصير نفرا قليلا فى الامم الذين أشتتهم بينهم ، فانى عالم بأنهم لا يسمعون لى لانهم شعب قساة الرقاب لكنهم سيرجعون الى قلوبهم فى أرض جلائهم ويعلمون انى أنا الرب الههم وأعطيهم قلوبا وآذانا سامعة فيسجوننى فى أرض جلائهم ويذكرون اسمى ويتوبون عن صلابة رقابهم وشر أعمالهم لانهم يتذكرون طريق آبائهم الذين خطئوا أمام الرب وأعيدهم الى الارض التى خلقت عليها آباءهم . وأقيم لهم عهدا أبديا فأكون لهم الها ويكونون لى شعبا ولا أعود أزعزع شعبى اسرائيل من الارض التى أعطيتها لهم .

والمتبادر أن العبارة الاخيرة متأثرة بما كان من واقع العودة وما أثارته فى نفوس بنى اسرائيل من آمال . ولا سيما أن هذا

---

(١) هذا الكلام فى معرض التذكير بما كان من غزوة نبوخذنصر الاولى وخضوع ملك يهوذا له ثم تمرده المرة بعد المرة حتى جعله يأتى ويدمر أورشليم كما هو

العهد الابدى الذى ذكره الاصحاح باسم الرب قد انتقض بما كان من تدمير أورشليم تدميرا شاملا أكثر من تدمير نبوخذنصر وتشريد من كان فيها من بقايا اليهود من قبل الرومان على ما سوف نشرحه بعد •

وفى اصحاحات السفر الثالث والرابع والخامس تضرعات وصلوات للرب وهتاف له بالاصغاء اليهم ورحمتهم وعدم ذكر آثام آبائهم • ودعوة الى التوبة واتباع شريعة الرب ، وبشرى برحمة الله وتيسير العودة الى أورشليم ، وهتاف لهذه المدينة بأن تخلع حلة النوح والمذلة وتلبس بهاء المجد وتستقبل أبناءها العائدين الذين ذهبوا عنها راجلين يسوقهم الاعداء ثم يعيدهم الله راكبين بكرامة كمن هو على عرش الملك •

والمتبادر كذلك أن هذا متأثر بما كان من واقع العودة وآثارها •

أما الاصحاح السادس فانه نسخة الرسالة التى أرسلها أرميا الى الذين كان ملك بابل مزمعا أن يسوقهم فى الجلاء الى بابل يخبرهم بما أمره الله به ، مما يبدو أنه لا صلة بينه وبين السفر لان باروك كان فى الجلاء بينما هذه الرسالة موجهة الى بنى اسرائيل فى أرض يهوذا قبيل الجلاء ، الا أنه من المحتمل أن يكون باروك نفسه هو الذى ألحقها بما كتبه وسجله •

والرسالة طويلة استغرقت أربع صفحات ، وفيها تذكير بما كان من آثام بنى اسرائيل وعقوبة الرب عليها باجلائهم الى بابل ودعوة الى عبادة الله وحده وتحذير من السجود لآلهة البابليين الذهبية والفضية والخشبية وعدم الخوف من أبهتها وما تثيره زخارفها وملابسها وصناعتها وما فى أيديها من سيوف وصولجانات وما لها من كهان وهياكل ، فهى لا تستطيع أن تفعل شيئا ولا تملك لاحد نفعا ولا ضرا ولا نجاة ولا حماية ولا نصرا بل ولا تستطيع أن تحمى نفسها من سرقة اللصوص وأخذهم ما عليها من ثياب وحلى الخ ، وكل هذا بعبارة قوية متنوعة الصياغة .

- ٣ -

وسفر دانيال أربعة عشر اصحاحا فى خمس وثلاثين صفحة وبعض مقاطع من بعض اصحاحاتها مفقودة على ماتذكرهالنسخة الكاثوليكية .

ويستفاد منه أن صاحبه من انبياء بنى اسرائيل وانه كان فى قافلة المسبيين التى سباها نبوخذنصر الى بابل مع الملك يوياكين أو يوياقيم أى قبل تدمير أورشليم النهائى وانه ظل فى المنفى الى

عهد كورش وداريوس بن أحشو بريش على ما جاء فى اصحاحه الاول .

وقد احتوى هذا السفر قصصا كثيرة فيما جرى له مع نبوخذنصر وبيلشصر ملكى بابل الكلدانيين وداريوس بن أحشو بريش المادى وكورش الفارسى وما تعرض له مع بعض رفاقه من بلاء وامتحانات بسبب امتناعهم عن السجود لغير الله رغم أمر الملك وما كان من عناية الله بهم وانقاذهم من النار التى ألقوا فيها والاسود التى طرحوا فى جبها عقوبة لهم وما كان من تأثير ذلك فى الملوك وحظوته عندهم وما كان من رؤى رآها فى مصير المملكة الكلدانية وقيام الدولة الفارسية المادية وما كان من رؤى رآها الملوك وفسرها لهم بعد أن عجز المعبرون عن ذلك الخ .. وفى ما احتواه من ذلك كثير من الخيال والمفارقات والخلط التاريخى ، مثل جعل داريوس هو الذى قتل آخر ملوك الكلدانيين واستولى على مملكته ونعته بالمادى وجعل كورش يأتى بعده ونعته بالمادى، حيث يسوغ ذلك كله أن يكون السفر مما كتب مؤخرا من مذكرات أو ذكريات أو قصص معزوة الى دانيال وليس فيها مع ذلك شيء ذو بال مما يتصل بتاريخ اليهود وحالتهم . غير أن الاصحاح التاسع من السفر احتوى تضرعات ودعوات لدانيال موجهة للرب لانقاذ شعبه وحكاية ظهور جبريل له مبشرا مشجعا مطمئنا معلما .

وقد احتوى الاصحاح وصفا لآثام بنى اسرائيل التى سببت لهم السبى والخزى .

وجاء فيه فيما جاء فى سياق ابتهالات دانيال وتضرعاته : أيها السيد الاله العظيم الرهيب ، حافظ العهد والرحمة للذين يحبونك ويحفظون وصاياك . انا خطئنا وأثمنا ونافقنا وتمردنا وزغنا عن وصاياك وأحكامك . ولم نسمع لعبيدك الانبياء الذين كلموا باسمك ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وجميع شعب الارض . لك أيها السيد العدل ولنا خزى الوجوه كما فى هذا اليوم لرجال يهوذا وسكان أورشليم ولجميع اسرائيل لدانيهم وقاصيهم فى جميع الاراضى التى دحرتهم اليها لاجل تعديهم الذى تعدوا عليك وللسيد الهنا الرحمة والمغفرة لانا تمردنا عليه . فتعدى جميع اسرائيل شريعتك وزاغوا غير سامعين لصوتك فانصبت علينا اللعنة والحلف المكتوب فى توراة موسى عبد الله لاننا خطئنا اليه . فأقام كلامه الذى تكلم به علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا بيننا جالبا علينا شرا عظيما بحيث لم يحدث تحت السماء بأسرها مثل ما حدث فى أورشليم . وكما كتب فى شريعة موسى حل علينا جميع هذا الشر ونحن لم نستعطف وجه الرب الهنا تائبين عن آثامنا وفاهمين حقك . فسهر الرب على الشر وجلبه علينا لان الرب الهنا عادل فى جميع أعماله التى عملها

ونحن لم نسمع لصوته • والآن أيها السيد الهنا الذى أخـرج شعبه من أرض مصر بيد قديرة وأقام له اسما • أيها السـيد لينصرف غضبك وحنقك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك فانه لخطايانا وآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا • فالآن اسمع يا الهنا صلاة عبدك وتضرعاته وانظر أخربتنا والمدينة التى دعى اسمك عليها فانا لسنا لاجل برنا نلقى تضرعاتنا أمامك بل لاجل مراحمك الكثيرة • أيها السيد اسمع • أيها السيد اغفر • أيها السيد اصغ واصنع ••

- ٤ -

وسفر حزقيال ثمانية وأربعون اصحاحا فى أربع وثمانين صفحة • ويستفاد منه أنه هو الآخر من أنبياء بنى اسرائيل وأنه كان من المسبيين ، وكان يقيم عند نهر خابور •

وقد احتوى سفره قصصا عديدة عن تجـلى الله وملاكه له ورؤى عديدة رآها فى حالة ومصير بنى اسرائيل وغيرهم مـن الامم ، وفى وصف ما كانت عليه حالة بنى اسرائيل قبل السبى وفى أثنائه ، وفى ارساله من قبل الرب الى بنى اسرائيل فى الجلاء منذرا وواعظا ومنددا بما ظلوا عليه من انحراف وقسـوة قلب

وتمرد وعصيان وفيه مواعظ وأمثال ونصائح دينية وخلقية واجتماعية •

ومما جاء فى اصحاحه الثانى : أن الرب قال له يا ابن البشر انى مرسلك الى بنى اسرائيل الذين تمردوا على وعصونى هم وآباؤهم الى هذا اليوم • انى مرسلك الى البنين الصلاب الوجوه القساة القلوب فتقول لهم هكذا قال الرب لعلهم يسمعون ويكفون ويعلمون أن بينهم نبيا •

ومما جاء فى اصحاحه الثالث أن الرب قال له يا بن البشر انطلق الى آل اسرائيل وكلمهم بكلامى ، لست مرسلا اياك الى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان بل الى آل اسرائيل ولو أنى أرسلتك الى غيرهم لسمعوا لك ولكن آل اسرائيل يأبون أن يسمعوا • ثم رفعنى الروح وذهب بى الجهلاء الى الساكنين على نهر كبار، ثم كلمنى الرب قائلا انى جعلتك رقيبا عليهم فاسمع كلمتى وأنذرهم عنى اذا قلت للمنافق انك تموت موتا ولم تنذره فانه يموت فى اثمه ولكنى من يدك أطلب دمه • أما اذا أنذرته ولم يتب من نفاقه ومن طريقه الشرير فهو يموت فى اثمه ولكنك تكون قد خلصت نفسك •

ومما جاء فى اصحاحه الخامس : هكذا قال السيد الرب هذه أورشليم قد جعلتها وسط الامم ومن حولها الارض •

ونصت أحكامى بنفاقها أكثر من الامم ورسومى أكثر من الاراضى التى من حولها . نبذوا أحكامى ولم يسلكوا رسومى لذلك هكذا قال الرب بما أنكم تذمرتم أكثر من الامم التى من حولكم ولم تسلكوا فى رسومى ولم تعملوا حسب أحكامى فها أنذا عليك وسأجرى أحكاما فى وسطك أمام عيون الامم وأفعل بك ما لم أفعله وما لا أعود أفعل مثله لاجل جميع أرجاسك . فالآباء يأكلون البنين فى وسطك والبنون يأكلون آباءهم ، وأجرى فيك أحكاما ، وأذرى جميع بقيتك لكل ريح بما أنك نجست مقدسى بجميع ممقوتاتك وجميع أرجاسك فأنا أيضا أقطع ولا ترثى عينى ولا أشفق . فقلت يموتون بالوباء ويفنون بالجوع فى وسطك وثلث يسقطون بالسيف من حولك وثلث أذريهم لكل ريح واستل السيف وراءهم فيتم غضبى وأريح حنقى منهم وأتعزى . وأجعلك خرابا وعارا ولعنة وعبرة ودهشا للامم التى من حولك .

وفى اصحاحاته من السابع الى السابع عشر رؤيا رآها حزقيال تجلى فيها الرب له وأراه ما كان ارتكس فيه بنواسرائيل من الوثنية والرجاسات فى المعبد وفى الخلوات مما كان السبب فى ثوران غضب الله وسخطه عليهم وما كان من تسليطه ملك بابل عليهم وجعله يوغل فيهم تدميرا وفتكا ونهبا وسبيا .

ثم احتوى الاصحاح الثامن عشر كلاما بمثابة التعقيب جاء فيه فيما جاء ما بالكم تتمثلون بالمثل قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان البنين ضرست • ان جميع النفوس هى لى • النفس التي تخطىء هى التى تموت • فالانسان اذا كان صديقاوأجرى الحكم والعدل ولم يأكل على الجبال ولم يرفع طرفه الى أصنام آل اسرائيل ولم ينجس امرأة قريبة ولم يدن من امـرأة طامث ولم يعسف أحدا ورد على المديون رهنه ولم يختلس خلسـة وأعطى خبزه للجائع وكسا العريان ثوبا ولم يعط بالربى ولـم يأخذ ربحا وكف يده عن الاثم وأجرى قضاء الحق بين الانسان والانسان وسلك فى رسومى وحفظ أحكامى عاملا بالحق ، يحيا حياة • فان ولد ابنا لصا سفاكا للدماء يصنع ضد جميع ما ذكر فانه يموت موتا ويكون دمه عليه • فاذا هو ولد ابنا فرأى جميع خطايا أبيه التى صنعها لكنه لم يصنع مثلها فانه لا يمـوت باثم أبيه بل يحيا حياة • اذ ارتد البار عن بره وصنع الاثم وعمـل جميع الارجاس فان جميع البر الذى صنعه لا يذكر وبتعديـه الذى تعدى وخطيئته التى خطىء يموت • ستقولون ان طريق السيد ليس بمستقيم • أليست طرقكم التى هى غير المستقيمـة لذلك أدينكم يا آل اسرائيـل كلّ واحـد عن طـرقه • توبوا واستتيبوا عن معاصيكم فلا يكون الاثم معثرة لكم • انبـذوا

عنكم جميع معاصيكم واصنعوا لكم قلبا جديدا وروحا جديدة فلا تموتون .

ومما جاء فى الاصحاح التاسع عشر :

وأنت فارشد برثاء على رؤساء اسرائيل . وقل كيف أمك اللبوة ربضت بين الاسود وربت جراءها فى وسط الأشبال ، وأعلت واحدا من جرائها فصار شبلا وتعلم افتراس الفريسة وأكل الناس فسمعت به الامم فأخذ فى هوتهم فقادوه ببرة الى أرض مصر فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها أخذت آخر من جرائها وأقامته شبلا فتعلم افتراس الفريسة وأكل الناس وعرف أراملهم وخرب مدائنهم ، فاستوحشت الارض وملئها من صوت زئيره فخرجت عليه الامم بما حوله من البلاد وبسطوا عليه شركهم فأخذ فى هوتهم فجعلوه فى قفص ببرة وأتوا به الى ملك بابل وطرحوه فى الحصون لئلا يسمع صوته من بعد على جبال اسرائيل .

ومما جاء فى الاصحاح العشرين :

أتى رجال من شيوخ اسرائيل ليسألوا الرب فجلسوا أمامى فكانت الى كلمة الرب قائلا عرفهم أرجاس آبائهم وقل لهم قال الرب انى يوم اخترت اسرائيل ورفعت يدى لذرية آل يعقوب

وتعرفهم اليهم فى أرض مصر ورفعت يدى لهم قائلا أنا الرب
الهكم ورفعت يدى لهم على أن أخرجهم من أرض مصر الى
الارض التى ارتدتها لكم التى تدر لبنا وعسلا وهى فخر جميع
الاراضى فقلت لهم انبذوا كل واحد أرجاس عينيه ولا تتنجسوا
بأصنام مصر فتمردوا على وأبوا أن يسمعوا الى فقلت انى أصب
حنقى عليهم وأتم غضبى فيهم فى أرض مصر لكنى عملت لئلا
يتدنس اسمى على عيون الامم الذين هم بينهم فأخرجتهم وأتيت
بهم الى البرية وأعطيتهم رسومى وأعلمتهم أحكامى لكنهم
تمردوا على فى البرية فلم يسلكوا فى رسومى ورفضوا أحكامى
ودنسوا سبوتى فقلت انى أصب حنقى عليهم فى البرية لكنى
عملت لاجل اسمى لئلا يتدنس على عيون الامم وأشفقت عينى
عليهم من التدمير فلم أفنهم فى البرية فقلت لبنيهم فيها لا
تسلكوا فى رسوم آبائكم ولا تحفظوا أحكامهم ولا تتنجسوا
بأصنامهم لكن البنين تمردوا على ولم يسلكوا فى رسومى
وأحكامى ودنسوا سبوتى فقلت انى أصب حنقى عليهم لاتم
غضبى عليهم فى البرية لكنى رددت يدى وعملت لاجل اسمى
ورفعت يدى لهم فى البرية على أن أشتتهم بين الامم وأذريهم فى
الاراضى لانهم لم يعملوا بأحكامى ورفضوا رسومى ودنسوا
سبوتى وما كانت عيونهم وراء أصنام آبائهم • لذلك قل لبنى

اسرائيل أتكونون تتنجسون بطـريق آبائكم وتزنون باتبـاع أرجاسهم وبتقديم عطاياكم واجازة بينكم فى النار وتتنجسـون مع جميع أصنامكم الى اليوم وأجيب عن سؤالكم يا آل اسرائيل حى أنا • يقول السيد الرب لا أجيبن عن سؤالكم وما خطر على قلوبكم لا يكون البتة •

ومما جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين :

يا ابن البشر اجعل وجهك الى أورشليم وأفض نحو مقدسهم وتنبأ نحو أرض اسرائيل وقل لها هكذا قال الرب هأنـذا أجرد سيفى من غمده وأقرض منك الصديق والمنافق • وأنت أيهـا النجس المنافق رئيس اسرائيل الذى أتى يومه عنـد بلوغ الاثم غايته انى أنزع العمامة وأرفع التاج وأجعل انقلابا على انقلاب •

ومما جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين :

وأنت يا ابن البشر هلا تدين مدينة الدماء وتعلمها بجميـع أرجاسها • قل أيتها المدينة التى تسفك الدم فى وسطها ليـأتى وقتها وتضر نفسها بصنع أصنام تتنجس بها • لقد أثمت بدمك الذى سفكته وتنجست بأصنامك التى صـنعتها فأدنيت أيامك أيامك ولذلك قد جعلتك عارا للامم وسخرة لجميـع الاراضى الدانيات منك والقاصيات عنك يسخرن منك أيتها المنجسـة

الاسم الكثيرة الهرج ، فيك أهانوا أبا وأما وفى وسطك عاملوا القريب بالجور وفيك اعسفوا اليتيم والارملة، لقدازدريت أقداسى ودنست سبوتى رجال نميمة كانوا فيك لسفك الدم وفيك أكلوا على الجبال وفى وسطك صنعوا الفجور • فيك من كشف سوءة أبيه وفيك أذلت المتنجسة بطمثها • واحد صنع مع امرأة قريبة ما هو رجس وواحد نجس كنته بفجور • وواحد أذل فيك أخته بنت أبيه • فيك أخذت الرشوة لسفك الدم • وأنت أخذت الربا والربح وجرت على قريبك بالسحت ونسيتنى • فهأنذا ضربت كفى على سحتك الذى اتخذته وعلى الدم المسفوك فى وسطك • فهل يثبت قلبك أو تقوى يداك أيام أجرى معك أمرى أنا الرب تكلمت وسأفعل • أشتتك بين الامم وأذريك فى الاراضى فتعلمن انى أنا الرب • يا بن البشر ان آل اسرائيل قد صاروا لدى خبثا فجميعهم نحاس وقصدير وحديد ورصاص فى الكور وهم خبث فضة • لذلك قال الرب هأنذا أجمعكم فى وسط أورشليم فى غضبى وحنقى وأدعكم هناك وأنفخ عليكم نار وغرى • فتعلمون أنى أنا الرب صببت حنقى عليكم • يا بن البشر قل لها انك أرض غير مطهرة لم تمطر فى يوم السخط • فى داخلها فتنة أنبيائها كأسد زائر مفترس فريسة قدالتهموا النفوس وأخذوا المال والنفيس وكثروا الأرامل فى وسطها • كهنتها تعدوا

شريعتى ودنسوا أقداسى ولم يميزوا بين المقدس والمدنس ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر وحجبوا عيونهم عن سبوتى فتدنست فى وسطهم • رؤساؤها فى وسطها كالذئاب المفترسة الفريسة سافكين الدم مهلكين النفوس لكى يكسبوا سحتـا وأنبياؤها طينوا لهم بردىء الملاط برؤياهم الباطل وعرافتهم لهم بالكذب قائلين هكذا قال الرب والرب لم يتكلم • جـاروا جورا على شعب الارض واختلسوا خلسة وأعسفوا البـائس والمسكين وجاروا على الغريب بغير حق • وقد طلبت من بينهم رجلا يشيد جدارا ويقف على الثلمة أمامى مدافعا عن الارض لكى لا أدمرها فلم أجد • فصببت عليهم سخطى وأفنيتهم بنار وغرى وجعلت طريقهم على روسهم •

وفى الاصحاحين الثالث والعشرين والرابع والعشرين اشارة الى ما كان من تسلط أشور وبابل على دولتى يهوذا واسرائيـل بسبب ما كان منهما من انحراف وما كان من تدميرهما بأسلوب آخر فيه تكرار للمعانى السابقة •

وفى الاصـحاحات الخامس والعشرين والسادس والعشرين والسابع والعشرين والثـامن والعشرين والتاسـع والعشرين والثلاثين والحادى والثلاثين والثانى والثلاثين والخامس والثلاثين خطاب لحزقيال بوصفه ابن البشر يأمره بأن يجعل وجهه نحـو

بنى عمون وصور وفرعون مصر وجبل سعير والادوميين والفلسطينيين ويتنبأ بما سوف يحل فيهم من خراب ونكال وذل لانهم تشامخوا واستكبروا ومنهم من أظهر الشماتة ببنى اسرائيل لما حل بهم من بلاء وشتات وحل بأرضهم من خراب وتدمير ، مما فيه مناقضة لما ذكرته الاصحاحات السابقة • ومما نرجح أنه من جهة ترديد لما حل فعلا فى هذه الاقوام وبلادها من غزو نبوخذنصر ونكاله وسيطرته به ، ومن جهة نتيجة لما بعثته عودة بنى اسرائيل فى نفوسهم من آمال وأحقاد على ماذكرناه قبل •

وفى الاصحاح الثالث والثلاثين عود على بدء فى صدد التنديد باليهود وحالتهم قبل السبى وانذار المسبيين ووعظهم به وغالبه تكرار لعبارة الاصحاح الثامن عشر • وفيه الى هذا عبارة تفيد أنه كان يأتى الى بلاد الكلدانيين أحيانا أشخاص من الذين بقوا فى أورشليم حيث جاء فيه : فى السنة الثانية عشرة من جلائنا أتى الى المفلت من أورشليم قائلا قد ضربت المدينة ، مما يمكن أن يفيد أن حركة تمردية قامت فيها فقمعها الوالى بضربة شديدة•ويقول الاصحاح بعد هذه العبارة بلسان حزقيال: وقد كانت على يد الرب فى المساء قبل أن أتى المفلت وفتح الرب فمى وكانت كلمته لى يا بن البشر ان سكان تلك الاخربة فى أرض اسرائيل يتكلمون قائلين كان ابراهيم واحدا وورث الارض

ونحن كثيرون فقد أعطيت الارض لنا ميراثا • فقل لهم انكم تأكلون بدم وترفعون طرفكم الى أصنامكم وتسفكون الدم ، أفترثون الارض ؟ انكم اعتمدتم على سيوفكم وصنعتم الرجس ونجستم كل رجل امرأة قريبة أفترثون الارض ؟ قل لهم قال السيد الرب ان الذين فى الاخربة يستعلون فى السبق والذى على وجه الصحراء جعلته مأكلا للوحش والذين فى الحصون والمغاور يموتون بالوباء • وأجعل الارض خربة ومستوحشة وأنسخ كبرياء عزتها فتصير جبال اسرائيل لا عابر فيها (١) •

وأنت يا ابن البشر ان بنى شعبى يتقاولون عليك بجانب الجدران وفى أبواب البيوت ويتكلم الواحد مع الآخر والرجل مع أخيه قائلا :

هلموا فاسمعوا الكلمة الخارجة من لدن الرب •ويدخلون اليك ويجلسون أمام كويسمعون كلامك لكنهم لا يعملون به لانهم بأفواههم يبدون حبا لكن قلوبهم تتبع السحت (٢) •

وفى الاصحاحات الرابع والثلاثين ثم السادس والثلاثين الى الثامن والاربعين وهو آخرها تنبؤات ورؤى فيها بشارات بالعودة والبعث ومواعظ بما يجب أن يسير عليه بنو اسرائيل

(١) فى العبارة صورة لما كانت عليه فلسطين من خراب وتدمير كما هو المبادر.

(٢) الكلام يعنى اليهود المسبيين كما هو المتبادر.

حيث يتم ذلك سواء فى صدر الهيكل والطقوس أو السيرة والسلوك وتوزيع البلاد على الاسباط الخ الخ .. مما فيه تناقض عجيب مع ما سبقهما من الاصحاحات التي تستبعد أن يرثوا الارض مع ما كان منهم من انحرافات شديدة خلقية ودينية . ومما نرى أنه هو الآخر نتيجة لما بعثته عودة بنى اسرائيل فيهم من آمال .

وسفر يوئيل ثلاثة اصحاحات فى خمس صفحات . ولايعرف منه ما اذا كان صاحبه من المسبيين أم كان من جملة من بقى فى فلسطين . واصحاحاته تتضمن هتافات لبنى اسرائيل بالتوبة والندم وبشرى العودة من السبى . وفى بعضها تقريع بصور وصيدون وبقية بقاع فلسطين ومصر وأدوم وانذار لهم بسوء المصير لانهم أخذوا فضة الرب وذهبه . وأدخلوا نفائسه الفاخرة الى هياكله وباعوا بنى يهوذا وبنى أورشليم لبنى الياوانيين ليقصوهم الى تخمهم وأعسفوا بنى يهوذا وسفكوا الدم الزكى فى أراضيهم ، مما فيه هو الآخر أثر من آثار ما بعثته عودة بنى اسرائيل فيهم من آمال وأحقاد .

- ٦ -

وسفر عزرا يقص قصة عودة بعض المسبيين من بابل الى

أورشليم فى زمن الملك كورش وما جـــرى معهم • وهو عشر اصحاحات فى ثمانى عشيرة صفحة • ويبدو أن فيه حقائق تاريخية كثيرة مشوبة مع ذلك بكثير من الخيال والمفارقات •

وقد جاء فى اصحاحه الاول أن الرب نبه روح كورش ملك فارس فأطلق نداء فى مملكته كلها قائلا ان الرب اله السـموات أعطانى جميع ممالك الارض وأوصانى بأن أبنى له بيتا فى أورشليم التى بيهوذا فمن كان منكم من شعبه فليصعد الى أورشليـم ويبنى بيت الرب اله اسرائيل • وكل من بقى فى أحد المواضـع حيث هو متغرب فليمدده أهل موضعه بالفضة والذهـب والمال والبهائم فضلا عما يتطوعون به لبيت الله الذى فى أورشليم • فقام رؤساء آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله وروحه ليصعدوا لبناء البيت فى أورشليم وأمدهم من كان حولهم بآنية من الفضة وبالذهب والمال والبهائم وأشياء ثمينة فضلا عن كل ما تطوعوا به وأخرج الملك كورش آنيـة بيت الرب التى كان أخرجها نبوخذنصر من أورشليم ووضعها فى بيت آلهته وسلمها لشليمناصر رئيس يهوذا بواسطة الخازن متردات • وكان عددها ثلاثون طستا من الذهب وألف طست من الفضة وتسعة وعشرون سكينا وثلاثون جاما من الذهب وأربعمائة وعشرة جامات مـن الفضة من الرتبة الثانية وألف آنية أخرى مما بلغ مجموعه خمسة آلاف وأربعمائة •

وفى الاصحاح الثانى احصاء للصاعدين العائدين حسب عشائرهم وأسباطهم • ولم نر ضرورة لذكر الانساب والاسماء • وقد بلغ عددهم ٤٢٣٦٠ غير عبيدهم وامائهم الذين كان عددهم ٧٣٢٧ وغير المغنيين والمغنيات الذين بلغ عددهم مائتين • وكان معهم من الخيل ٧٢٦ والبغال ٢٤٥ والجمال ٤٣٥ والحمير ٦٧٢٠ وقد صعد من تل مصح وتل حرشاكروب وادان وامير بعض عشائر بلغ عدد أفرادها ٦٥٢ لم يثبتوا أنسابهم فى اسرائيل فخلعوا من الكهنوت وأمروا بأ نلا يأكلوا من قدس الاقداس الى أن يقوم كاهن للنور والحق (١) •

وفى نهاية الاصحاح أن بعض رؤساء الآباء لما وفدوا الى بيت الرب تطوعوا ليشيدوه مكانه وأعطوا لخزينة العمل واحدا وستين ألف درهم من الذهب وخمسة آلاف منا من الفضة ومئة قميص للكهنة وسكن الكهنة واللاويون وبعض من الشعب والمغنون والبوابون والنتينيون فى مدنهم واسرائيل كافة فى مدنهم •

وعبارة الاصحاح تفيد أن كثيرين من المسبيين تخلفوا عن الصعود وبقوا حيث هم •

---

(١) فى النسخة البروتستانتية بدل كلمتى للنور والحق كلمتا «للاوريم والتميم» ويبدو انهما اسماء للطوائف العربية التى اعتنقت اليهودية •

ولما كان الشهر السابع اجتمع الشعب كرجل واحـــد في أورشليم على ما جاء في الاصحاح الثالث وبني يشوع بن يوصاداق الكاهن واخوته وزربابل (١) ابن شالتيل واخوته ، مذبحا للرب وأصعدوا عليه المحرقات ــ الذبائح ــ وعملوا عيــد المظالة • وذلك قبل تأسيس هيكل الرب ثم أعطوا للنحاتين والنجارين فضة وطعاما وشرابا وزيتا للصيدونيين والصوريين ليأتوا بخشب الارز من لبنان الى بحر يافا وفي السنة الثالثة شرعوا في البنـاء باحتفال ديني عظيم وهتافات متصاعدة الى عنان السماء بتسبيح الرب وتمجيده •

وقد جاء في الاصحاح الرابع أن أعداء يهوذا وبنيامين سمعوا أن بني الجلاء ــ المسبيين العائدين ــ يبنون بيتا للرب فأقبلوا على زربابل ورؤساء الآباء وقالوا لهم نحن نبني معكم لانا نطلب ــ نعبد ــ الهكم مثلكم ونذبح له من أيام آسر حدون الـذي صيرنا الى هنا ، حيث يبدو أن هؤلاء هم الجماعات التي أرسلت من العراق وأسكنت في مساكن المسبيين من بلاد دولة اسرائيل وأنهم تدينوا بالديانة اليهودية بواسطة الكهنة اللاويين الذيـن أرسلهم ملك آشور على ما ذكره الاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني ــ الرابع وأوردناه سابقا • غير أن زربابل وسائر

(١) في الاصحاح الثاني من سفر حجي وصف زربابل هذا بانه حـاكم يهوذا ويظهر انه كان واليا من قبل الفرس وانه كان من بني اسرائيل •

رؤساء آباء اسرائيل رفضوا وقالوا ليس البيت الذى نبنيه بأمر كورش لكم ولنا وانما نبنيه للرب اله اسرائيل . وهكذا بلغت الانانية فيهم الى أن لا يرضوا بمشاركة من يدين بدينهم من غير جنسهم فى بناء معبد للاله المشترك بدعوى أن الرب رب اسرائيل والمعبد معبدهم الخاص ! وهذه من عقدهم الرئيسية التى كانت وظلت تعقد حياتهم على ما نبهنا عليه أكثر من مرة .

ونقول استطرادا ان موقف بنى اسرائيل العجيب من هؤلاء الشعوب المتهودة التى عرفت فى التاريخ باسم السامريين، أدى الى توطد القطيعة والعداء بينهما على طول الزمن وكثيرا ما كان يؤدى الى اشتباكات دموية بينهما فى سياق ما كان يلم بفلسطين من أحداث سياسية وحربية ذهبت فيها أرواح الالوف المؤلفة منهما . وقد تكونت للسامريين نتيجة لذلك شخصية دينية موسوية خاصة . فهم لا يعترفون الا بأسفار موسى الخمسة ككتب مقدسة ولا يسيرون وفق التفسيرات التلمودية كما أنهم متحفظون ازاء ما كان من تطورات دينية عند بنى اسرائيل ومتزمتون فى المحافظة على التقاليد التوراتية القديمة . وقد أنشأوا معبدا فى جبل جرزيم وهو جبل نابلس الجنوبى يقيمون عنده طقوسهم وأعيادهم الكبرى . وما تزال بقية قليلة ضعيفة منهم الى اليوم فى نابلس يحتفظون بكل هذه المظاهر والتقاليد والشخصية الموسوية الخاصة .

وهكذا قدر لليهود أن يكونوا منقسمين دينيـــا شماليين وجنوبيين فى أيام دولتى يهوذا واسرائيل ثم بعـــد السبى وان اختلفت البواعث . والباعث فى الفرقة الاخيرة أنانية بنى اسرائيل وفكرتهم الاختصاصية بأن الاله الههم وحدهم واليهودية دينهم وحدهم والمعبد معبدهم وحدهم . والباعث على الفرقة الاولى سياسية شخصية وبالتالى أنانية كذلك حيث اجتهد يربعام وخلفاؤه ملوك دولة اسرائيل بأن الوحدة الدينية والطقسية قد تقضى على دولتهم وتؤدى الى وحدة اليهود تحت حكم ملوك يهوذا الذين كان الهيـــكل فى عاصمتهم وقد تابعهم الاسـباط العشرة فى اجتهادهم .

ونعود الى السياق فنقول ان عودة بنى اسرائيل ونشاطهم فى سبيل استئناف حياتهم واقامة هيكلهم فى أورشليم جعلت شعوب البلاد القدماء يتحركون ويتألبون ويبذلون جهودهم فى احبـاط حركتهم وازعاج بنى اسرائيل على ما جاء فى الاصحاح الرابع ، مما فيه تكرار لشعور التوجس الذى ساور أهل البلاد حينمـا جاء بنو اسرائيل اليها من مصر وجعلهم يقفون منهم موقف التجهم والعداء والمناوأة ، مع فارق واحد ، وهو أن الشعور الاول كان حسا قبل الوقوع أو مستندا الى السماع عما انطوت عليه روح بنى اسرائيل من بغى وعدوان وشره الى ما فى يد الغير وقصـد الى قلع جذور أهل البلاد والحلول محلهم فى حين أن الشعور

الجديد كان منبعثا عن تجربة واقعية وذكريات مريرة لكل هذه الصفات وقد استأجروا مشيرين ضدهم وظلوا يرفعون شكاواهم وتحذيراتهم جميع أيام كورش واستطاعوا أن يمنعوهم من البناء وأن يوقفوا نشاطهم ثم تابعوا مساعيهم فى أيام الملك أرتحشستا وكانت الشكوى الى هذا جماعية باسم واشتراك رحوم صاحب القضاءوشمشاى الكاتب وسائرصحابتهما الدينيين والافرستيكيين والطرفليين والافرسيين والاركويين والبابليين والشوشـــنكيين والدهاويين والعيلاميين وسائر الامم الذين جلاهم ملـك آشور وجعلهم فى مدن السامرة وبقية الذين فى عبر النهر وقالوا فيهـا ان اليهود الذين وفدوا من عندكم الى أورشليم المدينة المتمردة الشقية يبنون ويرممون أسوارا وقد رمموا أساســها وانهم اذا بنوا هذه المدينة وتمت أسوارها سوف لا يؤدون الخـراج ولا الجزية ولا الضريبة المعتادة •

فيتضرر الملك ، وعليه أن يبحث فى ســفر آثار آبائه حيث يعرف ان هذه المدينة مدينة متمردة مسيئة الى الملوك والاقاليم وان اليهود قد أثاروا فيها شغبا فى قديم الدهر ولذلك خــربت فاذا بنيت وتمت أسوارها لا يكون للملك نصيب فى عبر النهــر هذا ، حيث يفيد هذا أن سكان شرق الاردن وغربه الاصـــليين أظهروا لبنى اسرائيل العائدين العداء وتحالفــــوا على ازعاجهم

والحد من نشاطهم مما مرده على ما هو المتبادر ، ما توارثه الابناء من الآباء من ذكريات سوء سيرة بني اسرائيل •

وقد أرسل الملك اليهم جوابا قال فيه انه أمر بالبحث فوجد أن هذه المدينة قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنة وانه كان عليها ملوك تسلطوا على جميع عبر النهر — غـرب الاردن — ورفع اليهم الخراج والجزية والضريبة وانه يجب اعلان أمـــره بالكف عن البناء وبالتحذير من التهاون في هذا الصدد لئـــلا يتفاقم الفساد •

ولما وصل الجواب بادر رحوم وشمشاى وصحابتهما الـى الذهاب الى أورشليم ومنعوا اليهود بالذراع والقوة عن البنـاء وظل العمل منقطعا الى السنة الثانية من ملك داروس • وفى هذه السنة عادوا فشرعوا بالبناء بتحريض أنبيائهم حجـاى وزكـريا وباشراف زربابل بن شالتيل ويشوع بن يوصاداق على ما ذكره الاصحاح الخامس فجاءهم الوالى تتناى وزعيم آخر اسمـــه شتربوزناى وأصحابهما يسألونهما عمن سمح لهم بالبنـاء ثـم اتفقوا على الكتابة الى داريوس وكانت الرســالة من الوالى والزعيم وأصحابهما • وقد قال فيها ان اليهود يبنون بيتـا لله بحجارة ضخمة وانهم يرممون أسوار أورشليم بسرعة وقــوة استنادا الى أمر كورش الذى سمح لهم بالعودة والبناء وطلبوا

منه الامر بما يلزم ، وحينئذ أمر بالبحث فى بيت الاسفار حيث كانت الخزائن موضوعة فى بابل فوجد درج كتب فيه أن الملك كورش أبرز أمرا فى السنة الاولى من ملكه ببنـاء بيت الله فى أورشليم فى مكانه القديم يكون سمك أسسه ستين ذراعا وعرضها ستين ذراعا بثلاثة صفوف من الحجارة العظيمة وصف من خشب جديد وتكون النفقة على بيت الملك ، وبرد آنية بيت الله الذهب والفضة التى أخرجها نبوخذنصر من الهيكل الى أورشليم لتوضع فى بيت الله ، وحينئذ أصدر أمرا الى الوالى وأصحابه بالـكف عن المعارضة حتى يبنى اليهود بيت الله فى مكانه وباعطـائهم نفقة البناء وما يحتاج اليه القائسون عليه من عجول وكبـاش وحملان وحنطة وملح وخمر من خراج عبر النهر يوما فيوما حتى لا يفتروا عن تقريب ذبائح رضى لاله السموات ويصلوا لاجل حياة الملك وبنيه ، وبقلع الخشب من بيت كل من يخالف الامر وتعليقه مصلوبا .

فنفذ الوالى الامر وأطلق يد اليهود حتى أكملوا البنـاء ودشنوه فى السنة السادسة من ملك داريوس باحتفال عظيـم على ما جاء فى الاصحاح السادس .

ولا يذكر الاصحاح صفة داريوس هذا مع انه تولى العرش فى زمن خضوع بلاد الشام ومن جملتها فلسطين للحكم الفارسى

ثلاثة بهذا الاسم • ولما كان أرتحشستا الاول وأحشويريش الاول قد ملكا بعد داريوس الاول واحشو يريش هو الذى أمر بمنع اليهود من البناء فيكون الذى سمح لهم به هو داريوس الثانى•

ومما جاء فى الاصحاح السابع من السفر أن عزرا الذى يتصل نسبه بهرون والذى نشأ فى المنفى وكان كاتبا ماهرا فى توراة موسى صعد من بابل الى أورشليم باذن الملك ارتحشستا ورضاه ومعه قوم من بنى اسرائيل من الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنتينيين ، وكان يحمل معه رسالة من الملك موجهة اليه يقول فيها ان لكل من شاء من شعب اسرائيل وكهنته فى مملكته الرجوع الى أورشليم معه الاذن بذلك • وانه قد أرسله مع مشيريه الى أورشليم ليرشد يهودا أورشليم حسب شريعة الهه التى بيده ، ويأخذ معه الفضة والذهب الذين تطوع بهما لمسكنه فى أورشليم ويأخذ كل ما يتطوع به الشعب فى بلاد بابل أيضا من ذهب وفضة ليشترى بذلك ثيرانا وكباشا وحملانا مع تقادمها وسكبها ويقربها على مذبح بيت الهه • وانه يسمح له بعمل كل ما يحسن عنده وعند اخواته أن يعملوه بما يفضل من الفضة والذهب معه لأجل الههم ، وله أن ينفق كل ما يحتاج اليه من بيت خزائن الملك ، وانه يأمر جميع الخزان الذين فى عبر النهر باعطائه كل ما يطلبه منهم عاجلا الى مائة قنطار فضة ومائة

كر قمح ومائة بث خمر ومائة بث زيت • وانه يأمر بعدم ضرب خراج ولا جزية ولا ضريبة على أى واحد من الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنتينيين وخدام بيت الله ، وانه يأذن له أن يقيم قضاة وحكاما يقضون بين جميع الشعب الذين فى عبر النهر من العالمين بشريعة الهه ، وان كل من لا يعمل بهذه الشريعة يقضى عليه عاجلا اما بالموت أو النفى أو غرامة مال أو حبس •

والمتبادر أن ارتحشستا هذا هو الثانى أو الثالث ، والثانى ولى بعد داريوس الثانى والثالث ولى بعد أرتحشستا الثانى •

وفى الاصحاح الثامن احصاء للذين صعدوا مع عزرا الى أورشليم وأسماء رؤسائهم وعشائرهم وقد بلغ مجموع ذكورهم الفا وثمانمائة • وعبارة الاصحاح تفيد أنه ظل كثير من سبى اسرائيل ويهوذا حيث هم فى المنفى ولم يعودوا الى أورشليم مع العائدين ، والغالب انهم اندمجوا فى حياة العراق الدينية والاقتصادية والاجتماعية •

ثم يقص الاصحاح ما فعله عزرا فحكى عنه أنه استحيى أن يطلب من الملك جيشا وفرسانا لخفر الصاعدين فى الطريق لانه قال له ان يد الهه على جميع طالبيه للخير وبأسه وسخطه على جميع تاركيه ، وانه نادى بصوم عند نهر أهوى وتذللوا أمام الله ليجعل الطريق مستقيما لهم ولصغارهم وأموالهم ، ثم فرز اثنى عشر

كاهنا من رؤساء الكهنة وسلمهم ما تجمع معه من الملك ومشيريه والمتطوعين من بنى اسرائيل من فضة وذهب وآنية مما بلغ وزنه ٦٥٠ قنطارا فضة ومائة قنطار من آوانى الفضة ومائة قنطار من الذهب وعشرين جاما من الذهب وزنها آلف درهم واناءين من نحاس أصفر ثمين كالذهب وطلب منهم السهر عليها وحفظها الى أن يصلوا أورشليم ويضعوها فى مخادع بيت الرب على مرأى من رؤساء الكهنة واللاويين ورؤساء آباء اسرائيل • وان يد الههم كانت عليهم فأنقذهم من يد العدو الكامن فى طريقهم حتى وصلوا الى أورشليم •

ثم ذكر الاصحاح التاسع أن رؤساء اليهود تقدموا الى عزرا قائلين ان شعب اسرائيل والكهنة اللاويين لم ينفصلوا عن شعوب الارض من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والمؤابيين والمصريين والآموريين وانهم اتخذوا من بناتهم لانفسهم ولبنيهم زوجات واختلط النسل الطاهر بأمم الارض بل وكانت يد الرؤساء والعظماء فى ذلك الاولى ، مما ينطوى فيه دلالة على استمرار فكرة التعالى والاختصاص فى بنى اسرائيل ضد الشعوب الاخرى مهما كانت حالتهم من الضعف والهوان ورغبتهم عن التعامل والتمازج معهم ومما كان وظل يثير عليهم ثائرة هذه الشعوب ويدفعهم الى الوقوف منهم موقف العداء والحقد ؛

ويدل فى الوقت ذاته على أن سكان فلسطين الاصليين ظلـــوا يحتفظون بكياناتهم فى أثناء السبى وبعده كما كانوا قبله أيضــا كأصحاب البلاد وسكانها • ثم على أن بنى اسرائيل العــائدين رغم ذلك لم يلبثــوا أن وقعوا تحت تأثيرهم ثانيـــة كما كان شأن آبائهم من قبل •

والراجح أن هذا كان شأن البقية الضعيفة التى لم يشــملها السبى • واذا كان الفلسطينيون لم يذكروا فى السلسلة هنا فقد ذكروا في سفر زكريا بأسلوب يدل على أنهم كانوا ذوى قوة وكبرياء في زمنه أي فى عهد دارا كما ذكروا فى سفر نحميا باسم الاشدوديين على ما سوف نورده بعد •

وفي الاصحاح التاسع الذى يذكر هذا حكاية عن عزرا جاء فيها أني حينما سمعت هذا الكلام مزقت ثوبى وردائى وتنفت شعر رأسى ولحيتى ولبثت متحيرا فاجتمع الى كل من جزع من اله اسرائيل من أجل تعدى أهل الجلاء وفى المساء جثوت على ركبتى بعد التقــدمة وبسطت يدى الى الله قائلا انى لمستح خجلا أن أرفع اليــك وجهى لان ذنوبنا تكاثرت وتفاقم اثمنا • انا من أيام آبائنا نحن فى اثم عظيم الى هذا اليوم ولاجل ذلك أسلمنا نحن وملوكنـــا وكهنتنا الى أيدى ملوك الارض للسيف والجلاء والنهب والخزى • فماذا نقول يا الهنا الآن بعد اذ أهملنا وصاياك التى أمرت بها على ألسنة عبيدك الانبياء

بأن لا تعطوا بناتكم لابناء شعوب الارض ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلمهم ولا خيرهم الى الابد لكى تتمكنوا وتأكلوا خبز الارض وتورثوا أعقابكم مدى الدهر • وقد عاقبتنا بعد كل اثمنا العظيم بأقل من ذنوبنا وآتيتنا نجاة فكيف نعود وننقص وصاياك ونصاهر أمم هذه الرجاسات ولا تغضب علينا ولا تكون بقية ولا نجاة ؟ وكان عزرا يدعو ، وجمع كثير جدا من الرجال والنساء والاولاد يستمعون، فبكوا بكاءا شديدا واعترفوا بذنوبهم ثم عاهد الرؤساء والكهنة عزرا على العمل حسب الشريعة فأطلقوا نداء فى يهوذا وأورشليم الى جميع بنى الجلاء ليجتمعوا فى أورشليم وان كل من يتخلف تبسل أمواله ويفرز عن أهل الجلاء فجاءوا مسرعين مرتعدين على ما حكاه الاصحاح العاشر واحتشدوا فى ساحة المعبد فندد بهم عزرا وطلب منهم التوبة واعتزال أمم الارض والنساء الغريبات لنيل مرضاة الرب اله آبائهم فقالوا له بصوت واحد نفعل كما قلت وطلبوا منه المهلة وتوكيل الرؤساء والقضاه فى كل مدينة لتنفذ ذلك وقد نفذوه فعلا وظهر أن كثيرا من العائدين وفى جملتهم بنو الكهنة وقد اتخذوا نساء غريبات ومنهن من أنجبن أولادا •

- ٧ -

ومن أسفار حقبة السبي وبعدها سفر نحميا ، وصـــاحبه من الذين تخلفو عن العودة وكان ساقيا للملك أرتحشستا الذى نرجح أنه الثانى أو الثــالث • والسفر ثلاثة عشر اصــــحاحا فى خمس عشرين صفحة •

وقد جاء في اصحاحه الاول أن أحد اخوته قدم هو ورجال من يهوذا فاستخبرهم عن اليهود الذين نجوا ومن بقى بعد الجلاء عن أورشليم فقالوا لى أن البقية التى بقيت هناك فى ضنك شديد وأن سور أورشليم مهدوم وأبوابها أحرقت بالنار فحـزن وناجى ربه واعترف بما كان من قومه من مخـالفات لوصاياه وطلب الصفح عنهم والهام الملك خيرا بحقهم • وجـاء فى اصحاحه الثانى أنه لما وقف أمام الملك كئيبا وهو فى خـدمته سأله عن كآبته فحكى له حالة أورشليم ويهودها وطلب منه السماح بالسفر لترميمها واعطائه رسائل للولادة لمساعدته على ذلك فأجابه الى ما طلب وأرسل معه قوادا وفرسانا •ولما جاء الى فلسطين وأخذ يسعى فى انجاز المهمة وقد التف حوله الكهنة والاشراف•وسمع بذلك سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى وجاشم العربى فاستــاءوا مساءة عظيمـة وجاءوا اليه يسخرون منه ويسألونه عماذا وعما اذا كانوا يريدون

التمرد على الملك فأجابهم نحن عبيد اله السموات نقــوم ونبنى وليس لهم من حظ ولا ذكر فى أورشليم •

وقد ذكر الاصحاح الثالث والاصحاح الرابع أن اليهود توزعوا العمل فيما بينهم فى ترميم أسوار المدينة وساروا فيه بهمة ونشاط ، حتى أنجزوا نصف الســـور • وسمع سنبلط وطوبيا والعـــرب والعمونيون والاشدوديون ــ والاخيرون من الفلسطينيين ـ بذلك وحنقوا حنقا شديدا وتحالفوا يدا واحدة على الاتيان الى أورشـــليم ومحاربتها وانزال الشر فيها ، وجاء الخبر الى نحميا فأخـــذ يبث الشجاعة والقوة فى النفوس • وقسم الرجال قسمين قسما ســلحهم بالرماح والتروس والقسى والزرود وقسما جعلهم يستمرون على البناء والعمل وظلوا يواصلون ليلهم بنهارهم حتى لم يكن يجد هو واخوته وغلمانه ورجال الحرس الذين وراءه وقتا لنزع الثياب أو الاغتسال •

ومع ذلك فقد ذكر الاصحاح الخامس أنه ثارت ضجة عظيمة من الشعب ونسائهم فمن داع الى امتياز الحنطة وقائل انا رهنا حقولنا وكرومنا وبيوتنا لنمتار حنطة من الجوع ومن قائل انا اقترضنا فضــة لخراج الملك على حقولنا وكرومنا ونحن نبذل بنينا وبناتنا للعبـــودية ولاسعة فى أيدينا ، وحقولنا وكرومنا أصبحت لغيرنا ، وأن نحميا لما سمع صراخهم شق عليه الامر وأخذ يعنف العظماء والولاة لانهم

يأخذون الربا وقال لهم انا افتدينا اخواننا اليهود الذين بيعوا للامم وأنتم تبيعون اخوانكم وطلب منهم رد الحقول والكروم والزيتون والبيوت الى أصحابها والتنازل عن الواحد من المائة الذى يطلبونه منهم من الفضة والحنطة والخمر والزيت التى معهم فوعدوا بذلك، فدعا الكهنة وحلفهم على أن يفعلوا بمقتضى هذا الكلام ثم نفض حجره قال هكذا ينفض الله كل انسان لا يقوم بهذا الكلام فأمنت الجماعة على قوله .

ويستفاد من عبارة جاءت فى هذا الاصحاح أن نحميا كان يعتبر نفسه قائدا فى أرض يهوذا حيث جاء فيه أنى منذ يوم أمرت أن أكون قائدا فى أرض يهوذا من السنة العشرين الى السنة الثانية والثلاثين لارتحشستا لم آكل أنا ولا اخوتى خبز القائد - أى مخصصاته - وأما القواد الاولون الذين كانوا قبلى فثقلوا على الشعب وكانوا يأخذون منهم من الخبز والخمر والفضة مايزيد على اربعين مثقالا من الفضة بل كان غلمانهم أيضا يظلمون الشعب . ولم أفعل مثل ذلك خشية لله ولم أشتر حقلا وانما تعلقت على عمل السور وكان على مائدتى من اليهود والولاة مائة وخمسون رجلا فضلا عمن قدم الينا من الامم من حولنا وكان يهيأ لى كل يوم ثور وستة من خيار الغنم ما خلا الطير ، وشيء كثير من جميع انواع الخمر فى كل عشرة أيام ومع هذا لم أطلب خبز القائد لان العبودية قد ثقلت على الشعب

وطلب نحميا من الله فى نهاية الاصحاح أن يذكره بالخير على جميع ما صنعه الى الشعب •

وجاء فى الاصحاح السادس أن سنبلط وطوبيا وجاشم العربى وسائر الاعداء لما سمعوا أن نحميا بنى السور ولم يبق فيه ثلمة ولم يكن بعد قد أقام المصاريع فى الابواب بعث سنبلط وجاشم اليه يطلبان اللقاء فى قرى سهل أونو وقد أضمرا له سوءا فلم يستجب اليهما وأرسل فأخبرهما أنه مشغول ويخشى تعطل العمل، فعاودوا الطلب أربع مرات وكان يرد بمثل جوابه • وحينئذ بعث سنبلط مع غلامه رسالة مفتوحة مكتوبا فيها أنه قد سمع فى الامم أنك ـ الخطاب لنحميا ـ أنت واليهود مضمرون التمرد وأنك تبنى السور لتكون ملكا عليهم وهذا الخبر سوف يسمع عند الملك فهلم لنأتمر معا، فرد نحميا عليه أنه يختلق هذا اختلاقا، وبدأ الناس يخوفون نحميا من العاقبة ويقولون ان أيديهم قد ضعفت عن العمل وقال له زعيم اسمه شمصيا تعال لنجتمع فى دار الهيكل ونغلق الابواب علينا لانهم آتون ليقتلوك فى الليل فرفض وقد ظهر له أن طوبيا وسنبلط قد استأجرا هذا الزعيم لتخويف نحميا ولاساءة سمعته • وظل مثابرا الى أن تم السور فى اثنين وخمسين يوما وسمع جميع الاعداء ورأى جميع الامم الذين حولهم ذلك ، فسقطوا فى أعين أنفسهم • ومما جاء فى الاصحاح أن طوبيا كان يتبادل الرسائل مع عظماء يهوذا وكان له فيهم خلفاء كثيرون لانه كان صهر شكنيا بن آرح ومتزوجا بابنته •

وكان حلفاؤه هؤلاء يثنون على حسناته أمام نحميا وينقلون كلامه اليه وكان يرسل رسائل لتخويفه •

ومما جاء فى الاصحاح السابع أن نحميا بعد أن بنى السور وأقام المصاريع ورتب البوابين عين أخاه حنانى على أورشليم وجعل صفيا رئيس القصر مساعدا له • وأوصاهم بعدم فتح الابواب الا بعد أن تحمى الشمس وجعل حراسا من سكان أورشليم كل واحد فى محرسه وكل واحد قبالة بيته • وكانت المدينة واسعة وعظيمة والشعب قليلا فى وسطها ولم تكن البيوت قد بنيت ، وأنه جمع العظماء والولاة والشعب للانتساب بالهام الله ووجد سفر نسب الذين صعدوا أولا ـ من المنفى ـ ثم يأخذ الاصحاح بذكر أسماء وعشائر وأنساب واعداد الصاعدين لاول مرة حسب ما ذكر فى سفر عزرا وأوردنا خلاصته قبل •

ومما جاء فى الاصحاح الثامن أن الشعب كله اجتمع فى ساحة المعبد وتكلموا مع عزرا الكاتب ـ وهذا يدل على أن مجىء نحميا كان بعد مجىء القافلة الثانية مع عزرا وفى حياة عزرا ـ باحضار سفر توراة موسى فأحضرها وأخذ يتلوها أمام الجماعة بعد أن سبح عزرا الرب ومجده وخر الشعب للرب بوجوههم خشوعا لسفر التوراة التى أمر بها الرب اسرائيل •

وكان نحميا وعزرا الكاهن الكاتب واللاويون يفهمون الشعب

معانى التوراة . ثم أقاموا عيد المظال حسب ما جاء فى السفر وكان فرح عظيم واستمرت التلاوة والاحتفالات سبعة أيام .

ومما جاء فى الاصحاح التاسع أن بنى اسرائيل بعد ذلك اجتمعوا ونادوا بصوم عام ولبسوا المسوح وانفرد نسلهم عن جميع بنى الغرباء ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وآثام آبائهم وأخذوا يسبحون الرب ويمجدونه ويذكرون ما كان من آياته لهم ونعمته عليهم وسعة صدره وعدم افنائه لهم لانه حنان رحيم ثم كتبوا ميثاقا على أنفسهم بالسير وفق شريعة الرب وحفظ جميع وصاياه وأحكامه .

وقد ذكر الاصحاح العاشر أسماء الزعماء والآباء الذين ختموا الميثاق وفى مقدمتهم نحميا الذى وصف بوصف الترشاتا وعزرا ودخل الشعب فى العهد والميثاق .

ومما جاء فى الاصحاح الحادى عشر أن رؤساء الشعب سكنوا فى أورشليم واتفقوا على أن يسكن عشر الشعب فيها كذلك ويسكن الاعشار التسعة الباقية فى المدن ، ثم ذكر الاصحاح أسماء وأنساب وأعداد الجماعات الذين سكنوا فى أورشليم والذين سكنوا المدن الاخرى وقراها .

ومما جاء فى الاصحاح الثالث عشر أنه حينما قرىء فى سفر موسى وجد فيه أن لا يدخل العمونيون ولا المؤابيون فى جماعة الله الى الابد لانهم لم يتلقوا بنى اسرائيل بالخبز والماء بل استأجروا

عليهم بلعام ليلعنهم . فلما سمع الشعب ذلك فرزوا كل دخيل من اسرائيل حيث يدل هذا على أنه كان قد اندمج فى اليهودية طوائف من العمونيين والمؤابيين فى حقبة السبى وفى الجماعة الذين بقوا فى الارض أو الذين عادوا من السبى .

وفى هذا الاصحاح ما يدل على أن نحميا عاد الى العراق بعد بناء السور ثم عاد ثانية الى أورشليم باذن الملك أرتحشستا حيث جاء فيه أنه وجد حين عودته الكاهن الياشيب قد هيأ لنفسه مخدعا فى مكان يوضع فيه التقادم واللبان والآنية وعشور الحنطة والخمر والزيت ، وكان هذا الكاهن ذا قرابة لطوبيا ـ العمونى على الارجح ـ فساء ذلك نحميا وأمر بطرح آنية بيت طوبيا من المخدع وتطهير المخادع واعادة ماكان فيها اليها، وانه وجد قوما فى يهوذا يدوسون فى المعاصر فى السبت ويأتون بأكداس من العنب والتين والخمر فيبيعونها فى السبت كما وجد الصوريين المقيمين فى أورشليم يأتون بالسمك فيبيعونه لبنى يهوذا فى السبت أيضا كما وجد يهوذا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات ومؤابيات حتى لقد كان أولادهن لا يحسنون التكلم باليهودية ، وقد حكى الاصحاح ما كان من حنق نحميا وغضبه على ذلك وتنديده بالمخلين بالسبت وتذكره بما كان من غضب الرب على آبائهم لتدنيسهم السبت ، وأمره بغلق أبواب أورشليم مساء الجمعة وعدم فتحها الا صباح الاحد وتهديده للذين يأتون لبيع السلع

يوم السبت بالحبس ولعنته الذين تزوجوا من النساء الغريبات وضربه بعضهم ونتفه شعرهم واستحلافه الناس بأن لا يعطوا بناتهم لبنيهم ، ولا يأخذوا بناتهم لهم أو لبنيهم وذكره بما كان من آثام آبائهم وسليمان الملك فى الجملة فى هذا الباب وما سوف يجلبونه على أنفسهم من شر به ، وطرد أحد بنى يوياداع بن الياشيب الكاهن العظيم لانه كان مصاهرا لسنبلط الحوروني ، حيث يدل هذا على سرعة انحراف بنى اسرائيل عن وصايا شريعتهم بعد تلك التوبة الطنانة والمواثيق والايمان المغلظة كما كان شأنهم فى معظم حقب تاريخهم .

- ٨ -

ومن أسفار حقبة السبى سفر أستير نسبة الى امرأة يهودية بهذا الاسم وهو ستة عشر اصحاحا فى ثلاث وعشرين صفحة فى النسخ الكاثوليكية وعشرة اصحاحات فى تسع صحف فى النسخ البروتستانتية . وقد ذكرت النسخة الكاثوليكية أن الزيادات التى فيها هى فى النسخة العامية وغير موجودة فى النسخة العبرانية . والسفر يقص قصة لاستير كان فيها نجاة اليهود وفوزهم أثناء السبى بعد أن أحدق بهم خطر شديد .

ومما جاء فى السفر الاول أن الملك أحشويريش غضب على زوجته لرفضها تنفيذ أمره بالظهور أمام مجلس شرابه بزينتهـــا وأخذ يبحث عن بديلة لها فسميت له فتاة من اليهود الذين تخلفوا عن العودة الى أورشليم وكانت فى حضانة ابن عم لها اسمه مردخاى ولما رآها نالت حظوة لديه وغدت زوجة له وملكة . وقد كتمت جنسيتها عنه حسب توصية مردخاى . أخذ هـــذا يراقبها ويهتم لامرها ويلازم باب الملك بسبيل ذلك .

وقد وقف على مؤامرة لاغتيال الملك فأخبر بذلك أستير اخبرت بدورها الملك وبحث هذا الامر فظهر صدق الخبر فأمر الملك بتسجيل اسم مردخاى فى سجل الملك وعظم شـــأنه وشأن أستير فى عينيه .

وفي هذه الاثناء برز هامان أحد رجال أحشويريش على أقرانه بدهائه فنال حظوة الملك حتى وصى بأن يكون كرسيه فوق ســـائر الرؤساء وأن يسجد له الناس فى خروجه ودخوله . غير أن مردخاى تمرد على هذا الامر فأثار غضب هامان وعزم على الانتقام منـــه ومن قومه الذين عرف حقيقتهم ، ثم استسنح مناسبة فقال للملك انه يوجد شعب مشتت في جميع بلاد مملكته وسننه مغايرة لجميع الشـــعوب ولا يعمل بوصاياه ، وطلب أن يكتب الى جميـــــع الولاة بمطاردته وابادته وتعهد له بتوريد عشرة آلاف وزنة من الفضة الى خزائنه من

هذه العملية فأجابه الملك وان الفضة والشعب لك فافعل فيهما ما يحسن بعينيك وحينئذ كتبت أوامر باسم الملك وأرسلت مع سعاة باهـــلاك جميع اليهود فى كل بلد من بلاد المملكة من الغلام الى الشيخ مـــع الاطفال والنســـاء فى يوم معين ـ وهو الثـــالث عشر من آذار ـ وبمصادرة أموالهم • وعلم مردخاى واليهود بالامر فعظم همهم وأخذوا يقيمون المناحات العظمى ويلبسون المسوح ويذرون عـــلى أنفسهم الرماد ويصومون ويبتهلون الى الله • وقد اهتـــم هامان بنوع خاص لامر نكال مردخاى الذى تكبر عليه فأمر بنصب مشنقة ارتفاعها خمسون ذراعا ليشنق عليها فى اليوم المعين •

ووصل الخبر الى أستير فعظم همها كذلك واستشارت مردخاى فأشار عليها بالتكلم مع الملك وألح عليها بذلك ولو تعرضت لغضـــبه لانه لا يجوز لها أن تفكر بنفسها بينما يهلك جميع شعبها • فأطاعته وتعرضت للملك فحسنت فى عينيه وطلب منها أن تسأله أى حاجـــة فتقضى ولو كانت نصف ملكه فكانت حاجتها أن يحضر وليمة أعدتها له ولهامان ، وأقيمت الوليمة • وقلق الملك فى الليل فأمر باحضـــار سجل الاخبار وقراءته عليه فكان مما قرىء خبر مؤامرة اغتيـــاله وكشفها من قبل مردخاى • وسأل عما فعل له فأجيب بأنه لم يفعل له شيء • ودخل هامان على الملك فى هذه الاثناء فسأله الملك عما يجب عمله لرجل كان سببا لحياة الملك فأشار بالباسه لباسا سلطانيا ووضـــع

تاج سلطانى على رأسه واشهار اسمه لتكريمه من قبل جميع الشعب فأمره أن ينفذ ذلك لمردخاى

ودعت أستير الملك وهامان لوليمة أخرى فطلب الملك منها أن تسأله أى حاجة ولو كانت نصف ملكه فطلبت منه الحياة لنفسها ولشعبها وقالت له أنه قد تقرر قتله وابادته فسألها عمن فعل ذلك فقالت له : انه هامان • فثارت ثائرة الملك فمال الى سرير الملكة وظن الملك أن هامان يريد خيانته فى زوجته فاشتد هياجه وقال له وتريد أيضا أن تكبس الملكة معى فى البيت؟ وأمر خصيانه فأخذوه وصلبوه على المشنقة التى هيأها لمردخاى ووهبت بيت هامان لاستير• وأخبرت أستير الملك بصلتها بمردخاى فأحضره وسلمه خاتمه الذى أخذه من هامان• وطلب أستير ارسال أوامر مضادة للاوامر السابقة فى حق شعبها فأمر بذلك وأرسلت الرسائل الى جميع الاقطار والامصار بالكف عن اليهود وبتخويلهم قتل واهلاك كل شعب وكورة تضادهم حتى الاطفال والنساء ومصادرة أموالهم • وخرج مردخاى من حضرة الملك بلباس ملكى وتاج ذهبى • وكان لليهود نور وفرح وبهجة وكرامة فى شوشن العاصمة وفى كل بلد • وتهود كثير من شعوب الارض لان رعب اليهود وقع عليهم • وأخذ اليهود يتسلطون على مبغضيهم ورؤساء البلاد والمرازبة والولاة الذين ساعدوهم عليهم وضربوا جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا وشنقوا أولاد وأقارب هامان •

وبلغ عدد من قتلهم اليهود من الاعداء فى المملكة خمسة وسبعين ألفا وكان ذلك فى نفس اليوم الذى عينه هامان لابادة اليهود وصار اليوم التالى أى ١٤ آذار عيدا من أعياد اليهود الى اليوم .

وما أوردناه هو تلخيص للاسفار العشرة الاولى من سفر أستير التى تتفق فيها النسختان الكاثوليكية والبروتستانتية. وفى الزوائد على قصته وقصة أستير وهامان ، ثم نسخة من الامر العام الذى أرسل باسم الملك الى جميع أنحاء المملكة بشأن الشعب المشتت الذى يحتقر أوامر الملك ويفسد نظام الامم ويتشبث بشرائع خاصة مخالفة لعادات جميع الامم وأمره بابادته بدون رحمة فى الرابع عشر من الشهر الثانى عشر الذى هو آذار حتى يذهب هؤلاء الخبثاء الى الجحيم ويستقر السلام في المملكة ، ونسخة من أمر الملك الثانى المضاد للامر الاول الذى كتب بخداع ودسيسة وشنق الخادع الدساس وتمكين اليهود من قتل مضطهديهم فى نفس اليوم المعين واعتبار هذا اليوم عيدا ، وتكرار بصيغة أخرى لما كان من ابتهالات مردخاى وأستير واليهود الى الرب وما كان من حزن أستير وتذليلها عبدها ومخاطبتها للملك الخ ..

ولا تخلو القصة التى احتواها السفر من صنعة وخيال ولكنها لا تخلو من حقيقة أيضا فيما نرجح . وفى سلسلة ملوك الماديين الفرس اثنان يحملان اسم أحشويرش . ولما كان الاول هو الذى منع

اليهود من انشاء الهيكل وأورشليم فالمرجح أنه الثانى • وليس من المستبعد أن أستير قد أنجبت أولادا وان لم يرد اشارة ما الى ذلك • ودارياش الثانى الذى أذن لليهود بانشاء الهيكل ، وأرتحشستا الثانى الذى ساعد نحميا على ما مر بيانه ، قد توليا بعد أحشو بريش الثانى• ومما يتبادر الى الذهن أن تكون أستير أما أو جدة لهما فجنحا الى مساعدة اليهود وأبطلا أوامر الملوك السابقين •

ومما قد تفيده القصة أن اليهود الذين تخلفوا عن العودة الى أورشليم كثيرون جدا وأنهم كانوا منتشرين فى أنحاء المملكة الواسعة التى كانت تضم مائة وسبعة وعشرين اقليما وتمتد من الهند الى الحبشة على ما ذكره الاصحاح السادس عشر من زوائد النسخة الكاثوليكية ، وأنه كان لهم أعداء ومبغضون كثيرون أينما وجدوا فكانوا يتحينون كل فرصة للايقاع بهم واضطهادهم مما مرده روح الاثرة والشر والتعصب التى كانت مسيطرة عليهم ضد الغير على ما نبهنا عليه فى مناسبات سابقة • وتفيد كذلك أن كثيراً من شعوب المملكة تهود فى ظرف اقبال سنح لليهود ولم تبق اليهودية اسرائيلية الجنس والدم •

- ٩ -

ومن أسفار حقبة السبى وبعده سفر حجى أو حجاى وهو

اصحاحان فى ثلاث صفحات • ويستفاد منه أنه من أنبياء بنى اسرائيل وأنه ظهر بعد مدة ما من عودة من عاد من السبى •

وقد جاء فيه أن الرب أمر حجاى ليكلم زربابل بن شألتيل حاكم يهوذا ويشوع بن يو صادق الكاهن الاكبر منددا ببقاء بيته خرابا وبقولهم انه لم يحن وقت بنائه بينما هم صاروا يسكنون فى بيوت مسقفة ، وداعيا اياهم الى جعل قلوبهم مع الرب وقائلا لهم على سبيل التبكيت انهم زرعوا كثيرا وجنوا قليلا وأكلوا ولم يشبعوا وشربوا ولم يرتووا واكتسوا ولم يدفأوا ، ومن أخذ منهم أجرا ألقاه فى كيس مثقوب ، وان السماء قد امتنعت عن الندى والارض منعت خيراتها بسبب حيدانهم عن طريق الرب، وطالبا جعل قلوبهم معه وتهيئته ما يلزم من الخشب وبناء بيته حتى يرضى عنهم ، وقد نبه روح الرب زربابل ويشوع وأرواح بقية الشعب فأخذوا يباشرون العمل لبناء بيت الرب ، على ما جاء فى اصحاح السفر الاول • أما فى اصحاحه الثانى فقد تكررت حكاية وحى الله لحجاى بتوجيه الخطاب الى زربابل ويشوع وبقية الشعب بالاهتمام بالعمل ووعدهم بالتأييد كما أيدهم منذ خروجهم من مصر وزلزلة جميع الامم وملء البيت بمجده اذا هم ساروا حسب وصاياه وجعلوا قلوبهم معه، وذكرهم بما كان من ضرباته لهم بسبب انحرافاتهم وعدم توبتهم •

ومن هذه الاسفار سفر زكريا وهو أربعة عشر فصلا فى خمس

عشرة صفحة • وصاحبه من أنبياء بنى اسرائيل وقد ظهر فى زمن ملك دارا الأول الذى سمح ببناء المعبد على ما شرحناه قبل على ما تفيد نصوص سفره •

وقد جاء فى اصحاحه الاول أنه فى الشهر الثامن من السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب الى زكريا قائلا : ان الرب غضب على آبائكم وقد ناداهم الانبياء فلم يسمعوا ولم يرتدعوا عن طرقهم وأعمالهم الشريرة فارجعوا الى ولا تكونوا مثلهم •

وفى الاصحاح الاول قصة رؤيا رآها زكريا سمع فيها حوارا بين الله وأحد ملائكته الذى سأله : الى متى يا رب لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السنين السبعين(١) ؟ فأجابه بكلام خير وتعزية وقال الملاك لزكريا : ناد قائلا هكذا قال رب الجنود انى قد غرت على أورشليم وصهيون غيرة عظيمة وانى رجعت على أورشليم بالمراحم فيبنى فيها وان مدنى ستعود تفيض خيرا ، ويعود الرب فيعزى صهيون ويختار أورشليم • وتستمر قصة الرؤيا والحوار فى الاصحاح الثانى الى آخر الاصحاح السادس وفيها بشائر وتطمينات وصور لما سوف يكون عليه هيكل الرب من رواء

---

(١) تكرر فى الاسفار ذكر السبعين سنة كمدة للسبى الذى بدأ فى عهد نبوخذنصر مع ان هذا السبى كان سنة ٥٨٩ هـ ثم انتهى سميا فى السنة الثانية من قضاء كورش على مملكة بابل أى سنة ٥٣٨ حيث أمر بالنداء فى مملكته بالاذن لمن يريد ان يعود الى اورشليم من اليهود فكانت عودة القافلة الاولى عقب ذلك .

وفخامة وما يكون عليه يهوشع بن يهو صادق الكاهن العظيم من منظر فخم وسلطان قوى ٠

وفى الاصحاح السابع أن كلمة الرب صارت لزكريا فى السنة الرابعة لداريوس فى مناسبة سؤال أهل بيت ايل للكهنة عما اذا كان يجب أن ينوحوا فى الشهر الخامس كما كانوا يفعلون طيلة سنى السبى ، حيث أمره أن يقول للشعب والكهنة : حين كنتم تصومون وتنوحون فى تلك السنين هل كان صيامكم لي أنا وحين تأكلون وتشربون ألا تأكلون وتشربون لانفسكم ؟ أليس هذا هو ما نادى به الرب على ألسنة الانبياء الاولين حين كانت أورشليم آهلة مطمئنة هى ومدنها من حولها ٠ احكموا حكم الحق واصنعوا الرأفة والمراحم ولا تظلموا الارملة واليتيم والغريب والبائس ولا يفكر أحد بشر على أخيه ، فأبوا أن يصغوا ووقروا آذانهم لئلا يسمعوا وجعلوا قلوبهم كالسامور لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله الرب على ألسنة الانبياء فكان غضب عظيم عليهم وكما ناداهم فلم يسمعوا نادونى فلم أسمع بل فرقتهم كالزوبعة فى كل أمة لم يعرفوها فاستوحشت الارض من بعدهم لا جائز فيها ولا عائد وصارت الارض الشهية قفرا ٠

وفى الاصحاح الثامن بشرى بغيرة الرب على صهيون ورجوعه الى أورشليم وتخليص شعبه من أرض المشرق وأرض المغرب ٠ وفى

الاصحاح التاسع انذار بسوء مصير الفلسطينيين ومدنهم غزة وأسقلون وعقرون واشدود وبشرى بحسن مصير أورشليم واسرائيل • ويستمر الاصحاح العاشر والحادى عشر والثانى عشر ببشارات مماثلة فى صور جميع متنوعة • وفى الاصحاح الثالث عشر توكيد بقطع الاصنام من الارض وازالة الروح النجس والانبياء الكاذبين منهما • وفى الاصحاح الرابع عشر انذار بمجيء يوم تجمع فيه الامم على حرب أورشليم فيتمكنون من أخذها ونهبها وهتك أعراض نسائها وسبى نصف سكانها ثم يخرج الرب ويحارب تلك الامم ويقف قدماه على جبل الزيتون فينشق الجبل بدوى عظيم ولا يكون فى ذلك اليوم نور ويضرب الرب كل الشعوب التى تجندت على أورشليم وتحارب معه يهوذا وتتجمع فى يدها ثروة كل الامم من ذهب وفضة وملابس وخيل وبغال وجمال وحمير ، ويصعد كل من بقى من الامم على أورشليم سنة بعد سنة ليسجدوا للملك رب الجنود ويعيدوا عيد المظال ولا ينزل مطر على من لم يصعد ويسجد •

وقد شاب اصحاحات هذا السفر خيال كثير وتأثرت فيما هو المتبادر من واقع عودة من عاد من بنى اسرائيل من السبى ونجاحهم فى بناء المعبد وانبعاث النشاط والحيوية فيهم ثانية •

وبقى بضعة أسفار صغيرة ليس فيها شىء ذو بال فى صدد تاريخ بنى اسرائيل وسيرتهم • منها سفر ناحوم وهو ثلاثة اصحاحات فى

خمس صفحات • ومن الممكن أن تدل بعض عباراته على أن صاحبه من سبى دولة اسرائيل الى آشور وأنه شهد سقوط المملكة الاشوريه• ويبدأ بعبارة «وقر نينوى بسفر رؤيا نحوم الانفوشى(١)» • وقد حمل السفرعلى نينوى ووصفها بمدينة الدماء وتساءلعمن يرثى لها ويعريها ، وعما اذا كانت خيرا من مدن أخرى دمرت وسبى أهلها وأطفالها ، وخاطب يهوذا بقوله يا يهوذا عبد أعيادك وأوف نذورك فانه لا يعود يمر بك بعد رجال بليعال فقد انقرضوا جميعا • حيث يبدو من هذه العبارات الاستبشار والشماتة بما حل فى نينوى وخلاص يهوذا من سلطانها •

ومنها سفر حبقوق وهو كذلك ثلاثة اصحاحات فى خمس صفحات • ومن الممكن أن تدل بعض عباراته على أن صاحبه شهد غزوات الكلدانيين ليهوذا • ويبدأ اصحاحه الاول بعبارة «الوقر ـ أو الوحى ـ الذى رآه حبقوق النبى ، ثم يحكى مناجاة حبقوق لربه التى تساءل فيها : الى متى يا رب أستغيث ولا تستجيب وأضرع اليك من الظلم ولا تخلص • لماذا تريني الاثم وتشهدنى الاصر ويجرى قدامى الاغتصاب والظلم ويحدث الخصام ويقام النزاع • لذلك تفتر الشريعة ولا يبرز الحكم فائزا لان المنافق يحصر الصديق فيبرز الحكم معوجا ، انظروا بين الامم وأبصروا • تعجبوا وتحيروا• فان عملا

---

(١) هذه الجملة فى النسخة البروتستانتية هكذا « وحى على نينوى بسفر رؤيا ناحوم الالقوشى » •

يعمل فى أيامكم اذا حدث به لا تصدقونه • فهأنذا أثير الكلدانيين الامة المرة التى تسير فى رحاب الارض لترث مساكن ليست لها • انها مرهوبة هائلة ومنها يبرز حكمها ووقرها • خيلها أخف من النمر وأحد من ذئاب الماء وفرسانها ينتشرون ويزحفون من بعيد ويطيرون كالنسر المسرع الى طعامه • يأتون كلهم للخطف وجملة وجوههم الى قدام فيجمعون السبى كالرمل •

وفى اصحاحه الثانى اشارة الى رؤيا رآها حبقوق وأمر الرب بكتابتها وفيها تنديد بالمكثر مما ليس له وانذار للسالب بأن أمما كثيرة ستسلبه ، وتقريع لمن يحرص على سجن شرير لبيته ليجعل عشه فى العلو ويسلم من قبضة الشر ، وانذار بالويل لمن يبنى مدينة بالدماء ويؤسس قرية بالاثم ويسقى صاحبه ويسفح له مرارته ويسكره لينظر الى سوأته • وفى اصحاحه الثالث صلاة وتسابيح وابتهالات من حبقوق للرب •

ومنها سفر عوبيديا وهو اصحاح واحد فى صفحتين ويوصف فى أوله بأنه رؤيا عوبيديا ويسجل خطابا للرب الى أدوم منددا بما كان منها من تجبر ومنذرا بابادة وقرض كل رجل من جبل عيسو لان الادوميين أبناء عيسو جاروا على أبناء يعقوب - بنى اسرائيل - يوم سباهم الغرباء ودخلوا عليهم بل كانوا كواحد منهم مع أنه كان يجب عليهم أن لا يشمتوا بهم فى يوم هلاكهم ، حيث يدل هذا على أن

الادوميين وربما جميع شعوب شرق الاردن وغـــربه من مؤابيين وعمونيين وفلسطينيين وكنعانيين وغيرهم كانوا فى موقف الشماتة بما حل فى دولتى اسرائيل ويهوذا من نكال وتدمير • وهو ما احتـــوت بعض الاسفار اشارات اليه أيضا على ما أوردناه قبل • وفى آخـــر الاصحاح بشرى بنجاة آل يعقوب وارثهم للذين ورثوهـــم ويكونون نارا ولهيبا ويكون آل عيسو عصافة فيضرمونهم ويأكلونهم ولا تكون بقية منهم •

ومن هذه الاسفار سفر ملاخى • وهو أربعة اصحاحات فى خمس صفحات وترتيبه فى النسخة البروتستانتية آخر الاسفار وليس بعده فى النسخة الكاثوليكية الا أسفار المكابيين التى هى من زوائد هذه النسخة • وليس فى السفر ما يمكن الاستدلال به على الحقبـــة التى كان فيها صاحبه • وفيه تنديدات بآثام اسرائيل ويهوذا وكهنة يهوذا وفيه انذار بيوم عظيم رهيب واخبار بأن الرب سيرسل النبى ايليا الى بنى اسرائيل قبل مجيء هذا اليوم •

ويبدأ اصحاحه الاول بعبارة « وقر الرب الى اسرائيل على لسان ملاخى(١) » ثم يذكر بلسان الرب ما كان من عنايته باسرائيل وهـــو يعقوب وتفضيله على أخيه عيسو وغضبه على هذا الاخ وجعله يسكن الجبال المستوحشة ، ثم يندد بالكهنة لازدرائهم اسمه لانهـــم يقربون

---

(١) فى النسخة البروتستانتية عبارة « وحى الرب لاسرائيل من يد ملاخى »

على مذبحه المغصوب والاعرج والاعمى والسقيم . ولذلك فانه غير راض عن تقدمهم .

وفى اصحاحه الثانى انذار للكهنة بأنهم ان لم يسمعوا ويجعلوا مجد الرب فى قلوبهم فانه يرسل عليهم لعنته ويزجر عنهم الزرع ويذرى فرث أعيادهم على وجوههم . ثم يقول لهم ان عهد الرب مع لاوى كان للحياة والسلام والتقوى وشريعة الحق وسار هو على ذلك . أما أنتم فعدلتم عن الطريق . وشككتم كثيرين فى الشريعة . ونقضتم عهد لاوى معى . لذلك أنا أيضا جعلتكم مزدرين وأدنياء عند جميع الشعب . لقد غدر يهوذا وصنع اسرائيل الرجس . ان يهوذا دنس فى أورشليم قدس الرب الذى أحبه وتزوج بنت اله غريب . فالرب يستأصل الذى يصنع هذه الآثام. لقد أسأتم الرب بقولكم : كل من يصنع الشر فهو صالح فى عينى الرب .

وفى اصحاحه الثالث بشارة بمجىء السيد الذى يلتمسونه والذى سيكون ممحصا ومنتقيا ويكون الرب شاهدا حينئذ على الفاسقين والمتفائلين والحالفين زورا والظالمين الاجير والارملة واليتيم والصيادين الغريب ولا يخشونني ، يقول الرب : أنا الرب لا أتغير يا بنى يعقوب. وأنتم لا تفنون . من أيام آبائكم زغتم عن رسومى ولم تحفظوها . توبوا الى أتب عليكم . أيسلب البشر الله . تقولون ماذا سلبناك العشور والقرابين ، قد لعنتم لعنا ثم أنتم تسلبوننى . أنتم الامة كلها.

هاتوا جميع العشور الى بيت الخزانة لكون في بيتي طعام وجربوني، ألا أفتح لكم كوى السماء وأفيض عليكم بركة وأزجر الآكل فلا يفسد لكم ثمر الارض ولا يكون الكرم عقيما • فتغبطكم جميع الامم لانكم تكونون أرضا شهية • لقد اشتدت على أقوالكم • تقولون بم تكلمنا عليك • انكم قلتم عبادة الله باطلة • وما المنفعة في حفظنا محفوظاته وفي مشينا بالحداد أمامه • الآن نحن نغبط المتكبرين • فان صانعي النفاق ابتنوا • جربوا الله ونجحوا •»

وفي اصحاحه الرابع انذار باليوم الآتي المضطرم كالتنور • فيكون به جميع المتكبرين وصانعي النفاق عصافة يحرقون فيه فلا يبقى لهم جرثومة ولا أفنان • وتشرق للمتقين لاسم الرب شمس البر والشفاء ويطأون المنافقين وهم رماد تحت أخامص أقدامهم يوم أعمل أنا • قال رب الجنود : اذكروا شريعة موسى عبدي • هاأنذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الرهيب •

- ١٠ -

وبسفر ملاخي تنتهي الاسفار الواردة في النسخة البروتستانتية من أسفار العهد القديم • وفي النسخة الكاثوليكية يأتي بعده سفر

المكابيين وهما من زوائد النسخة غير أنهما متصلان بحقبة مابعد الحكم الفارسى الذى خضعت لهبلاد الشام ومصرومن جملتها شرق الاردن وغربه منذ سنة ٥٣٨ الى سنة ٣٣٢ ق٠م باستثناء فترات قصيرة كانت البلاد وخاصة مصر تتمرد عليه وتمارس سيادتها فيها ٠

والمستفاد من نصوص الاسفار السابقة والمصادرالتاريخية الاخرى التى أشرنا اليها فى ثنايا فصول سيرة دولتى يهوذا واسرائيـــــل أن المنفيين من بنى إسرائيل الى آشور أولا من دولة اسرائيل والى بابل ثانيا فىدولة يهوذا عقب نسف الدولتين لم يعودوا جميعهم الى فلسطين بل ان العائدين كانوا أقل من المتخلفين، وان معظمالعائدين سكنوا فى أورشليم ومنطقتها التى صارت تعرف باليهودية ، وأن منطقـــــة السامرة ظلت مشغولة بالاقوام الذين أرسلهم سنحاريب وأسرحدون الاشوريين وآسكناهم فيها مكا نالمسبيين من دولة اسرائيل ، وان الفلسطينيين ظلوا يحتفظون بكياناتهم وممالكهم فى الاقسام الجنوبية ، وأن أنسال الشعوب الاخرى العربية الجنس التى كانت موجودة قبل مجيء بنىاسرائيل منمصر مماسمتهمالاسفارالكنعانيينوالاموريين والحويين واليبوسيين والفرزيين الخ ظلوا هم الآخرون يعيشون فى مختلف أنحاء فلسطين محتفظين بشخصياتهم وتقاليدهم فى أثناء قيام دولتى يهوذا واسرائيل وبعد انهيارهما ثم بعد عودة من عاد من بنى اسرائيل من المنفى ٠

- ١١ -

وليس فى أسفار العهد القديم شىء عن تاريخ بنى اسرائيل تحت حكم الفرس الا ما اقتبسناه وأوردناه من أسفار عزرا ونحميا وأستير من نتف تمتد الى عهد دارا الثانى وأرتخشستا الثانى ، ولما كان تاريخ بنى اسرائيل فى فلسطين استمر بعد عودتهم من السبى أمدا غير قصير أى نحو ستة قرون ٥٣٨ ـ ق٠م ـ ٧٠ ب٠م فان تكملة سيرتهم ضرورية لربط لاحقها بسابقها • وليس من بد من التعويل فى ذلك على مصادر تاريخية أخرى بالاضافة الى سفرى المكابيين اللذين يحتويان شيئا من هذا التاريخ عهد سلطان السلوقيين اليونانيين الذى امتد من أواخر القرن الرابع الى أواسط القرن الاول قبل الميلاد (٣١٢ ـ ٦٤ ق٠م)

وقد عولنا فى ذلك بالدرجة الاولى على كتاب مقال فى العبرانيين للمطران الدبس ثم على كتابه الكبير تاريخ سورية ، ثم على تاريخ يوسيفوس اليهودى • والدبس يستند فى كتابه الى مصادر يونانية ورومانية وانكليزية وافرنسية قديمة وحديثة بالاضافة الى تاريخ يوسيفوس وأسفار المكابيين بالنسبة للحقبة التى نحن فى صددها • وتاريخ يوسيفوس مدون فى القرن الاول بعد الميلاد ومؤلفه من رجالات اليهود الذين لعبوا دورا على المسرح السياسى • ومع أنه

شيب بكثير من الخيال والمفارقات فان فيه على ما هو المتبادر حقـائق تاريخية كثيرة أيضا (١) •

ولقد تعاقبت على عرش مملكة الفرس خلال الحقبة التى كانت بلاد الشام ومصر ومن جملتها اليهودية خاضعة لحكم الفرس كورش وقمبيز وخومـاتا ودرباش الاول « دارا » واحشويرش الاول وارتحشستا الاول وأحشوبريش الثانى وسقديان ودرياش الثـانى وأرتحشستا الثالث وأرسيس ودرياش الثالث(٢) •

وكانت هذه البلادتدار من قبل ولاة عامين من الفرس يستندون فى سيطرتهم الى حاميات فارسية • ويظهر أن الفرس كانوا يعينون ولاة أقاليم محليين من شعوب البلاد حيث عرف أن سنبلط الذى مر ذكره كان من أهل السامرة وواليا عليها (٣) وأن نحميا كان واليا على

---

(١) ان تاريخ يوسيفوس الذى فى يدنا ترجمة عربية طبعها ونشرها سليم صادر صاحب المكتبة العلمية ببيروت وليس عليها تاريخ وهى فى ٣٢٨ صحيفـة متوسطة • وقد ذكر الدبس فى الجزء الثانى من كتابه تاريخ سورية احداثا كثيرة مروية عن يوسيفوس لم ترد فى هذه الترجمة او وردت بزيادة او نقص •

وقد قال الدبس (ص ٣٧٦) من كتابه المذكور ان يوسيفوس ولد سـنة ٣٧ وتوفى سنة ١٠٠ ب م وانه كتب تاريخ أمته فى عشرين كتابا (ولعلها عشرون فصلا) بالسريانية وترجمتها الى اليونانية ومنها ترجمة الى اللاتينية والفرنسية وغيرهما، وفى ترجمة صادر التى فى يدنا نبذة طويلة فى تاريخ اليهود واليونان السلوقيين فى حقبة الدولة المكابية استغرقت ثلثيها ونبذة فى الحروب الرومانيـة اليهوديـة استغرقت ثلثها الثالث ، ولا ندرى هـل الترجمة مختصرة من الكتابـين وان كان يبدو لنا ذلك • وحينئـذ تكون زوائـد الدبس من النسختين الاصليتين المطولتين اللتين لم نقدر على الحصول عليهما ؛ وماسوف نعزوه فى هذه النبذة وما بعدها الى يوسيفوس هو مقتبس من ترجمة وطبعة صادر •

(٢) تاريخ كلدة واشور لادى شير ج ١ ص ١٥٣-١٦٣ •

(٣) مقال فى العبرانيين للدبس ص ٦٢٩ •

اليهودية . وهذا عرف من نصوص سفر نحميا التي أوردناها قبل وكان يلقب بالترشانا .

ومما ذكره الدبس من سيرة بنى اسرائيل (١) فى هذه الحقبة نقلا عن مؤرخ اسمه كريتس أنه كان عند اليهود بعد نحميا ندوة شيوخ مؤلفة من سبعين عضوا وقضاة يقضون للشعب منهم يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع . وأن مهمة الندوة كانت مراقبة تطبيق الشريعة وتفسير ما أشكل منها وكان لقب رئيسها أبتدين ، وأن بنى اسرائيل ظلوا موالين للفرس وحياديين في ما كان ينشب فى سورية وفينيقية ومصر من ثورات ضد الحكم الفارسي وفيما نشب كذلك بين الفرس واليونان من حروب خلافا لسورية ومصر وفينيقية ممامرده ما كانوا عليه من هوان وضعف حيوية أوما نالوه من الفرس من عطف وعناية . ومما رواه الدبس أيضا نقلا عن كريتس ويوسيفوس(٢) من أحداثهم أن كاهن اليهودى الأكبر يويادا ع مات فى زمن أرتحشستا الثالث وخلف ولدين فدفع أصغرهما يشوع رشوة لوالى الفرس وقائدهم العام باغواس ليعينه مكان أبيه بدلا من أخيه حنان الاكبر فوعده بذلك ، وأن الاخوين تنازعا على الرآسة فى الهيكل فقتل الأكبر أخاه الاصغر فيه فجاء باغواس وفرض على اليهود ضريبة خمسين درهم على كل خروف يذبح فى الهيكل عقوبة لهم ...

(١ و٢) المصدر نفسه ص ٦٢٩ وما بعدها .

وفى الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد زحف الاسكندر المكدونى الذى صار اليه ملك مكدونيا وبلاد اليونان بعد أبيه فيليب نحو الشرق لمحاربة الفرس امتدادا لما كان من حروب بينهم وبين اليونان فهزم جيوش دارا الثالث فى آسيا الصغرى ثم استولى على بلادالشام ومصربغير عناء كبيرباستثناءصور وغزة اللتين امتنعتا عليه فترة من الزمن ثم كر على العراق واشتبك بجيش دارا مرة ثانيـة فى معركة حاسمة فى أربيل كتب له النصر فيها وكان دارا من جملة هلاكها وبذلك استتبت له السيطرة على مملكته وما كان فى سلطانه من بلاد •

ومما ذكره الدبس ويوسيفوس(١) فى سياق امتزج بالخيال أن الاسكندر أرسل فى جلب المؤن من الجليل والسامرة واليهودية أثناء حصار صور فامتثل السامريون ولبوا طلبه بل وأرسلوا اليه نجدة مؤلفة من ثمانية آلاف وأبى اليهود الامتثال تمسكا بعهدهم وولائهم للفرس فغضب عليهم وزحف على أورشليم للتنكيل بهم فخرج الكاهن الاكبر مع الكهنة والشعب واستقبلوه بموكب دينى وفتحوا له المدينة

---

(١) المجلد الثالث الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس ص ٦٤ وما بعدها وتاريخ يوسيفوس طبعة صادر ص ٢٤ وما بعدها •

وأن الاسكندر كف عن التنكيل بهم وسجد الكاهن بتأثير رؤيا رآها الاسكندر والكاهن فى الوقت نفسه ! ثم ذهب الاسكندر الى الهيكل وقدم هداياه وطلب وضع تمثال له فيـــه فصرفه الكاهن عن ذلك بالحسنى ، وطلب الكاهن واليهود منه اعفاءهم من الجزية سنة فى كل سبع سنين والسماح لهم بممارسة شرائعهم فأجابهم الى طلبهم ، وأنه ذهب بعد ذلك الى منطقة السامرة فاستقبله سنبلط السامرى واليهـــا وصنع له وليمة عظيمة وقدم اليه هدايا نفيسة وطلب منه الســـماح ببناء هيكل فى جبل جرزيم ـ جبل نابلس الجنوبى ـ فسمح له ، وأن صهرا لسنبلط اسمه منسى من اللاويين لم يرد أن يتخلى عن زوجته السامرية وترك أورشليم وأقام عند صهره صار يقوم بمهمة الكهانة فى هيكل جرزيم ، ثم أخذ سنبلط وصهره يقومون بدعاية كبـــيرة لهيكلهم وصاروا يقولون فيما يقولون ان مكانه هو المكان الذى اختاره الله للبركة والذى يجب أن تكون الصلاة فيه والحج اليه بسبب قول موسى انى أجعل البركة على جبل جرزيم(١) ، وأن كثيرا من اليهود تأثروا بالدعاية وأقبلوا على اقامة أعيادهم وطقوسهم فى هيكل جرزيم وحمل نذورهم وهداياهم وعشورهم وذبح قرابينهم فيـــه ، وتركوا قدس الله ـ هيكل أورشليم ـ وعطلـــوه وكثرت بذلك أموال هيكل جرزيم فاستغنى كهنته واستقام حال خدامه وصار علة فى تعطيـــل

---

(١) حكاية البركة لجبل جرزيم واردة فى الاصحاح الحادى عشر من ســفر التثنية والاصحاح الثامن من سفر يشوع .

كثير من حقوق القدس • وقد ظل الهيكل قائما وحالته ميسرةعلى هذا المنوال الى آنولى هركانوس بن شمعون فأخربه، وهركانوس هذا أحد ملوك الدولة المكابية اليهودية على ما سوف نذكره بعد •

- ١٣ -

ولقد تقاسم قواد الاسكندر بعد وفاته الامبراطورية العظيمة التيأنشأهاوالتي كانتتشمل بلاداليونانومكدونيا وآسياالصغرى ومملكة فارس وبلاد الشام والعراق ومصر • وقد دخلت بلاد الشـام ومن جملتها اليهودية فى حكم القائد أوميدون أولا ثم نشب نزاع وقتال تنافسى بين القواد وانتهى الامر بعد معارك وصيال متنـــوع الصفحات امتدعشرين عاما(٣٣٢ــ٣١٢)الى توطدسلطانبطلبموس الذى كانت مصر نصيبه على فينيقية وسورية المجوفة (البقاع وراشيا وحاصبيا وبعلبك) وفلسطين وقبرص ، وسلطان سلوقوس الذى كان متحالفا مع بطليموس ضد أوميدون على سورية الداخلية والشمالية وبين النهرين (١) •

ولقد كان من صفحات هذا النزاع زحف بطليموس على فلسطين

(١) تاريخ سورية الجزء الثانى ص٨٥ـ١٠٦ المجلد الثالث •

لتوطيد سلطانه عليها وتمنع اليهود عليه تمسكا بعهدهم لاومبـدون فاستولى على أورشليم عنوة وعامل اليهود بقسوة وأخـذ منهم أكثر من مائة الف أسير ونفاهم الى مصر •

ولم يلبث خلفاء بطليموس وسلوقوس أن أخذوا يتنازعون عـلى سلطان بلاد الشام لان سلوقوس عز عليه أن يكون لبطليموس سلطان على بعض أنحائها حتى لقد كان تاريخ الدولتين اليونانيتين اللتيـن صارتا تعرفان بدولتى البطالسة والسلوقية سلسلة متصـلة الحلقات من هذا النزاع الذى كان يجر معه الحروب والدسـائس والمؤامرات ، وكان النصر يساجل بين المتنازعين حينا ويكتب لطرف على طـرف حينا ، وقامت بين الدولتين مصاهرة فى فترة من الفترات فكانت من أسباب وعوامل النزاع والدسائس حينا ، ومدت روما اصبعها فى هذا النزاع فى ظرف من الظروف ، ثم استمرت حتى ورثت الدولتيـن أخيرا • وقد تساجلت الدولتان الحكم على البلاد المتنازع عليها مرة بعد مرة وكان حكم السلوقيين أطول • وكان أهل البلاد وبنـو اسرائيل خاصة يتعرضون للشدائد والمحن من جراء تقلب الحكم من دولة الى دولة لانهم كانوا يندمجون في الدسائس والمؤامرات • ولقد ظلت هذه البلاد تحت سلطان البطالسة في عهد بطليمـوس الاول والثاني والثالث ٣١٢ــ٢١٢ ثم انتزعها أنطيوخوس الثالث (٢١٢ــ١٨٧) لفترة من الزمن عادت بعدها الى البطالسة ثم عادت ثانية الى

السلوقيين وظلت تحت سلطانهم الى الفتح الرومانى سنة ٦٤ ق‌م باستثناء فترات قصيرة • ولقد نشأ عن تقلب الحكم فى اليهود فريق متحزب للسلوقيين وآخر للبطالسة فكان كثيرا ما يقع نزاع بين الفريقين وكان السلوقيون حينما يستولون على البلاد ينكلون بالفريق الآخر ويساعدهم على ذلك الفريق المناصر لهم وحينما كان البطالسة يستولون يفعلون نفس الشىء ويساعدهم عليه أنصارهم أيضا • ومع أن الدولتين كانتا تقيمان على البلاد ولاة وقوادا عامين وحاميات فان رؤساء كهان اليهود كانوا بالاضافة الى صفتهم الدينية يمارسون الزعامة المدنية على اليهود ويتولون جمع الجزية وتسليمها أحيانا •

- ١٤ -

ومما عرف من الاحداث المتصلة بتاريخ اليهود فى هذه الحقبة أن بطليموس الثانى (٢٨٢ـ٢٤٧ق‌م) سمح لمائة وعشرين ألفا من أسرى اليهود بالعودة الى اليهودية ، وأنه طلب من أليعسازار رئيس الكهان أن يرسل اليه اثنين وسبعين عالما من علماء التوراة ـ ستة من كل سبط ـ لترجمة أسفار موسى الخمسة الى اليونانية فنفذ الطلب وكان أليعازار على رأس العلماء وتمت المهمة خلال اثنين وسبعين

يوما فكانت الترجمة المعروفة بالترجمة السبعينية فى اللغة اليونانية للاسفار الخمسة(١) • ولقد ذكر يوسيفوس هذا أيضا(٢) وزاد عليه أن بطليموس جعل لكل عالم مسكنا خاصا وحظر عليهم الاجتماع ببعض وزود كل واحد منهم بكاتب حاذق فى اليونانية وأنذرهم بالعذاب والاعدام اذا وجد خلافا فى ترجمتهم وأنه قابل الترجمة فوجدها متطابقة ـ وهذا يوهم أن كل عالم ترجم الاسفار لحدته ـ فابتهج وسر وأمر لاليعازر بجائزة عظيمة ولسائرهم بكثير من المال وأطلق جميع من كان أسيرا فى مصر من سبى اليهود وأمر بصنع مائدة من الذهب عليها صورة أرض مصر والنيل يجرى وسطها ومرصعة بالجواهر الثمينة لتكون هدية منه لبيت الله

ومما ذكره الدبس (٣) أن أدينا رئيس الاحبار تقاعد عن دفع الجزية بضع سنين فى زمن بطليموس الثالث وكان قدر الجزية السنوى عشرين وزنة فأرسل بطليموس عاملا الى أورشليم لارغام اليهود على الدفع وهددهم بالطرد فعظم القلق فى أورشليم ثم أوفدوا رسولا ذكيا استطاع أن ينال حظوة فى عين الملك وجعله يعفى اليهود من معظم المتراكم عليهم •

ولما آل العرش السلوقى الى أنطيوخوس الثالث المسمى بالكبير

---

(١) تاريخ سورية ج ٢ المجلد الثالث ص ١١٢ وما بعدها •
(٢) طبعة صادر ص ٤٩ وما بعدها •
(٣) تاريخ سورية ج ٢ ص ١٤٣ المجلد الثالث •

(٢٢٢-١٨٧ق‌م) بدا منه طموح الى التوسع وبسط السلطان على البلاد الشامية التى فى حيازة البطالسة فنشبت الحرب بينه وبين بطليموس الرابع (٢٢٢-٢٠٥) انتهت بانتصار السلوقى على زميله واستولى هـذا نتيجة لذلك على سورية المجوفة وفينيقية وفلسطين لفترة من الزمن• وفى خلال هذه الفترة ظهر الفريقان المتحزبان للبطالسة والسلوقيين وأخذا يتناصران • وبعد قليل استعاد بطليموس الرابع السلطان عـلى البلاد فاستولى الفريق المناصر له وتعرض المخالفون للتنكيل ، ثم تمكن أنطيوخوس من بسط سلطانه للمرة الثانية فنكل بالحزب المنـاوى• بدوره تنكيلا شديدا حتى جعل كثيرا من أفراده يفـرون الى مصر ويقيمون فيها وينشئون هيكلا على غرار هيكل أورشليم • ثم أخذوا يدسون دسائسهم فى اليهود الباقين فى اليهودية ويحركونهم عـلى السلوقيين واستجاب بعضهم الى الدسائس فأثار ذلك سلوقوس الرابع الذى خلف أباه أنطيوخوس الثالث (١٨٧-١٧٥ ق‌م) المعـروف يقيلوباطر وجعله يشتد عليهم قمعا وتدميرا ، ثم جعل السلوقيين يبذلون جهودهم فى تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعيـة اليهودية الى التقاليد اليونانية • وقد نصب الوالى اليونانى أنتيـوس تمثالا للاله زفس فى هيكل أورشليم وقرب له القرابين وأخذ يدعو اليهود الى المشاركة فى الطقوس اليونانية ويشتد ضد المتمردين عـلى دعوته وقد استجاب كثير من اليهود الى دعوته وأخذوا ينصرفون عن

شرائعهم وتقاليدهم ويندمجون في تقاليد وطقوس اليونانيين كما كان شأنهم حينما طرأوا على أرض كنعان .

وقد تمرد بعضهم وتمسك بالتقاليد الموسوية ، فوشى الفريق الآخر بهم فتعرضوا للتنكيل الشديد، كما أن السلوقيين اشتدوا في ارغام الناس على تقاليدهم وترك التقاليد الموسوية فأدى ذلك الى انفجار الثورة التي عرفت بالثورة المكاريه والتي انبثق منها دور استقلالي لبني اسرائيل امتد نحو مائتين وثلاثين سنة حيث انفجرت سنة ١٦٠ق م وامتدت الى سنة ٧٠ ب م وتمتع بنو اسرائيل خلال هذه المدة بشيء من الكيان المستقل والسيادة في بعض الفترات . وكان استقلالهم في أكثر المدة ذائبا تحت سيادة السلوقيين ثم الرومان يضيق ويتسع حسب الظروف . وقد ساعد على تطور الثورة ونجاحها ما كان بين السلوقيين والبطالسة ثم بين السلوقيين أنفسهم من تنافس ونزاع .

ويعتز اليهود بهذه الثورة ويعدونها من مفاخرهم العظمى . وقد تكون حقا كذلك من حيث بواعثها وسيرتها . غير أنها شيبت بمعكرات كثيرة من اليهود أنفسهم مما هو شنشنة بني اسرائيل الدائمة فأضعفت نتائجها ومفخرتها . فاليهود لم يندمجوا جميعهم فيها . بل كان كثير منهم يكيدون لها ولرجالها في مختلف المناسبات والاشكال . وظل كثير منهم على انحرافهم الخلقي والديني . وكان كثير منهم يحالفون السلطات السلوقية ثم الرومانية ويتعاونون معها ضد الحركة . وكثيرا

ما كان بنشب خلافات ومنازعات ومكائد دينية وتنافسة بين رجــال الحركة تراق فيها الدماء الغزيرة ويسام الناس فيها الجوروالخسف وتؤدي الى الاضطراب والارتباك ، وقد كان كل هذا من أسباب قصر مدة سيادة المكابيين التامة وخضــوعهم فى أكثر مدتهم للسيادة الخارجية كما أدى الى انهيار دولتهم أخيرا على ما سوف نشرحه فى الفصل التالي الذى جعلناه فصلا مستقلا .

دور المكابيين الى تدمير أورشليم

- ١ -

لقد اختلفت الاقوال فى سبب تسميتها باسم المكابيين الذى كان يطلق على زعماء الثورة فقط . وليس فى أسفار المكابيين التى يدور الكلام فيها حول مقدمات الثورة وسيرتها فى حقبتها الاولى ولا فى تاريخ يوسيفوس الذى استغرقت أحداثها معظمه تعليل ما لهذا الاسم . وقد ذكر المطران الدبس بضعة تخريجات للتسمية تبادر لنا أن أوجهها كونها مشتقة من كلمة مكابا العبرية التى تعنى المخبأ لان زعماء الثورة اختبأوا أولا فى المغاور حتى هيأوا أنفسهم للثورة ..

وأحداث الثورة المكابية مذكورة فى المصادر الثلاثة التى ما فتئنا نذكرها ونعول عليها وهى سفرا المكابيين وتاريخ يوسيفوس والجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس (المجلد الثالث والمجلد الرابع) .

ولما كان معظم ما أورده الدبس مقتبسا من المصدرين المذكورين فقد رأينا الاكتفاء بهما نحن أيضا الا اذا كان فى الدبس زوائد مهمة .

وسنبدأ بأسفار المكابيين لانها احتوت كما قلنا آنفا مقدمات الثورة وسيرتها فى حقبتها الاولى •

- ٢ -

والسفران هما من زوائد النسخة الكاثوليكية • ويدوران حول تاريخ اليهود فى القرن الثانى قبل الميلاد فى عهد دولتى السلوقيين والبطالسة ثم فى عهد ثلاثة من زعماء المكابيين مع أسباب انفجار الثورة •

ولا يخلو السفران من المفارقات والمبالغات والتهويلات كسائر الاسفار • ومع ذلك ففيهما حقائق تاريخية كثيرة متطابقة مع ما أثر من مدونات اليونان القديمة التى احتوت سيرة الدولة السلوقية •

ولقد جاء فى آخر السفر الاول منهما هذه الجملة « وبقية أخبار يوحنا وحروبه وأعماله مكتوبة فى كتاب ايام كهنوته الاعظم منذ تقلد الكهنوت الاعظم بعد أبيه ، حيث تفيد أن رؤساء المكابيين كانوا يدونون اعمالهم فى سجلات خاصة بهم كما كان شأن ملوك بنى اسرائيل وقد ضاعت هذه السجلات كما ضاعت تلك ، وأن كتاب أسفار المكابيين قد استندوا الى هذه السجلات

التى دونت فى ظروف الحركة كما كان يفعل كتاب أسفار الملوك وأخبار الايام المتداولة على ما ذكرناه قبل وقد اختلطت فيهما الحقائق بالخيال والمفارقات مثلها •

هذا مع التنبيه على ان السفر الثانى ليس امتدادا للسفر الاول بل كل منهما مستقل عن الآخر • وفى الثانية تكرار لبعض ما فى الاول بشىء من الزيادة والنقص والخلاف والمناقضة ، وأسلوب الثانى أسلوب حكاية لاحداث سابقة أكثر منه اسلوب تدوين تاريخى خلافا للاول ، وقد كتب ، على ما يمكن ان يدل عليه أسلوب الاصحاح الأول والثانى وفحواهما ، بشكل رسالة من يهود أورشليم الى يهود مصر ، حيث يدل كل ذلك على ان كل سفر كتب من قبل كاتب غير كاتب السفر الآخر وفى أوقات مختلفة من المرجح أنها قبل الميلاد المسيحى وان لم يمكن تعيينها بشىء من الجزم والوثوق •

- ٣ -

والسفر الأول ستة عشر اصحاحا فى أربع وخمسين صفحة• وقد ابتدأ اصحاحه الاول باشارة خاطفة الى الاسكندر المكدونى وفتوحاته وموته واقتسام مملكته من قبل «عبيده» ولبسهم

التيجان وخلافة أبنائهم لهم فى الملك ثم قال « وخرج منهم أصل خاطىء وهو أنطيوخوس ابى قانيس بن أنطيوخوس الملك سنة ١٣٧ لملك اليونانيين (١) » ، وفى تلك الايام خرج من اسرائيل أبناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين لهم هلم نعقد عهدا مع الامم حولنا فانا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة ، فحسن كلامهم وانطلق فريق منهم الى هذا الملك فاعطاهم اذنا بان يعملوا حسب أحكام الامم — أى خلافا للشرائع الموسوية — فابتنوا مدرسة فى أورشليم حسب سنن الأمم وعملوا غلفا وارتدوا عن العهد المقدس ومازجوا الامم وباعوا أنفسهم لصنيع الشر .

وهكذا يقرر السفر فى بدئه ما كان من انحراف بنى اسرائيل الدينى والخلقى وتأثرهم بالأمم الوثنية فى شرائعهم وسننهم كما كان شأنهم دائما .

ثم ذكر الاصحاح طموح أنطيوخوس الى التبسط ، وغزوه لمصر ثم زحفه على أورشليم ونهبه جميع النفائس والاوانى المقدسة الذهبية وغيرها من المعبد ، وقتله لجم غفير من أهلها وما كان من جراء ذلك من حزن اسرائيل ومناحاتهم وعارهم .

ثم ذكر أن أنطيوخوس أرسل بعد سنتين رئيس الجزية الى

---

(١) هذا التاريخ يصادف سنة ١٧٥ ق.م لان دولة السلوقيين اليونانية التى هى ملك اليونانيين قامت سنة ٣١٢ ق.م كما حسبها الباحثون (انظر تاريخ سورية للدبس الجزء الثانى) ص ٩٠ وما بعدها المجلد الثالث .

مدن يهوذا وأورشليم فضرب أورشليم ضربة عظيمة وسلبها وهدم بيوتها وأسوارها وسبى نساءها وأولادها ، وحصن مدينة داود وأقام فيها « أمة أثيمة ورجالا منافقين » أى حامية مختلطة من اليونانيين والاسرائيليين فصاروا يعتدون على أهل أورشليم قتلا ونهبا وتدنيسا لمقدساتها مما جعل أهلها يهربون منها وتغدو قفرا خرابا .

ثم ذكر ان الملك كتب الى جميع مملكته أمرا بان يكون جميع السكان على شريعة واحدة وأن يترك كل واحد شريعته الخاصة (والمتبادر ان الشريعة التى أريد تعميمها هى الديانة والتقاليد اليونانية) فأذعنت الامم بأسرها كما أذعن كثير من الاسرائيليين وذبحوا للاصنام ودنسوا السبت ، وأرسل الملك رسلا الى يهوذا لاجبار الممتنعين على اتباع سننه والامتناع عن الذبح والسكب فى المقدس (الهيكل) وبناء المذابح والمعابد للاصنام وأكل الخنزير وتدنيس السبوت والاعياد والمقادس وترك الختان ، وأمرهم بقتل من لا يعمل بمقتضى أمر الملك ، فانضم كثير من الشعب الى سنن الملك ونبذوا الشريعة : ولجأ كثير آخرون الى المخابىء ؛ وقتل كثير من الممتنعين وخاصة من النساء اللاتى ختن أبناءهن وعلق الأطفال المختونون فى رقابهن .

- ٤ -

وجاء فى الاصحاح الثانى : أنه كان من الخارجين من أورشليم متيتا بن يوحنا بن سمعان • وكان كاهنـا من بني يوياريب مع خمسة من أولاده • هم : يوحنا وسمعان ويهوذا الملقب بالمكابى والعازار ويوناتان ، وقد ذهبوا وسكنوا مدينة اسمها مودين (١) وكانوا فى حزن وحسرة شديدة على ما صارت اليه حالة أورشليم ومقدسها وأهلها • وجاءت رسل الملك الى هذه المدينة لاجبار أهلها على سنن الملك ونبذ أحكام التوراة وطلبوا من متيتـا أن يبدأ هو وأولاده بامضاء أمر الملك لانه رئيس المدينة ومنـوه برضاء الملك وكرمه وهداياه فرفض قائلا : لو أطاعت الملك كل الامم وارتد كل واحد عن دين آبائه فانه واولاده سيبقون على عهد آبائهم • وفى هذه الاثناء تقدم يهودى ليذبح على المذبح الذى أنشأه الملك فوثب عليه متيتا وقتله ثم وثب على رسول الملـك فقتله ثم خرج الى الجبال قائلا : ليلحقنى كـل من يغار على الشريعة ، فتبعه كثيرون فكان ذلك اعلانا للثورة •

وعلم عمال الملك وجيشه فى أورشليم بما جرى فأرسلوا حملة كبيرة على الثائرين وكان يوم سبت فامتنع الثـوار من الحرب

---

(١) يقول الدبس فى الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ سورية ص ٢٢٦ ان مؤلف كتاب الارض المقدسة حقـق ان مودين هذه هى المسماة اليوم باسـم «المدية» فى جوار اللد وانه عثر فيها على مدافن المكابيين •

واغتنم الجيش الفرصة فأخـــذوا يفتكون فى الناس حتى قتلوا ألفا منهم ، وحينئذ قرر متيتا ومن انضوى اليه القتال ولو كان فى يوم السبت فهاجموا الحملة بقوة وحماس وتمكنوا من قتـل كثير منها وهزيمة البقية وتشجع متينا وتحمس من النتيجة فأخذ يطوف فى أرض اسرائيل ويهدم المذابح الوثنية ويختن الاولاد الغلـف .

ولما حضرته الوفاة وصى بنيه بالسير على منواله فى الغيرة على الشريعة وبذل النفوس فى سبيل عهد الآباء وعين ابنه يهوذا رئيسا للجيش والقتال وسمعان مستشارا وأبا لهم حسب تعبير الاصحاح

– ٥ –

وذكر الاصحاح الثالث أنه لما توفى قام مكانه يهوذا المسمى بالمكابى حسب الوصية . وانضم اليه وايده اخوته وأنصـاره . وقد تعقب المنافقين وأحرق الذين يفتنون الشعب واشـتهر الى أقاصى الارض . وزحف أبلونيوس قائد السلوقيين بجيش عظيم من السامرة فخرج يهوذا الى لقائه وأوقع بجيشه مقتلة عظيـمة وكان هو من القتلى وانهزم الباقى واستولى اليهود على غنائـم عظيمة كان من جملتها سيف أبلونيوس نفسه الذى كان يهـوذا

يقاتل به كل الايام • ووصل خبر الثورة الى عاصمة الملك فخرج قائد الجيش العام سارون على رأس حملة عظيمة • وخرج يهوذا الى لقائه والتقى الفريقان فى عقبة بيت حورون • وفزع رجال يهوذا فشجعهم وطمنهم وذكرهم بما كان من تأييد الرب لاسرائيل وقال لهم : نحن نحارب دفاعا عن نفوسنا وسننا وهم يحاربون لظلمنا ثم هاجم الحملة فكسرها وهزمها ، فزادت الواقعة اسم يهوذا صيتا • واشتد غضب أنطيوخوس وسير حملـــة جديدة بقيادة قائد اسمه بطليماوس وانضم اليها كثير من الأمم الاخرى، وصام بنو اسرائيل وصلوا وابتهلوا ثم نفخوا بالابواق والتحموا مع الحملة • وقد وصف الاصحاح الرابع المعارك التى دارت بين الطرفين وذكر أنها دارت على المهاجمين الذين استطاع يهــوذا ورجاله أن يكسروا فرقهم واحدة بعد أخرى وأن يغنموا كــثيرا من أسلابهم وأنفالهم ومؤنهم وذهبهم وفضتهم •

وسير السلوقيون حملة جديدة وكان مصيرها كالاولى على ما ذكر الاصحاح نفسه بما أبداه يهوذا ورجاله من بطولة وبابتهالاتهم للرب • ثم صعد الى أورشليم فوجد المقدس خاليا والمذبـــح منجسا والأبواب محرقة والغرفات مهدومة فناح هو وجماعته ثم طهروا المقادس وجددوا المذبح ووضعوا ما تقتضيه الرسوم من أوان وادوات وذبحوا وصلوا ثم ضربوا الحصار على قلعة داود •

- ٦ -

ومما جاء فى الاصحاح الخامس ان الأمم التى من حولهم لما سمعوا أن المذبح قدس ثانية استشاطوا غضبا وأخذوا يمدون أيديهم بالقتل لبني اسرائيل فتصدى لهم يهوذا وحارب أولا بنى عيسو وضربهم وسلبهم ثم حاصر بنى بيبان وأبسلهم وحرق بروجهم ومن فيها ثم عبر الى بنى عمون وكسرهم واستولى على يعزير (١) وتوابعها من أرضهم • واجتمعت الشعوب على الاسرائيليين فى جلعاد ــ شرق الاردن ــ من الشرق وعلى الاسرائيليين فى الجليل من الشمال ، فاستنجد هؤلاء وأولئك بيهوذا فأرسل فرقة من رجاله بقيادة أخيه سمعان الى الجليل وقاد أخرى الى جلعاد •

وقد ذكر الاصحاح أن كلتا الفرقتين نجحتا واستطاعتا أن تكسرا الامم المتجمعة على الاسرائيليين فى الناحيتين وتقتلا منهم كثيرا وتسلبا غنائمهم وتدمرا مدنهم وحصونهم • ولكنه ذكر الى هذا أنهما أحضرتا معهما الى اليهودية جميع من كان فى جلعاد والجليل من الاسرائيليين ، حيث يفيد هذا أن الاسرائيليين لم يحرزوا نصرا ساحقا وخشوا أن يتعرض الاسرائيليون لهجمات

---

(١) يقول الدبس فى الجزء الثانى من تاريخ سورية المجلد الثالث انها المعروفة اليوم باسم بيت زرعة على الارجح ص ١٨٣ .

جديدة . وقد ذكر الاصحاح أن القواد المكابيين كانوا يقتلون كل ذكر بحد السيف فى المدن التى يستولون عليها ومما ذكـــر فى السياق أن قائدين خلفهما يهوذا فى أورشليم سمعا ما كان مـــن نجاح الحملتين فحدثتهما نفساهما ان يأتيا بعمل مماثل فزحفا على مدينة اسمها يحنيا فى الغرب فخرج أهلها للقائهما وهزموهمـــا وقتلوا ألفين من رجالهما .

وانتهى الاصحاح بالقول « وعظم الرجل يهوذا واخـــوته فى عيون كل اسرائيل وجميع الامم وقصد يهوذا أرض الاجانـــب وجال فى السامرة وهدم مذابح أشدود وسلب غنائمها .

وبقطع النظر عما يمكن أن يكون فى السياق من خيال وتناقض فالمستفاد منه ان أنحاء فلسطين المختلفة كانت وظلت كما قلنا قبل مشغولة بسكانها من غير الاسرائيليين وانهم كانوا يقفون من بنى اسرائيل موقف العداء والتربص ويتحينون كل فرصة لازعاجهم وضربهم وان ذلك كان شأن سكان البلاد المتاخمـــة أى شرق الاردن وفينيقية أيضا . وهذه ظاهرة كانت وظلت تتـــكرر فى مختلف حقب التاريخ على ما مر بيانه . ومردها ما كان وظـــل يبدو من بنى اسرائيل من أنانية واستعلاء على الغير وشره الى ما فى يده واستحلال له ، وشراسة فى تعاملهم معه وقسوة رهيبـــة حينما كانت تسنح الفرص لهم فيه . ويظهر أن يهوذا لم يكن واثقا من قدرته على حماية الجاليات الاسرائيلية فى الجليـــل وجلعـــاد

فسحبها الى اليهودية ، حيث يبدو من هذا المبالغة فى وصف قوة يهوذا وصولاته وشدة ضربته للشعوب المجاورة . ولقد ذكر الاصحاح السادس ان قلعة داود ظلت مستعصية على يهوذا وان الذين ظلوا يصدون اسرائيل عن دخول المقادس ويحاولون الاضرار بهم من كل جانب وتوطد الامم بينهم ، ويبدو من هذا كذلك ما فى وصف قوة يهوذا وصولاته وانتصاراته من مبالغة أيضا .

وقد ذكر هذا الاصحاح أن يهوذا حشد جميع الشعب لحصار القلعة والتضييق على الذين فيها ونصب عليها المجانيق والقذافات فخرج منهم نفر وانضم اليهم نفر منافقون من اسرائيل وانطلقوا الى الملك ـ وكان أنطوخيوس الرابع قد توفى فى جولة له فى بلاد فارس وجلس على العرش ابنه أنطوخيوس الخامس أو باتور ـ وأخذوا يحرضونه على يهوذا ويذكرون له ما نفعله فى البلاد ويخوفونه من العواقب حيث يفيد هذا أن جماعات من بنى اسرائيل كانوا يحتفظون بالولاء للسلوقيين دون يهوذا ولم يندمجوا فى الحركة المكابية وكانوا يناوئونها . وقد غضب الملك وحشد جيشا عظيما قوامه مائة الف راجل وعشرون ألف فارس وفيه اثنان وثلاثون فيلا مضراة على الحرب وسار على رأسه . وأخذت المناوشات تقع والنصر يتساجل بين الطرفين على مايستفاد من وصف الاصحاح . ولكن الاصحاح قال ان اليهود لما راوا

سطوة الملك وبطش الجيوش ارتدوا الى أورشليم وتحصنوا فى حصن صهيون فزحف الملك وحاصرهم ونصب القذافات والمجانيق وصنع اليهود مثله واستمر التراشق من فوق الاسوار اياما كثيرة وأخذ الجوع يغلب على اليهود ، وان القائـــــد الذى كان مع أنطيوخوس الرابع فى جولته رجع فتخوف الملك من مخامرتـــه وجنح الى مهادنة اليهود واستجاب اليهود بدورهم الى ذلك ، وحلف الملك والرؤساء لهم وحينئذ فتحوا لهم الحصن فدخلوه وأمر الملك بهدم سوره ثم انصرف مسرعا الى أنطاكية •

والكلام يفيد أن سادة السلوقيين عادت ثانية على اليهود وان زعماء الثورة قبلوا بها •

- ٧ -

وذكر الاصحاح السابع خبر انقلاب وقع على العرش السلوقى استولى ديمتريوس ابن سلوقوس نتيجة له على السلطان وقبض على أنطيوخوس الخامس وقتله ، ثم قال ان جميع رجال النفاق والكفر فى اسرائيل على رأسهم الكيمس (١) الذى كان طامعـــا

---

(١) يسميه الدبس الياقيم او يواقيم ويقول انه سمى نفسه الكيمس بالصيغة اليونانية تزلفا لليهود . تاريخ سورية ج ٢ ص ٢٠١ المجلد الثالث .

بمنصب الكاهن الاعظم جاءوا الى الملك الجديد ووشوا على الشعب وقالوا له : ان يهوذا واخوته أهلكوا انصار الدولة وطلبوا ارسال محقق ومعاقبة يهوذا وأعوانه فعين الملك أمير عبر النهر واسمه بكيدانس وأمره بالانتقام من بنى اسرائيل وعين الكيمس الذى نعته الاصحاح بنعت الكافر كاهنا اعظم وجاء الاثنان الى اليهودية مع جيش كثيف واتخذ خطة المكر والتظاهر بالسلام وقبضا على ستين مقدما وقتلوهم فوقع الرعب والخوف على جميع الشعب • وارتحل بكيدانس بعد ذلك عن أورشليم ونزل بيت زيت وأرسل وقبض على كثيرين من الذين كانوا خذلوه وعلى بعض الشعب وذبحهم وألقاهم فى الجب العظيم ثم سلم البلاد الى الكيمس وأبقى معه جيشا يؤازره واجتمع الى الكيمس الذى كان يمارس الكهنوت الاعظم جميع المفسدين فى الشعب واستولوا على أرض يهوذا وضربوا اسرائيل ضربة عظيمة • ورأى يهوذا جميع الشر الذى صنعه الكيمس ومن معه فى بنى اسرائيل وكان فوق ما صنعت الامم فخرج الى جميع حدود اليهودية وأنزل نقمته بالقوم الذين خذلوه • ويلمح تناقض عجيب فى الكلام • فيهوذا لا يجرؤ على قتال الكيمس ولكنه يسرع الى قتال الذين خذلوه !

ويستمر الاصحاح فى السياق فيقول : ان الكيمس رأى أن يهوذا أخذ يقوى فرجع الى الملك وحرضه فأرسل حملة جديدة

بقيادة قائد اسمه نكاتور • وحاول هذا ان يمكر بيهوذا فأخفق وابتهل يهوذا للرب ثم التحم مع جيش نكاتور فكسره وهزمه وكان نكاتور فى جملة القتلى ، ونفخوا وراءهم بالابواق وتعقبوهم وخرج الناس من جميع قرى اليهودية يساعدون يهوذا ورجاله على الهاربين حتى قتلوا جميعهم وغنمت أسلابهم واحتز رأس نكاتور وجيء به فعلق قبالة اورشليم وجعل يوم النصر عيدا سنويا وهدأت ارض يهوذا أياما يسيرة •

وواضح من السياق ان الاسرائيليين كانوا منقسمين متنافسين فأدى ذلك الى ما كان من وشاية وتحريض وقتال انتقضت به الهدنة •

- ٨ -

ويقول الاصحاح الثامن ان يهوذا سمع باسم الرومانيين وقدرتهم وحروبهم وحفظهم الود لمن يحالفهم فأرسل رسولين الى روما لعقد عهد موالاة ومناصرة بينهم وبين اليهود ليرتفع به نير دولة اليونان عن اسرائيل ، وان الرسولين لقيا ترحيبا واستجابة وان الرومانيين كتبوا عهدا على لوح نحاس وأرسلوه معهما وكان فحواه فحوى محالفة بين الطرفين يتعهد فيه كل

منهما بمناصرة الآخر اذا ما وقع عليه حرب على أن يكون كل منهما مكلفا بما يحتاج اليه جيشه المناصر من سلاح وطعام ومال ووسائل نقل • وجاء فى الكتابة ان الرومانيين كتبوا الى دمتريوس يعلنون له أن اليهود غدوا أولياءهم وانهم سيقاتلونه برا وبحرا اذا عاد الى ظلمهم وأذاهم •

ولم يذكر السفر أنه كان لهذه المحالفة أثر فى المجال التنفيذى مع أن السلوقيين زحفوا على اليهود وحاربوهم مرة بعد مرة • ومع ذلك ففى الحركة على أى حال أثر دهاء ومكر فيما قصدت اليه من التواثق مع الرومان وجعلهم يتدخلون فى شئون السلوقيين ولعل ما كان يلم بروما من ارتباك وفتن تنافسية قد حال دون ظهور ذلك الاثر •

- ٩ -

ويقول الاصحاح التاسع ان ديستريوس لما سمع بما حل فى جيوشه ارسل حملة جديدة بقيادة الكيمس وبكدانيس فنزلا أولا على أورشليم ثم زحفا على بئروت التى ينزل فيها يهوذا مع ثلاثة آلاف من رجاله والتى يحتمل ان يكون موضعها هو المعروف اليوم باسم البئرة قرب أورشليم للشمال ، وان جماعة يهوذا

لما رأوا كثرة العدو خافوا خوفا شديدا وأخذوا يفرون تسللا حتى لم يبق مع يهوذا الا ٨٠٠ رجل ولكن يهوذا بقى ثابتا والتحم مع الزاحفين فى معركة حامية دارت الدائرة فيها عليه وقتل فى جملة من قتل من رجاله . فكانت له مناحة عظيمة .

ويستمر الاصحاح فيقول : ان المنافقين برزوا بعد وفاة يهوذا فى جميع تخوم اسرائيل وعين الكيمس وبكدانيس الكفرة رؤساء على البلاد فأخذوا يتتبعون اصحاب يهوذا ويأتون بهم الى الكيمس فينتقم منهم ، وان أصحاب يهوذا اجتمعوا ووسدوا القيادة ليوناتان مكان اخيه وعلم الكيمس بذلك فنشط الى مطاردتهم فهربوا الى برية تقوع فعبر الاردن متعقبهم . وقد استمر الصيال طويلا وقاسى يوناتان وجماعته منه البلاء الكبير وقد أنشأ الكيمس مدنا حصينة جعل فيها حاميات كانت تعتدى على أنصار يهوذا ، وأخذ أبناء قوادهم رهائن وهدم حائط دارالمقدس الداخلية (المعبد) ولم ينته شره الا حينما أصيب بالفالج ومات بعد عذاب شديد .

على أن البلاء لم ينته . فان يوناتان وجماعته لم يستريحا الا نحو سنتين ثم ائتمر المنافقون على ما ذكر الاصحاح وقالوا ان يوناتان وجماعته هادئون فى منازلهم وذهبوا الى بكيداس امير عبر الاردن ليحرضوه عليهم . وزحف هذا بجيش كثيف وبعث الرسل الى أنصاره فى اليهودية . وانسحب يوناتان وجماعته الى بيت

حجله فى البرية فتحصن فيه فضرب بكيدانس عليه الحصار الذى طال حتى أسأمه وجعله يحول نقمته الى المنافقين ، وأرسل يوناتان يعرض عليه المصالحة وتبادل الاسرى فقبل وحلف له وانصرف وزال السيف عن اسرائيل وسكن يوناتان مكماش ـ التى يقوم مكانها اليوم قرية مخماس فى منطقة رام الله على الاغلب ـ واخذ يقوى نفسه وينكل بالمنافقين •

والسياق يفيد أن يوناتان ظل تحت سيادة السلوقيين لان بكيدانس كان يعمل تحت سيادتهم •

- ١٠ -

ويذكر الاصحاح العاشر خبر استيلاء أمير سلوقى اسمه الاسكندر على مدينة بطليمايس التى يقوم اليوم مكانها مدينة عكا ومناداته بنفسه ملكا عليها متمردا بذلك على الملك السلوقى ديمتريوس وتأهب هذا لقتاله وارغامه ، ثم يقول ان ديمتريوس كتب الى يوناتان يجدد معه عهد السلم ويأذن له بجمع الجيوش والتسلح ليكون له مناصرا ويعده برد ماالديه من رهائن ، وانه فعل ذلك لئلا يسبقه خصمه اليه ، وان يوناتان جاء الى أورشليم وتلا كتاب ديمتريوس على الشعب واخذ ينشط فى تجديد المدينة

وتحصين جبل صهيون ؛ وان المنافقين والمرتدين والغرباء خافوا خوفا شديدا وأخذوا يهربون من البلاد ، وان الاسكندر سمع بما كان من كتابة ديمتريوس ووعوده ليهوذا فارسل هو الآخر كتابا يطلب فيه الولاء له ويعلن اقراره فى الكهانة العظمى ويسميه ولى الملك . وأرسل اليه أرجوانا — ثيابا رسمية حمراء — وتاجا من الذهب فتقبل يوناتان الهدية ولبسها ، وان ديمتريوس عاد فكتب اليه حينما علم بتقرب الاسكندر طالبا منه الثبات على الولاء وواعدا اياه بحط قسم كبير من الضرائب والتكاليف واعتبار اورشليم مقدسة معفاة ، واعادة كل السبى . وحرية ممارسة الاعياد والسنن ، وفتح باب التجنيد لثلاثين الفا من اليهود ومساواتهم فى كل شىء مع جنود الملك . وابقاء مدن ثلاث من السامرة ملحقة باليهودية (١) والاعتراف بسلطانه ككاهن أعظم . ووقف بطليمايس وما يتبعها على الهيكل وتخصيص خمسة عشر الف مثقال من الفضة لنفقات الهيكل من الملك خاصة بالاضافة الى ذلك ، والسماح بتحصين أورشليم على نفقته الخ . . حيث يبدو ان الخلاف بين السلوقيين هيأ فرصة ثمينة لقوة يوناتان والحركة المكابية فى هذه الحقبة وجعل كلا من المتنافسين يخطبون وده .

---

(١) هى (اقيرمه) التى يخمنها الدبس فى الجزء الثانى من تاريخ سورية بانها قرة الراليم المعروفة بالطيبة و (لدة) التى هى اللد كما يقول الدبس و(الرمتاليم) التى لا يذكر الدبس هويتها . انظر الجزء الثانى من تاريخ سورية ص ٢١٧ .

وقد ذكر الاصحاح ان الاسرائيليين لم يؤخـــذوا بالوعود وظلوا متربصين وزحف ديمتريوس على بطليمايس وأنشب القتال مع الاسكندر فدارت الدائرة عليه وكان هو من القتلى فاستتب ملك بطليمايس ومنطقتها للاسكندر الذى تصاهر مع ملك مصر البطليموسى وتقوى بذلك مركزه وقد استدعى يوناتان فذهـب اليه فى موكب مجيد على ما يذكر الاصحاح وأهدى له ولملك مصر الذى كان عنده هدايا كثيرة من ذهب وفضة فنال حظوة عندهما . وحاول مفسدون من اسرائيل ان يشوا به فلم يصغ الاسـكندر اليهم وألبس يوناتان خلعة أرجوانية وأجلسه بجانبه وأمر بـأن لا يتعرض له أحد ، وأقامه قائدا او شريكا له ، فعاد الى أورشليم سالما مسرورا .

وهذا يفيد كذلك أن التنافس بين السلوقيين وطد مركـز يوناتان ككاهن اعظم وزعيم على اليهودية ولكنه ظل فى الوقت نفسه تحت سيادتهم .

ومما ذكره الاصحاح ان قائد السلوقيين فى عهد ديمتريوس ابن ديمتريوس الذى تولى العرش بعد قتل أبيه جاء بحشد عظيم ونزل فى يمينا قرب يافا وأرسل الى يوناتان يقول له : ليس لنا من مقاوم غيرك ويدعوه الى النزول من الجبال الى السهل والتبارز معه ان كان واثقا من جيشه ، وأخذ ينتقص من شجاعته ويتيـه بما معه من قوة فاغتاظ يوناتان وتحمس ونزل على رأس عشرة

آلاف منتخب وذهب الى يافا فحاصرها واستولى عليها ثم التحم مع القائد السلوقى فى معركة دارت الدائرة فيها على السلوقيين وقتل منهم مقتلة عظيمة واستولى يوناتان نتيجة لذلك على أشدود وأشقلون (اسدود وعسقلان اليوم) ورجع الى أورشليم ظافرا غانما مما جعله يزداد مجدا فى نظر الاسكندر ، ويبعث اليه بعروة من الذهب ويهبه مدينة عقرون وتخومها ملكا .

- ١١ -

ويذكر الاصحاح الحادى عشر طموح بطليموس ملك مصر الى بسط سلطانه على مملكة صهره وزحفه بجيش كثيف وتآمره مع ديمتريوس ملك سورية وانتزاعه ابنته من الاسكندر وتزويجها لديمتريوس مما جعل الاسكندر يفر الى ديار العرب ووطد سلطان ديمتريوس على بطليمايس ثانية . وقد اغتنم يوناتان فرصة انشغال السلوقيين والبطالسة ببعضهم فأخذ يقوى نفسه ويشدد الحصار على قلعة مدينة داود . وقد ذهب جماعة من المنافقين مبغضى امتهم ــ ويعنى من بنى اسرائيل ــ الى ديمتريوس يخوفونه من نوايا يوناتان ويحرضونه عليه فجاء الى بطليمايس واستدعى يوناتان فذهب اليه وقدم له هدايا كثيرة فنال حظوة

عنده وأقره فى الكهنوت الاعظم وطلب يوناتان منه اعفاء اليهودية من كل جزية مقابل ثلاثمائة قنطار (لا يذكر جنسها) فاجابه الى طلبه وكتب له بذلك عهدا •

وعادت الفتن التنافسية ثانية بين السلوقيين على ما جاء فى الاصحاح نفسه فاستنجد ديمتريوس بيوناتان فأمده بثلاثة آلاف مقاتل أبلوا بلاء عظيما فى أنطاكية وخلصوا الملك من ورطة كاد يذهب فيها • ولما قضى على الفتنة انعم عليهم وأعادهم بهدايا وغنائم كثيرة • ثم عادت الفتن ثانية وكتبت الدائرة هذه المرةعلى ديمتريوس غير ان الملك الجديد انطيوخوس جنح الى المسالمة مع يوناتان فأقره على الكهانة العظمى وأرسل اليه آنية من الذهب وحلة من الارجوان ، حيث يدل على ان الخلاف السلوقى ظل يخدم حظ يوناتان • وقد اغتنم يوناتان الفرصة فغزا غزة وغيرها من مدن فلسطين المستعصية وفتحها •

وقد ذكر الاصحاح فى نهايته خبر نكبة نزلت على جيوش يوناتان أثناء زحفه على سهل صور فى سياق جولاته المذكورة فى أنحاء فلسطين حيث ظهر من ورائه كمين فأوقعوه فيه وهزموه ، حيث يدل هذا الخبر على ان معظم انحاء فلسطين — غير اليهودية — ظلت محتفظة بشخصياتها ومستعصية على بنى اسرائيل والحركة المكابية •

- ١٢ -

ويذكر الاصحاح الثانى عشر أن يوناتان أرسل رسلا الى رومية (روما) لتجديد العهد فاستجاب الرومانيون الى ذلك • وفعل مثل ذلك مع اسبارطة مذكرا أهلها بما كان بين ملك قديم لها وبين أونيا الكاهن من عهد موالا • ولكن الاصحاح لم يذكر نتيجة رحلة الرسل وانما أورد نسخة كتاب كان أرسله ملك اسبارطة لاونيا الكاهن جاء فيه انه وجد فى بعض الكتب أن الاسبارطيين واليهود اخوة من نسل ابراهيم وانه بعد أن علم ذلك كتب لهم ليتعرف على أحوالهم ويقول لهم ان ما عند الفريقين من مال ومواش لهما بالتبادل مما فيه طرافة وغرابة (١) •

ثم يقول الاصحاح ان يوناتان بلغه ان ديمتريوس يحشد جيشا ليسيره الى قتاله فخرج على رأس جيشه الى لقائهم فى أرض حماة لئلا يطئوا ارضه ، فارتعبوا منه وفروا من أمامه فلم يستطع ادراكهم لانهم عبروا نهرا، فارتد الى العرب الزيديين وضربهم وسلب غنائمهم ثم ارتحل الى دمشق وجال فى البلاد كلها حيث يفيد هذا أن يوناتان قد قوى وصار يتصرف بشىء من الحرية والسيادة

---

(١) فى المجلد الثالث الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس ص ٢٢٣ تخمينات بدون نتيجة فى هذه المسالة •

ويطمح الى التبسط فى هذه الفترة • ومع ذلك فالمستفاد من الاصحاح نفسه ان قلعة مدينة داود كانت ما تزال فى يد السلوقيين وانصارهم كما انه كان فى مختلف انحاء فلسطين حاميات وعمال سلوقيون أيضا •

وقد ذكر الاصحاح ان قائدا يونانيا اسمه ترينون كان يطمح الى ملك آسيه والقاء يده على أنطيوخوس ملك السلوقيين وانه كان يخشى مساعدة يوناتان له فأتى الى بيت شان لايجاد وسيلة لاهلاك يوناتان وازالته من طريقه فخرج هذا الى لقائه باربعين ألفا فقابله ترينون بالاكرام ماكرا ، وأغراه بالذهاب معه الى بطليمايس ليسلمها له فانخدع وذهب معه فى عدة قليلة من رجاله وهناك غدر به واعتقله وقتل جميع رجاله • ثم أرسل قواته الى الجليل والصحراء لتعقب رجال يوناتان • غير انه لما رأى استماتة هؤلاء الرجال اكتفى بما فعل • وعاد هؤلاء الى آورشليم وقامت مناحة عظيمة فى جميع اسرائيل على يوناتان • وقد انتهى الاصحاح بالقول « وطلبت الامم الذين حول اسرائيل ان يدمروهم قائلين «انهم لا رئيس لهم ولا ناصر فلنقاتلهم ولنمسح ذكرهم من البشر» حيث ينطوى فى الخبر ضعف بنيان الحركة المكابية وشدة حقد الامم التى تقيم فى فلسطين وحولها على بنى اسرائيل وترقبها الضعف والنكبات لضربهم •

ويقول الاصحاح الثالث عشر انه بلغ سمعان أن تريفون جمع جيشا عظيما للاغارة على أرض يهوذا ورأى ان الشعب قد داخله الرعب فقصد الى أورشليم وشجع الشعب وأظهر استعداده للجهاد والتضحية والانتقام فانتخبوه قائدا مكان يوناثان ووعدوه بالطاعة، فأخذ ينظم جيشه ويحصن أورشليم . وزحف تريفون على يهوذا وارسل الى سمعان يطلب منه مائة قنطار من الفضة فديـــة عن يوناثان وولديه رهينة ومع علمه بانه يسكر فانه ارسل اليهما طلب. ولكن تريفون غدر وقتل يوناثان وعاد من حيث أتى . وقد أحضر سمعان جثمان أخيه ودفنه بمودين الى جانب أبيه واخيه وانشأ له قبرا وزينه بالنقوش واقام عليه اعمدة عظيمة. ثم أخذ يحصن بلاده ويقوى نفسه . وكتب الى ديمتريوس باعفاء البلاد من التكاليف فأجابه الى ذلك فى كتاب قال فيه ايضا ان كان فيكم من يريـــد أن يكتتب فى الجند فليكتتبوا وليكن فيما بيننا سلم .

ويقول الاصحاح بعد ذلك انه فى الســـنة المائة والســـبعين (اى سنة ١٤٢ ق.م) خلع نير الامم عن اسرائيل وبدأ شعـــب اسرائيل يكتب فى توقيع الصكوك والعقود باسم سمعان الكاهن الاعظم قائد اليهود ورئيسهم .

وهذا يعنى انه صار يتمتع بالاستقلال والسيادة مع أن العبارة لا تعنى ذلك تماما .

ويقول الاصحاح بعد ذلك ان سمعان نزل الى غزة وحاصرها فطلب اهلها الأمان فرق لهم واستولى على المدينة وطهرها من الأصنام وأسكن فيها رجالا من المتمسكين بالشريعة وبنى لنفسه فيها منزلا •

وكانت قلعة مدينة داود ما تزال مستعصية فحاصرها حتى اشتدت فيها المجاعة فطلب الذين فيها الامان فأمنهم واستلم القلعة وطهرها من النجاسات ودخلها باحتفال عظيم وجعل يوم دخولها عيدا سنويا لانها كانت عثرة عظيمة لاسرائيل •

- ١٤ -

ويذكر الاصحاح الرابع عشر أن ديستريوس سار بجيوشه الى مادى يستنجد بها على تريفون ولكن ملك مادى ضرب جيشه وأسره وسجنه فهدأت أرض يهوذا كل ايام سمعان • وكانت أمته مبتهجة بسلطانه ومجده حيث تفيد العبارة انه اعتبر ذلك فكاكا نهائيا من سيادة السلوقيين •

ثم ذكر الاصحاح ان سمعان جعل يافا مرسى وفتح منها مجازا لجزائر البحر واستحوذ على البلاد واستولى على جازر وبيت صور وأخرج منها النجاسات وقرر السلم فى الارض وجلس كلٌ

واحد تحت كرمته وتينته ولم يكن من يذعرهم أو يحاربهم وانكسر الملوك • وجاءه ألواح نحاسية من روما واسبارطة يعزونه فيهما بيوناتان ويجددون عهد الموالاة والمناصرة • وأرسل رسلا الى روما يحملون لوحا نحاسيا نقش عليه جوابا بالشكر والموافقة وأرسل مع الرسل ترسا عظيما من الذهب وزنه الف من

ثم ذكر الاصحاح ان سمعان نقش سيرته وسيرة أبيه واخوته وجهادهم فى سبيل أمتهم على ألواح نحاسية وعلقها على أنصاب فى جبل صهيون وارضها فى السنة المائة والثانية والسبعين (١٤٠ ق•م) وهى السنة الثالثة من عهده ومما جاء فى النقش عن علاقة سمعان بالملك ديمتريوس : « وأقره الملك ديمتريوس فى الكهنوت الاعظم وجعله من أصدقائه وعظمه جدا » حيث تفيد العبارة ان الدولة السلوقية ما زالت تعتبر صاحبة السيادة العليا على الدولة المكابية • كذلك مما جاء فى النقش على ما ذكره الاصحاح « ان اليهود وكهنتهم حسن لديهم ان يكون سمعان رئيسا وكاهنا أعظم مدى الدهر ويتولى أمر الاقداس ويقيم أناسا على الاعمال والبلاد والاسلحة والحصون • ويطيعه الجميع ويكتب باسمه جميع الصكوك • ويلبس الارجوان بالذهب • ولا يخالفه أحد ولا يجمع مجمع بدونه ولا يلبس الارجوان وعروة الذهب غيره • ومن يخالف فهو مجرم • وقبل سمعان ورضى أن يكون كاهنا اعظم وقائدا ورئيسا لامة اليهود وحاكما على الجميع • ورسموا ان

يدون ذلك على الواح من نحاس توضع فى موضع مشهود من رواق الاقداس وتوضع صورها فى الخزانه حيث ينطوى فى هذا اعلان مبايعة اليهود لسمعان وقبول سمعان للبيعة .

على آنه فى الاصحاحات التالية ما يفيد انه كان هناك مخامرون كثيرون ضد سمعان ورآسته وحركته كما كان قبل ذلك مما مرت أمثلة كثيرة عليه .

- ١٥ -

وفى الاصحاح الخامس عشر ان انطيوخوس بن ديمتريوس كتب من جزائر البحر الى سمعان رسالة ذكر فيها اعتزامه على استرداد ملك أبيه . واقراره سلفا لكل ما فعله الملوك له وما قرروه له من اعفاءات واذن له بضرب سكة خاصة لبلاده ووافق على حرية اورشليم واعفائها من كل ضريبة ووعده بالاعزاز والاكرام حينما يكتب له الفوز . ثم ذكر الاصحاح انانطيوخوس وفد على البلاد فاجتمعت عليه الجيوش وخذلت تريفون ففر واستتب الامر لانطيوخوس وان هذا قلب لسمعان ظهر المجن ونقض ما عاهده عليه ورفض ما أرسله اليه من هدايا فضيةوذهبية وطلب منه التخلى عن يافا وجازر وقلعة مدينة داود ، وخراج

البلاد التي يتسلط عليها والتعويض عما خرب منها ألف قنطار فضة ، حيث يظهر ان الملك السلوقي رأى بعد ان استتب له الامر ان يفرض سيادته الفعلية على اليهودية .

ومما ذكره الاصحاح ان سمعان قال لرسول الملك اننا لم نأخذ ارضا لغريب ولكنه ميراث آبائنا ثم عرض ان يؤدي مائة قنطار عن يافا وجازر . ولكن الرسول الذي اندهش مما رآه من مجد سمعان وثرائه وآنيته الفضية والذهبية واثاثه الوافر عاد الى ملكه فقص عليه ما رأى وأثار حسده وحقده فأمره بالزحف على اليهودية . وجاء الى وادي قدرون وارسل فرقة الى سينا وأخذوا يغيرون على اليهودية ويوغلون فيها قتلا وسبيا

ويستمر السياق في الاصحاح السادس عشر فيقول ان يوحنا بن سمعان الذي كان متوليا أمر جازر جاء وأخبر أباه بما يقع على البلاد . وكان هذا الاب قد كبر وشاخ فأمر ابنيه يوحنا ويهوذا أن يقوما مقامه في قيادة الحرب فامتثلا وخرجا لمقاتلة الحملة . واشتبكوا معها في معارك حامية وحالفهم النصر فانكسرت الحملة مع تفوقها في العدد والعدة ، وقد قتلوا منها عددا عظيما وتعقبوا فلولها حتى أسدود وملأوا أيديهم من الغنائم ثم عادوا الى أرض يهوذا .

على أن هذا النصر لم يلبث ان تعكر بحادث غدر وحسد

اسرائيلى فان صهرا لسمعان اسمه بطلماوس وكان يتولى أريحا طمع بالسلطان وبيت الغدر لسمعان وبنيه ، وقد دعاهم الى اريحا وأقام لهم وليمة وقتلهم مع ثلة من أخصائهم ثم كتب الى الملك يطلب منه تسيير جيش لاحتلال البلاد وارسل رجالا الى جازر لاهلاك يوحنا الذى لم يكن بين الهالكين فى الوليمة وانفذ كتبا الى رؤساء الالوف ليأتوا اليه حتى يوزع عليهم العطايا من الذهب والفضة على ما ذكره الاصحاح السادس عشر • وجاء من أخبر يوحنا فى جازر بالكارثة ويحذره • فلما جاء الرجال الذين أرسلهم بطليماوس قتلهم •

وينطوى فى الحادث نكسة وخيانة فظيعتين مما تكررت صوره فى الحركة المكابية وقبلها ومما مرده شنشنة الاسرائيليين وأنانيتهم

وينتهى الاصحاح السادس عشر الذى هو الاصحاح الاخير من سفر المكابيين الاول بقوله • وبقيته اخبار يوحنا وحروبه وما أبداه من الحماسة وبنائه الاسوار التى بناها واعماله مكتوبة فى كتاب ايام كهنوته الاعظم منذ تقلد الكهنوت الاعظم بعد أبيه، حيث يفيد هذا ان يوحنا تولى بعد اخيه زعامة الحركة المكابية ومنصب الكهانة العظمى وكان له فيهما نشاط عظيم • وليس فى السفر الثانى شيء من سيرة يوحنا •

والسفر الثانى خمسة عشر اصحاحا فى تسع وثلاثين صفحة وقد تقدم وصف اسلوبه وما يدل عليه . ونتبه فقط الى أن ما احتواه هو حكاية احداث متنوعة من تاريخ السلوقيين والاسرائيليين قبل قيام الحركة المكابية مع أسباب ومقدمات هذه الحركة وحكاية احداث متنوعة من هذا التاريخ فى عهد يهوذا الذى هو على رأى هذا السفر الزعيم الاول لهذه الحركة خلافا لما يفيده السفر الاول من حيث تقريره ان متتيا أباه كان هو الاول

ولقد احتوى اصحاحه الاول نص رسالة موجهة من يهود أورشليم واليهودية الى يهود مصر مؤرخة فى السنة ١٨٨ - أى ١٣٤ ق.م - بواسطة أرسطوبولوس مؤدب الملك بطليموس ومن ذرية الكهنة وفيها دعاء ليهود مصر بالبركة والهداية ، وتذكير لهم بكتاب كانوا أرسلوه اليهم فى سنة ١٦٩ - ١٤٣ ق.م - فى ظروف الشدة التى نزلت فيهم فى عهد ديمتريوس وشكر لله على خلاصهم من المحن والاخطار : ثم يقول كاتبوا الرسالة ان الحوادث التى وقعت ليهوذا المكابى واخوته وتطهير الهيكل وتدشين المذبح والحروب التى وقعت مع أنطيوخوس الشهير وابنه أوباطور والآيات التى ظهرت فى السماء فى حق المتحمسين لدين اليهود وتسلطهم على البلاد بجملتها وطردهم جماهير الاعاجم

واستردادهم الهيكل وتحريرهم المدينة واحيائهم للشرائع قـــد شرحها ياسون القيرواني في خمسة كتب واختصرناها نحـن في درج واحد ليكون في ذلك السهولة والفائدة للجميع • وينتهي الاصحاح بقوله : وها هنا نشرع في ايراد الحوادث • ثم يشرع الاصحاح الثالث وما بعده في سرد الحوادث التي لخصت مـن كتب ياسون القيرواني ، حيث يفيد هذا ان بعض كتـــاب بني اسرائيل كانوا يسجلون احداثهم بعد السبي وفي عهد السلوقيين والحركة المكابية كما كان يفعل كتابهم من قبل ، وأن الحوادث المسرودة في الاصحاح الثالث وما بعده مستقاة من ذلك • وشيء من هذا أشير اليه في آخر اصحاحات السفر السابق على ما مـر بيانـه •

- ١٧ -

ويبدأ الاصحاح الثالث بسرد الحوادث بقصة وشاية مــن اسرائيلي للسلوقيين ضد أونيا الكاهن الاعظم وتحريـض على مصادرة أموال مخزونة في خزانة الهيكل ويمهد لذلك بمقدمـة فيقول انه حين كانت المدينة المقدسة عامرة والشرائع محفوظـة بسبب ما كان عليه أونيا الكاهن الاعظم من الورع وبغض الشر

كان الملوك يعظمون المقدس ـ الهيكل ـ ثم ان رجلا اسـمه سمعان من سبط بنيامين كان مقلدا الوكالة على الهيكل وقعـت بينه وبين آونيا خصومة فانطلق الى آبلونيوس قائد السلوقـيين وأخبره ان خزانة آورشليم مشحونة من الاموال بما لا يستطاع وصفه واحصاؤه وحرضه على مصادرتها للملك . وفاوض القائد الملك فاختار قيم المصالح هيلودروس وأمره بجلب هذه الاموال. فجاء هذا الى آورشليم وفاتح أونيا فى الامر فأخبره هذا ان المال هو ودائع للارامل واليتامى وان قسما منه لاحد عظماء الاشراف وأنه زهيد ليس كما وصف كثرة حيث لا يزيد عن آربعين قنطارا من الفضة ومائتى قنطار من الذهب وحذره من مد اليد اليـه ولكن الرسول أصر وذهب الى المعبد ومعه قوة لتنفيذ عزيمتـه. فألم بالكاهن الاكبر والكهان والشعب رجالا ونساء حزن شديد فأخذوا يستغيثون ويبتهلون للرب فلم يلبثوا أن ظهرت معجزة أفزعت الوكيل أشد الفزع وجعلته يعدل ويخشع ويتوب .

ويستمر السياق فى الاصحاح الرابع فيقول وكان سـمعان المذكور يقذف آونيا وبلغ من وقاحته انه وصف المحسـن الى المدينة والغيور على الشريعة بانه صاحب دسيسـة . فاشتدت العداوة حتى أن أحد خواص سمعان شرع فى القتل فخشى أونيا من تفاقم الشر لما يعرفه من صلة بين سمعان والقائد فذهب الى الملك طالبا عنايته لصرف الشر عن أمته .

ثم يحكى الاصحاح قصة مكيدة أخرى هدفها منافسة أونيا على منصبه جاء فيها انه بعد وفاةسلوقوس (الثانى) وجلوس أنطوخيوس الملقب بالشير (الثالث) على العرش طمع ياسون اخو أونيا فى الكهنوت الاعظم فوفد على الملك ووعده بثلاثمائة وستين قنطارا فضة وبثمانين قنطارا من دخل آخر وبمائة وخمسين قنطارا غيرها ان عينه لهذا المنصب ورخص له باقامة مدرسة للتروض وموضع للغلمان واكتتاب أهل أورشليم فى الرعوية الانطاكية • فأجابه الملك الى ذلك فما لبث أن أخذ يصرف شعبه الى عادات الأمم (تقاليدهم وعقائدهم) وألغى الاختصاصات التى انعم بها الملك على اليهود وأبطل رسوم الشريعة وأدخل سننا تخالف الشريعة وأقام مدرسة للترويض تحت القلعة وساق اليها نخبة من الغلمان فتمكن بذلك الميل الى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الاجانب بشدة فجور ياسون الذى هو كافر لا كاهن أعظم (هذه عبارة الاصحاح) حتى ان الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل وأهملوا الذبائح لينالوا حظا فى جوائز الملعب المحرمة وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان ، حيث ينطوى فى الحادث صورة لما أخذ بنو اسرائيل يرتكسون فيه من انحرافات دينية وقومية وخلقية ، شبابهم وكهانهم معا ••

ثم يحكى الاصحاح قصة مكيدة جديدة ضد ياسون قام بها

أحد رجاله فيقول : ان ياسون وجه منلاوس أخا سمعان الى الملك لتقديم المال ومفاوضته فى أمور مهمة فتزلف الى الملك حتى جعله يحول الكهنوت الاعظم عن ياسون اليه بأن زاد ثلاثمائة قنطار فضة على ما أعطى ياسون • ثم رجع ومعه أوامر الملك بالكهنوت الاعظم مع انه لم يكن على شىء مما يليق بالمنصب وكانت لــــه أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار (العبارة عبارة الاصحاح) واستولى منلاوس على الرآسة وفر ياسون الى بنى عموز وقد ختل أخاه فختله آخر •• ولم يستطع منلاوس الوفاء بالمال الذى وعده ، فلم يتورع عن سرقة آنية من الذهب من الهيكل وأهدى بعضها الى وكيل الملك وباع بعضها • وعلم منلاوس أن أونيــــا الحبر الاعظم السابق يتكلم ضده على سرقته فأغرى وكيل الملك بالقبض عليه وقتله ففعل ، مما أثار المقت عند اليهود لقتل الرجل بغيا وجعلهم يرفعون الشكوى لأنطيوخوس ضد وكيله • ويقول الاصحاح ان أنطيوخوس تأسف ورق وبكى واضطرم غضبا على وكيله ونزع عنه الارجوان وأمر بالطواف به فى المدينة وقتله فى المكان الذى قتل فيه أونيا •

ثم سرد الاصحاح حادثا آخر لمنلاوس ووكيل له فيه صورة عجيبة لما كان عليه هؤلاء الرؤساء من انحراف خلق ودين وسوء استغلال حيث ذكر أن وكيلا لمنلاوس اسمه ليسماكوس سلــب باغراء من منلاوس كثيرا من مال الاقداس فذاع الخبر وتجمهــر

الناس على ليسماكوس فسلح ثلاثة آلاف رجل وأعمل أيدى الظلم فى المتجمهرين غير أن هؤلاء كثروا وتمكنوا من التغلب على رجال ليسماكوس وهزيمتهم ثم قتلوا سالب الأقداس .. ورفع الشيوخ الدعوى ضد منلاوس ، فرشا هذا خصيصا من أخصاء الملك فبرأه الملك وقضى بالموت على خصومه واستقر منلاوس فى الرئاسة بشره ذوى الاحكام وكان لا يزداد الا خبثا ولاهل وطنه كمينا مهلكا .

ويستمر الاصحاح الخامس فى حكاية أحداث التاريخ التى بدئت بالاصحاح الثالث فيقول . ان انطيوكوس تجهز فى ذلك الزمن لغزو مصر ثانية وظهرت فى سماء أورشليم أشباح حربية فأرجف الناس بموت الملك فاتخذ ياسون جيشا وهاجم المدينة وطفق يذبح أهل وطنه بغير رحمة وهرب منلاوس الى القلعة ، وبلغت الأحداث للملك فاتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف من مصر وقد تنمر وأمر الجنود بقتل كل من صادفوه دون رحمة وذبح المختبئين فى اليهود فأهلكوا ثمانين ألفا فى ثلاثة أيام دون تفريق بين رجل وامرأة وشيخ وطفل وسبى عدد مماثل . ثم دخل الملك قدس الاقداس وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن حسب تعبير الاصحاح ، وأخذ الآنية المقدسة مع ما أهدته الملوك الأجانب للهيكل وقد بلغ وزن ما حمله من الهيكل الفا وثمانمائة قنطار . ثم انصرف الى أنطاكية وترك عمالا يراغمون الامة .

ثم حمله المقت لليهود على ارسال أبلونيوس فى اثنين وعشرين الفه جندى وآمره بذبح كل بالغ منهم وببيع النساء والصبيان . فلما وفد الى أورشليم تربص الى يوم السبت حتى اذا دخل اليهود فى عطلتهم أمر أصحابه بذبح جميع الخارجين للتفرج ثم اقتحم المدينة وأهلك خلقا كثيرا . وانتهى الاصحاح بقوله : « ان يهوذا المكابى كان قد انصرف الى البرية مع عشرة من أصحابه فلبثوا فى الجبال يعيشون عيشة الوحوش ويأكلون العشب لئلا يشتركوا فى النجاسة » .

ويستمر الاصحاح السادس فى الحكاية فيقول وبعد ذلك أرسل الملك شيخا أثينيا ــ يونانيا ــ ليرغم اليهود على الارتداد عن شريعة آبائهم وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم زوس الاولمبى (معبود اليونانيين) ويجعل هيكل جرزيم على هذا الاسم كذلك فاشتد انفجار الشر وعظم على الجماهير وامتلأ الهيكل عهرا وقصوفا وأخذ الأمم ــ غير اليهود يفسقون بالمأبونين . ويضاجعون النساء فى الدور المقدسة ويدخلون اليها ما لا يحل . وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها . ولم يكن لأحد ان يعيد السبت ولا يحفظ أعياد الآباء ولا يعترف بأنه يهودى أصلا . وكانوا يوم مولد الملك من كل شهر يساقون قسرا للتضحية وفى عيد ديونيسيوس يرغمون على الطواف اجلالا له وعليهم أكاليل اللبلاب . وصدر أمر الى المدن اليونانية المجاورة

باغراء البطالسة أن يلزموا اليهود بمثل ذلك • وبأن يقتل من يأبى فذاق اليهود أمر البلاء • وقد ختنت امرأتان اولادهما فسعى بهما تعلق أطفالهما على ثدييهما وطيف بهما فى المدينة ثم ألقاهما من على السور ولجأ قوم الى مغاور لاقامة السبت سرا فوشى بهم الى فيلبس عامل الملك فى أورشليم فأحرقهم بالنار • وكان رجل يسمى ألعازار (١) من متقدمى الكتبة طاعن فى السن رائع المنظر فأكرهوه بفتح فمه على أكل لحم الخنزير فاختار ان يموت مجيدا على أن يحيا ذميما وانقاد الى العذاب طائعا وقذف لحم الخنزير من فيه • وخلا الموكلون بأمر الضحايا السكفرية به وأخذوا يحثونه بالتظاهر بالاكل ولكنه أصر على الرفض قائلا انه لا يليق بسننا الرياء لئلا يظن الشبان أن العازار وهو ابن تسعين سنة قد انحاز الى مذهب الاجانب فيضلوا بسببى وحينئذ أطلق الى عذاب التوتير والضرب حتى زهقت روحه •

ويستمر الاصحاح السابع فى الحكاية فيقول • وقبض على سبعة اخوة مع أمهم (٢) فأخذ الملك يكرههم على تناول لحوم

---

(١) قال يوسيفوس من العازار هذا وهو يورد قصته بما يماثل ما ورد فى سفر المكابيين انه رئيس وفد علماء ترجمة التوراة الى مصر ، وأن أخذه كان بوشاية قوم من الاشرار (ص ٥٤) •

(٢) قال يوسيفوس وهو يورد قصة الاخوة السبعة وامهم بما يماثل ما ورد فى السفر ان أخذهم كان بوشاية أيضا فى نعتهم بانهم ابناء اشمونية (ص ٥٧) • ومن الجدير بالتنبيه فى هذه المناسبة ان الاصحاح الثالث جعل وشايات الاشرار من الاسرائيليين ومكائدهم اساس البلاء الذى وقع على اليهود فى هذه الحقبة على ما مر بيانه •

الخنزير المحرمة ويعذبهم بالمقارع والسياط • وقال له أحدهم اننا نختار الموت على مخالفة شرائع آبائنا فأمر الملك الحانق بقطع لسانه وسلخ جلد رأسه وجدع أطرافه على مرأى من اخوته وأمه• ثم أمر به فألقى فى النار وبه بعض الرمق • وفيما كان يحترق فى النار كان الاخوة والام يحض بعضهم بعضا على الشجاعة والثبات وتوالى التعذيب على الاخوة وازهاق أرواحهم واحدا اثر واحد وهم يبتهلون الى الله ويعلنون اصرارهم على الثبات على شريعة الآباء ويتوعدون الملك بنقمة الله وكانت الام تحرض كلا منهم بدوره وتشجعهم وتبث فيهم روح الثبات والايمان • ولما بلغ الدور الى السابع الاصغر طلب الملك من الام ان تنصحه بالاذعان واعدا بأنه سوف يسعده ويتخذه خليلا ويقلده المناصب فما كان منها الا أن وجهت اليه نصيحة الثبات وعدم الخوف بلهجة أقوى مما سبق فأخذ الغلام يوجه التأنيب والوعيد الربانى الى الملك حتى حنق وأزهق روحه • ثم أزهق روح أمه • وينتهى الاصحاح بقوله « وبما أوردناه عن الضحايا والتعذيبات المبرحة كفاية » وكأنما أورد الكاتب ما أورده على سبيل المثال ، حيث ينطوى فى هذا فداحة البلاء الذى تعرض له الاسرائيليون الذين أرادوا التمسك بتقاليدهم مما كانت وشايات بعضهم ببعض ونزوع كثير منهم الى الانحراف والاقبال على نبذ تلك التقاليد سببا له» •

- ١٨ -

وفى الاصحاح الثامن وما بعده قصة خروج يهوذا المكابى وحركته . وقد بدأ بجملة « وكان يهوذا المكابى ومن معه يتسللون الى القرى ويندبون ذوى قرابتهم وغيرهم ممن ثبت على دين اليهود الى الانضمام اليهم حتى بلغوا ستة آلاف » . ويلحظ أن هذا السفر جعل رأس الحركة يهوذا وليس أباه سنيا كما ذكر الاول . وفى اثناء الكلام ذكر اخاه يوناتان كقائد من قواده مع أن السفر الاول ذكر انه تولى الزعامة بعد أبيه ..

وفى التطويل نقل جميع ما فى الاصحاحات من سيرة الثورة المكابية ونكتفى بالتلخيص فنقول :

ان الاصحاح الثامن ذكر استيلاء يهوذا وجماعته على الاماكن التى تساعده على الحركة وأخذ يقوم بغارات ليلية فذاع خبره وأرسل وكيل الملك فى أورشليم يطلب النجدة فجاءته نجدة بقيادة نكاتور . وقد استولى الخوف على اليهود ولكن يهوذا ثبت مع اخوته وجماعته الذين كانوا ستة آلاف فلما جاء الجيش السلوقى اشتبكوا معه وتمكنوا من قتل وجرح عدد كبير منه وهزيمة الباقين واستولوا على اسلحتهم واسلابهم وأثقالهم التى كانت مقادير عظيمة واقتسموها بينهم .

والاصحاح التاسع قص قصة زحف انطيوخوس الملك على

أورشليم حينما بلغه ما حل بجيش نكاتور ، وكان فى رحلة الى بلاد فارس عاد منها مقهورا فاستشاط غضبا واعتزم الزحف على اليهودية وتدميرها ، وبينما هو فى طريق زحفه سقط من عجلته فترضضت جميع أعضاء جسمه وسقم حتى صارت الديدان تنبع من لحمه وصار الجيش يتكره نتن رائحته مما جعله يتنازل عن كبريائه ويتضرع الى الرب ويرسل رسالة الى اليهود يعلنهم السلام والامان والمودة وازماعه العودة ويناشدهم ذكر ما اولاهم من النعم والبقاء على الولاء له ولابنه من بعده . ولم يلبث بعد ذلك أن مات فى طريق عودته . وقد اعتبر الاصحاح ذلك معجزة ربانية

والاصحاح العاشر ذكر ما فعل المكابى بعد ذلك حيث قال انهم استردوا الهيكل والمدينة وهدموا المذبح والمعابد الاجنبية وطهروا الهيكل وصنعوا مذبحا جديدا وذبحوا وصلوا ثم حل عيد المظال فعيدوا ثمانية أيام بالفرح وشكروا الرب واتخذوا يوم تطهير الهيكل عيدا سنويا .

ثم ذكر الاصحاح احداثا عديدة . فذكر ان أوباطور جلس مكان أبيه ــ وهو أنطيوخوس الخامس ــ وان وكيل السلوقيين فى أورشليم جنح الى انصاف اليهود فاتهم بالخيانة حتى قتل نفسه وان خلفه ناصب اليهود حربا متواصلة . ثم ذكر أن الأدوميين ــ وهذا تعبير يطلقه السفر ويوسيفوس على دولة الأنباط العربية التى كانت صاحبة السلطان فى هذه الحقبة على

شرق الاردن ـ كانوا يزعجون اليهود ويتجهزون لحربهم • فهاجمهم المكابى واشتبك معهم فى سلسلة معارك فى عقر دورهم وانتصر عليهم وقتل منهم عددا كبيرا واستولى على حصونهم فى سياق يبرز فيه الخيال والمبالغة • ومن العجيب ان يستطيع المكابيون ان يفعلوا ذلك وأن يشنوا الحروب والهجوم على عدو بعيد بينما كان التنكيل واقع على اليهود فى أورشليم من قبل وكيل الملك السلوقى الجديد على ما تفيده عبارة « مفاجأته اليهود حربا متواصلة » • وكان المعقول ان يسارعوا الى ضرب السلوقيين وانقاذ قومهم من بلائهم ••

وفى الاصحاح الحادى عشر أن ليسياس المقلد تدبير الامور فى الدولة السلوقية والذى هو من قرابة الملك زحف على رأس حملة عظيمة على اليهود بقصد جعل أورشليم مسكنا لليونانيين والهيكل كسائر معابد الامم وبيع الكهنوت الاعظم للشارين سنة فسنة ، وكان معه ثمانون فيلا وعدد كبير من الفرسان • ولما بلغ بيت صور وهى موضع منيع على نحو خمس غلوات من أورشليم وأخذ يشدد الحصار عليها أخذ المكابى ـ يهوذا ـ سلاحه وحرض الآخرين على الاقتحام معه وحملوا على الاعداء حملة شديدة فصرعوا احد عشر ألفا منهم وألجأوا سائرهم الى الفرار وكان أكثر الناجين عراة • وقد أدرك ليسياس ان العبرانيين قوم لا يقهرون ـ وهذه عبارة الاصحاح ـ فراسلهم ووعد بالتسليم

بكل ما هو حق وباستمالة الملك الى موالاتهم فى سياق يبرز فيه المبالغة • فرضي المكابى وطلب تسجيل ذلك كتابة • وقد أورد الاصحاح نص رسالة من ليسياس الى يهوذا وأخرى من الملك الى ليسياس وثالثة من الملك الى مشيخة اليهود وسائر اليهود • وفى الاولى وعد بالخير وفى الثانية آمر من الملك بان يرد الهيكل الى اليهود وان يساسوا بمقتضى عادات آبائهم لانه بلغه أنهم غير راضين بما أمر أبوه من التحول الى سنن اليونان ومطالبين بالسماح لهم بالتمسك بمذهبهم ، وفى الثالثة تأمين لمن يريد النزول من الجبال ـ حيث كان الثوار يقيمون ـ والاقامة مع قومهم واباحة لليهود بممارسة شرائعهم وأطعمتهم كما كانوا قبل وعفوا عمن هفا منهم سابقا ، مما يفيد أن السلوقيين جنحوا الى التهدئة وان المكابيين قبلوا وأن السيادة الفعلية للسلوقيين عادت فتوطدت ورسالة الملك الى اليهود مؤرخة فى سنة ١٤٨ أى سنة ١٦٤ ق•م

وقد جاء فى الاصحاح أن رسولين من روما كانا قادمين الى أنطاكية أرسلا الى الشعب اليهودى رسالة جاء فيها ان ما رخص لهم فيه ليسياس نسيب الملك فهما موافقان عليه • وان عليهم أن يبادروا الى ارسال ما يريدون رفعه الى الملك اليهما ليكونا على بصيرة بما يبتغون • ولقد نشب بين الرومانيين وانطيوخوس الثالث حرب انتصر الاولون فيها على السلوقيين وصار لهم عليهم شبه سيادة او كلمة نافذة فى الثلث الاول من القرن الثانى قبل

الميلاد (١) • فمن المحتمل ان يكون المكابيون كتبوا لروما ، بناء على ما كان بين روما واليهود من سابقة العهـــد والموالاة التى ذكرها السفر الاول واوردنا قصتها سابقا ، يشكون السلوقيين ويستعدونهم عليهم ويستأمرونهم فى موقفهم فكانت هذه الرسالة جوابا لهم •

وقد جاء فى الاصحاح الثانى عشر ان اليهود انصرفوا بعــد ابرام المواثيق الى حرث أراضيهم • غير ان القواد السلوقيــين وحاكم قبرص لم يدعوهم فى راحة وسكينة ثم ذكر بعد ذلك خبر نكبة أوقعها أهل يافا فى اليهود المقيمين فيها : حيث دعوهم رجالا ونساء واولادا الى نزهة بحرية فى القوارب ثم اغرقوهم فى البحر وكان عددهم مائتين • ثم خبر اعتزام صنع أهل بسنيا ــ وهى ميناء أخرى قريبة من يافا ــ باليهود الذين بين ظهرانيهم مثل ذلك ، مما ينطوى فيه شدة الاحقاد التى كانت متأصلة بين اليهود وأهـــل البلاد من الامم الأخرى • وقد ذكر الاصحاح أن يهودا لما بلغه ذلك هاجم يافا وأضرم النار فى المرفأ ليلا وأحرق القوارب وقتل من وجده عندها • وكانت المدينة مغلقة فانصرف عنها مؤقتــا الى يمنيا حيث فعل فى مرفئها وقواربها ما فعله فى مرفــأ يافا • وذكر الاصحاح بعد ذلك حركات وجولات حربية عديدة ليهوذا فى سياق يبرز عليه الغلو والخيال • منها انه زحف من يمنيا على

---

(١) تاريخ سورية للدبس المجلد الثالث الجزء الثانى ص ١٤٢ وما بعدها •

تيموتاوس ـــ أحد القواد الذين ذكر الاصحاح انهم لم يدعــوا اليهود فى راحة والذى يظهر أن أهل يافا فعلوا ما فعلوه فى اليهود بتحريض منه ـــ فتصدى له قوم من العرب البدو فاقتتلوا وكسرهم يهوذا فطلبوا منه الصلح فأجابهم . ومنها ان يهوذا أغار بعـــد ذلك على مدينة حصينة ممنعة بالجسور والاسوار اسمها كسفيس فاستقبله أهلها بالشتائم والاستهتار فابتهل الله ان يفتحها لهم كما فتح أريحا لآبائهم ثم وثبوا على السور وفتحوا المدينة وقتلوا من خلقها مالا يحصى حتى ان البحيرة التى هناك وعرضـــها غلوتان امتلأت وطفحت بالدماء . ومنها ان يهوذا وصحبه ساروا بعـــد ذلك مسيرة سبعمائة وخمسين غلوة حتى الى الكرك الى اليهود الذين يعرفون بالطوبيين ، وكانوا يقصـــدون تيموتاوس فلـــم يجدوه ولكنهم وجدوا حامية له فخرج عليها اثنان من قـــواد يهوذا وأهلكا من الحامية ما ينيف على عشرة الاف ، ثم قســـم المكابى جيشه فرقا وحمل على تيموتاوس وكان مع هذا مائـــة وعشرون الف راجل وألفان وخمسمائة فارس . وعلم تيموتاوس بقدومهم فوجه النساء والاولاد والاثقال الى مكان حصين محاط بالمضائق يسمى قرنيم وتهيأ للقاء الزاحفين . ولكن لما بدت أول فرقة من المكابيين داخل جيشه الرعب والرعدة فبادروا الى الفرار من كل وجه وشد يهوذا فى آثارهم حتى أهلك منهم ثلاثين الـــفا . ووقع تيموتاوس نفسه فى الاسر فتضرع اليهم واعطاهم العهـــود

والمواثيق ووعدهم برد من عنده من أسراهم فقبلوا منه وأطلقوه ابقاء على اخوتهم وأبنائهم عنده • ثم أغار يهوذا على قرنيم وهيكل وقتل خمسة وعشرين الفا ثم زحف على عفرون احـــدى المدن الحصينة وكان يسكنها ليسياس وأمم شتى وكان على اسوارها شبان ذوو بأس ومعهم المجانيق والسهام فدعا يهوذا الرب ثـم هاجم المدينة فأخذها وصرع من الذين فيها خمسة وعشرين الفـا ثم ارتحلوا وهجموا على مدينة بيت شان وهى على ستمائة غلوة من أورشليم • غير ان اليهود الذين فيها شهدوا بحسن معاملـة أهل المدينة لهم فى وقت الضيق فشكرهم ووصاهم بالدوام على المصافاة • ثم جاء الى أورشليم فعيد فيها عيد الخمسين ثم أغار على جرجياس قائد ارض أدوم واشتبك معه بالقتال وجرت معارك عديدة بين الفريقين وهتف يهوذا للرب ثم صرخ وحمـــل على جرجياس وجيشه فكسرهم •

وفى الاصحاح الثالث عشر قصة زحف الملـك أنطيوخوس أوباطور على اليهودية فى سياق يبرز عليه كذلك المبالغة والخيال ، فقد زحف هذا الملك بجيش من اليونانيين عدته (١١٠٠٠٠) راجل و (٣٥٠٠) فارس و (٣٠٠) عجلة ذات مناجل واثنين وعشرين فيلا. وقد جاء اليه منلاوس ـ اليهودى الذى كان يتولى الكهنوت الاعظم ـ فأخذ يحرضه ويزيد فى حقده ولكن ليسياس وكيـل الملك أخبره ان هذا الرجل كان سبب النوازل جميعهـا فأمـر

الملك بقتله فالقى من برج عال فكان فى ذلك حتفه • ثم استمر فى زحفه ، فأخذ يهوذا يستعد للقائه ويتشاور مع رجاله فى صدد ذلك ويأمر بالابتهال للرب ليلا ونهارا • ثم اختار نخبة من الشبان وهجم بهم ليلا على مخيم الملك فقتل اربعة آلاف وأهلك أول الفيلة وانتشر الرعب والاضطراب فى المعسكر • ولما ذاق الملك ما عند اليهود من البطش عمد الى أخذ المعاقل بالحيلة فحاصر بيت صور فارتد عنها خاسرا فعرض الملك على أهلها الصلح فعقدوه وانصرف • وفى هذه الاثناء بلغه تمرد احد قواده فى أنطاكية فتوسل الى اليهود ودان لهم وحالفهم على اعطائهم حقوقهم كلها وقدم ذبيحة للهيكل وصافى المكابى ونصبه قائدا وحاكما على البلاد من بطليمايس ـ عكا ـ الى حدود الجرانيين ثم عاد الى انطاكية •

وفى الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر سياق طويل عن استيلاء ديمتريوس على عرش السلوقيين ومـا جرى لليهود والمكابيين فى عهده ، حيث ذكر خبر خروجه من البحر الى طرابلس الشام وتمكنه من الاستيلاء على البلادوقتله لانطيوخوس ووكيله ليسياس وجلوسه على العرش • ثم ذكر أن الكيمس الذى كان تقلد الكهنوت الاعظم وانقاد الى النجاسـة ـ حسب تعبير الاصحاح ـ اتى الى ديتمريوس سنة ١٥١ يونانية ـ اى ١٦١ ق•م ـ وأهداه اكليلا من ذهب وذخائر من الهيكل وقال له

حينما سأله عن اليهود ونياتهم ان الحسيديين من اليهود الذين عليهم يهوذا المكابى ــ ويظهر ان الكلمة تعنى الثائرين او المتمردين ــ لا يزالون فى الحروب والفتن ولا يدعون للملكة راحة وانهم سلبوه كرامة آبائه اى الكهنوت الاعظم فجاء اليه ساعيا فى خدمته ومصلحة قومه لان سفه اولئك الناس قد أنزل بالامة البلاء الشديد • وان يهوذا ما دام باقيا فلن تكون الاحوال فى دعة • فغضب واستدعى نكاتور واقامه قائدا على اليهودية وأمره بقتل يهوذا وتبديد اصحابه واقامة الكيمس كاهنا اعظم • ولما وصل الى اليهودية أخذت الامم التى فيها يفرون منها وينضمون اليه افواجا وهم يعدون نكبات اليهود ورزاياهم حظا لهم • وينطوى فى السياق صورة لشدة الحقد الذى يحمله غير الاسرائيليين للاسرائيليين فى أرض فلسطين واليهودية نفسها كما ينطوى فيه صورة من صور الكيدوالدسائس بين الاسرائليين انفسهم ضد بعضهم ، مما تكرر حتى صار دأبهم وشنشنتهم • وبلغ اليهود قدوم نكاتور وانضمام الامم اليه فحثوا التراب على رؤوسهم وطفقوا يدعون الرب ويستغيثون به • وأمرهم القائد فبادروا الى المسير تحت رايته وكان سمعان أخو يهوذا قد نازل نكاتور فجاءته نجدة على حين غفلة فأدركه بعض الفشل ــ والكلام قد يفيد ان الفشل ادرك سمعان ــ ولكن نكاتور لما سمع بما أبداه أصحاب يهوذا من البأس والبسالة أرسل رسلا

لعرض الصلح عليه فقبل العرض ، مما هو عجيب يبرز فيه الخيال.
ثم يقول الاصحاح ان نكاتور أقام فى اورشليم لا يأتى منكرا
وكان كثير التردد الى يهوذا وحبا اليه بقلبه وحثه على الزواج
فتزوج ولبث فى راحة ، حيث يفيد هذا ان السلام قد خيم على
اليهودية وعادت سيادة السلوقيين فتوطدت عليها .

وقد ذكر الاصحاح بعد هذا أن الكيمس رأى ما بين الرجلين
من صفاء فأتى ديمتريوس ووشا بنكاتور وقال له انه عين يهوذا
الثائر على الملك كاهنا أعظم فغضب وأرسل نكاتور يطلب منه
ارسال يهوذا مكبلا ، فوقع فى حيرة ولكنه لم ير بدا من تنفيذ
أمر الملك . وشعر يهوذا بتغير نكاتور فتعيب عنه فانطلق هذا
الى الهيكل وطلب من الكهنة تسليم يهوذا فأقسموا له انهم لا
يعلمون مكانه فمد يده الى الهيكل واقسم ليهدمنه وليشيدن
مكانه هيكلا لديونيسوس ــ معبود اليونان ــ وانصرف . وكان
فى اورشليم شيخ يهودى مشهور بغيرته ومحبته لقومه حتى سمى
بأبى اليهود اسمه زاريس فوشى به الى نكاتور فرأى ان يجعله
أول ضحايا التنكيل فأرسل اكثر من خمسمائة جندى للقبض
عليه فأحاطوا بالدار التى هو فيها وأخذوا فى حرق الابواب
وأوشكوا أن يقبضوا عليه ففضل أن يموت كريما فألقى بنفسه
من البرج فسقط بين الجنود مجروحا مضرجا بدمه ولم يلبث ان
لفظ روحه ..

وعلم نكاتور أن يهوذا فى نواحى السامرة مع جماعته فعزم على مفاجأته يوم السبت معتدا بقوته متكبرا غير عابىء بتحذير اليهود الذين كانوا معه • ولكن يهوذا قابل الموقف بابتهال الى الرب وبث فى جماعته القوة والايمان وقص عليهم فى سياق لا يخلو من خيال رؤيا رآها واستبشر منها بالنصر ثم واقع العدو فصرع خمسة وثلاثين الفا وكان نكاتور نفسه من جملة الصرعى • ثم قطع رأس نكاتور ويده وحملهما الى أورشليم حيث علقهما على أسوارها وقد استقبله اليهود بالاناشيد والدعوات وقرروا جعل يوم النصر عيدا سنويا • وعادت المدينة بذلك الى حوزة العبرانيين وانتهى الاصحاح ثم السفر عند ذلك •

- ١٩ -

ونأتى الان الى تاريخ يوسيفوس الذى شغلت الحركة والدولة المكابية اربعة اخماس كتابه حتى كأنه كتب فيها • وفيه كثير من المبالغة والخيال والتناقض ولكن فيه أيضا حقائق تاريخية كثيرة متطابقة مع مدونات اليونانيين والرومانيين على ما يستفاد من الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس (١) • ويستفاد من فحواه انه كتب فى أواخر القرن الاول أو فى أوائل القرن

---

(١) انظر مثلا ص ١٨٧ وما بعدها •

الثانى بعد الميلاد . وهو متطابق ، مع شيء من الخلاف والزيادة والنقص والتقديم والتأخير والتغيير فى الاســـماء ، مع سفرى المكابيين فى كثير من الاحداث التى ذكرت فيهما قبل قيام الحركة المكابية من وشايات ومكائد بنى اسرائيل ضد بعضهم ومن محاولة السلوقيين تحويلهم عن شرائعهم الى الشرائع اليونانية واستجابة كثير منهم الى ذلك واضطهاد الذين تمسكوا بالشرائع الموسوية مما أدى الى انفجار الثورة . وهو متطابق مع السفر الاول دون السفر الثانى ، خاصة فى ذكر كون الخارج الاول الذى قادالحركة هو متتيا وفى تولى ابنائه يهوذا ويوناتان وسمعان الذى يسميه شمعون قيادة هذه الحركة بعده بالتوالى .

ولهذا لا نرى ضرورة الى ايراد ما ذكره من ذلك ولا سيما ان ما فيه من خلاف وزيادة ونقص ليس كبيرا جوهريا وان ما ورد فى السفرين أوسع وأوفى ، ونرى الاكتفاء باقتباس ما أورده من سيرة الذين تولوا قيادة الحركة بعد سمعان مما لم يذكــــره فى السفرين فنقول (١) :

ان يوحنا بن شمعون الذى تولى بعد أبيه والذى سماه ابوه هركانوس ـــ وهو اسم جبار كان يوحنا قتله فى حياة أبيه على ما ذكره يوسيفوس ـــ لما علم بما فعله بطلماوس ، الذى يسميـــه يوسيفوس تلماى ، من الغدر بأبيه وقتله واعتقال أمه واخوتـــه

(١) ص ٨٧ – ١٤٨ .

فى أريحا خاف فهرب الى غزة فلحقه اليها فحماه أهلها وقاتلوا تلماي وصدوه وبعد قليل عاد هركانوس الى أورشليم وانتظم أمره . فسار الى تلماى وحاصره فهدده هذا بقتل أمه واخوته الذين كانوا أسرى عنده فانصرف عنه . ولكن تلماى نفذ عزيمته فقتلهم بعد انصرافه .

وكان ديمتريوس بن سلفانوس المسمى بأنتيوخوس يحقد على شمعون لقتله قواده وهزيمته لجيشه فلما بلغه موته زحف على أورشليم بعسكر عظيم وضرب عليها الحصار وحل عيد المظال فطلب هركانوس منه وقف القتال أثناء العيد فأجابه ثم اهدى الى المعبد ثورا حسنا غشيت قرونه بالذهب مع آوان كثيرة ذهبية وفضية مملوءة بالطيب وهدايا متنوعة اخرى فاكتسب قلوب اليهود وسأله هركانوس الصلح فأجابه ودخل المدينة فاستقبل استقبالا حافلا وحمل هركانوس اليه ثلاثمائة بدرة من الذهب وانعقد الصلح بينهما ، حيث يفيد هذا أن سيادة السلوقيين عادت فتوطدت ثانية فى نطاق جزية معينة .-

ويتابع يوسيفوس كلامه فيقول : ان ديمتريوس انصرف بعد ذلك الى محاربة الفرس ومضى معه هركانوس على رأس جيشه ــ وفى هذا دليل آخر على سيادة السلوقيين ــ فلقيهم عسكر العجم فهزمهم ديمتريوس وهركانوس وقتلوا أكثرهم . وسار ديمتريوس لمقاتلة جيش ملك العجم الرئيسى وتخلف عنه هركانوس

واشتبك ديستريوس مع ملك العجم فدارت عليه الدائرة وهلك هو وأكثر عسكره .وبلغ هركانوس الخبر فعاد الى الشام ونزل فى طريقه على مدينة حلب ففتحها وأخذ من أهلها الخراج ثم عاد الى أورشليم وغزا السامرة ففتح نابلس ـ والاسم من يوسيفوس حيث يدل على أن الرومانيين الذين احتلوا فلسطين كانوا قد جددوا شكيم وسموها باسم نابلس وحيث يدل على أن يوسيفوس كتب كتابه بعد ذلك ـ وأخرب الهيكل الذى بناه سنبلط السامرى فى جبل جرزيم وقتل كهنته . ثم مضى الى آدوم ـ والتعبير يعنى بلاد الانباط أو دولة الانباط العربية لانها هى التى كانت صاحبة السلطان فى القرن الاول والثانى بعد الميلاد على شرق الاردن ومنها بلاد أدوم ـ ففتح بعض حصونها ، وطلب أهلها الامان فمنحه لهم على خراج يحملونه اليه وألزمهم بالختان والشرائع التوراتية فقبلوا بذلك والتزموه الى ان خربت القدس وتمزقت الامة (والتعبير ليوسيفوس) .

وما عرف عن حالة مملكة الانباط فى القرنين الاول والثانى قبل الميلاد يثير الشك فى صحة قول يوسيفوس سواء من ناحية انبساط سيادة هركانوس عليها أم تهود أهلها مما لم يذكره أى كاتب قديم حيث عرف عنها القوة وانبساط السلطان الى وادى القرى جنوبا وحدود العراق شرقا وشبه جزيرة سيناء غربا على ما

جاء فى تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان (١) ومثله الدكتور جواد على (٢) بالاستناد الى النقوش والمدونات اليونانية والرومانية القديمة •

والراجح أن للخيال نصيبا كبيرا فى ما تدوول من ذكريات عن عهد هركانوس وأن هذا الكلام الذى دون بعد ذلك العهد ببضعة قرون (فى القرن الثانى بعد الميلاد) هو من هذا الباب •

وقد قال يوسيفوس بعد هذا ان هركانوس غزا جميع الامم الذين يجاورون اليهود فقهرهم وأطاعوه جميعهم • وهذا القول غامض للخيال نصيب غير يسير فيه أيضا • ونرجح أن قصارى ما يمكن أن يكون هو انبساط سيطرة هركانوس على الامم غير اليهودية فى فلسطين التى كانت فى الشمال والجنوب • وفى بعض فصول يوسيفوس ما يؤيد هذا حيث ذكر خبر عصيان عكا تارة وغزة تارة أخرى على المكابيين بعد هركانوس على ما سوف نذكره بعد •

وعاد يوسيفوس الى ذكر خبر حرب هركانوس مع السمرة فقال انه حاصر سبسطية ــ وهذه مدينة أقامها او جددها الرومان مكان مدينة السامرة عاصمة دولة اسرائيل ــ حصارا شديدا حتى اضطر ساكنيها الى أكل الجيف • وانهم ظلوا مع ذلك

(١) ص ٦٨ وما بعدها •
(٢) ج ٣ ص ١٧ وما بعدها •

صامدين واستنجدوا بالمكدونيين والمصريين وان أنطيوخوس المكدونى سار الى نجدتهم فخف الجيش المكابى الى لقائه بقيادة ولدى هركانوس وحارباه وهزماه وان لثيرا بن كليوباطرة أتى من مصر أيضا لنصرتهم فسار هركانوس على رأس جيشه للقائه وقاتله قتالا شديدا وقتل خلقا عظيما من جيشه وهزمه ثم عاد الى سبسطية وتمكن من فتحها وقتل من بقى من أهلها ودمرها • والخيال والغلو ملموحان على القصة •

وقد ذكر يوسيفوس ان مما روى عن هركانوس فتحه كنزا من الكنوز كانت فى أورشليم من زمن أولاد داود وأخذه منه ثلاثمائة بدرة ومالا جزيلا وتركه فيه مثله ورده الى ما كان عليه من الخفاء وانه بنى السور الذى هدمه ديستريوس وأحكمه •

كذلك ما ذكره يوسيفوس ان هركانوس أرسل رسلا الى روما لتجديد العهد فاستقبله بحفاوة وأجيب الى الطلب • وقد أورد نص رسالة وجهها مجلس الشيوخ الرومانى الى هركانوس بلقب ملك اليهود • وفى الرسالة ما يثير الشك لانه جاء فيها ان المجلس أمر برد جميع المدن التى كان فتحها أنطيوخوس الى اليهود ، فى حين أن روما لم تكن قد غزت الشرق وبسطت سلطانها عليه بعد • ولم تكن لها سيادة نافذة على الدولة السلوقية فى الشام التى كانت قائمة فى زمن هركانوس •

وقد قال يوسيفوس فى سياق ذلك ان هركانوس لما استلم

الرسالة التي تسميه ملك اليهود أعلن نفسه كذلك وكان قبل يسمى الكاهن الاكبر وكذلك الذين تقدموه من بيته فاجتمعت له منزلتا الكهنوت والملك . وقوى سلطانه واستقام ملكه واطمأن اليهود فى أيامه وأمنوا فى جميع مساكنهم .

وقد يفيد السياق أن هركانوس استمتع بسيادة تامة بعد ما حل فى ديستريوس وجيشه فى بلاد العجم ما حل . أما رواية فتحه حلب وأخذه خراجا منها فى طريق عودته من بلاد العجم فانه على فرض صحته كان بمثابة غزوة عابرة لم يكن لها صفة الامتداد على ما هو المتبادر .

– ٢٠ –

ومع ذلك كله ففى عهد هركانوس ذر قرن الفتن فى الدولة المكابية واستمرت الى أن قضت عليها على ما يستفاد من يوسيفوس (١) .

فقد كان اليهود على ما ذكره فى ذلك الوقت ثلاث فرق الواحدة تسمى الفريسيين والثانية الصدوقيين والثالثة الحسيديم . والثالثة هى فرقة منقطعة للعبادة والثانية مميزة بالتمسك

---

(١) ص ٩٢ .

بالنصوص • والاولى تجنح الى الفلسفة والاعتزال (١) • وكان الصديقون يعادون الفريسيين عداوة شـــديدة وكان هركانوس وآباؤه من الفريسيين ثم تحول الى الصدوقيين وأخذ يضطهـد الفريسيين وذلك بسبب طلبه من هؤلاء النصح والتســديد فى مجلس من المجالس فقال له أحدهم اذا كنت تريد أن تكون ناجيا من الغلط فاخلع نفسك من الكهانة واكتف بالملك لانك لا تصلح لها لان أمك كانت مسبية قبل أن تحبل بك ولم يعترض احـد من الفريسيين على القائل مما أغضب هركانوس ومرمر نفسه • وقد طلب منهم الحكم على القائل بالقتل فأبوا وقالوا انه لا يجب عليه غير جلد أربعين جلدة ، فحنق عليهم وتحول الى مذهـب الصدوقيين ونادى فى جميع المدن بان لا يتعلم احد من الفريسيين وقتل كثيرا ممن خالفوا أوامره •

وكانت العامة بأسرها وبعض الخواص مع الفريسيين فعظمت الشرور منذ ذلك الوقت فى اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا بعد ان كانوا متفقين على محبة هركانوس ومن كان قبله من ولاة بنى حشمناى ـ الاسم اسم الاسرة او العشيرة التى ينتسب اليها المكابيون على ما ذكره المؤلف ـ وتأصلت العداوة

---

(١) يستفاد من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر اعمال الرسل من اسفار العهد الجديد ان الصدوقيين يقولون بعدم قيام القيامة والفرنسيين يقرون بذلك.

بينهم فى زمن هركانوس وبعد وفاته ، وكرهه أكثرهم وأبغضوه وأولاده من بعده (والعبارة ليوسيفوس) .

٢١

ولقد امتد حكم هركانوس ٣١ سنة وخلفه على الملك ابنه ارسطوبولوس (١) . ويقول يوسيفوس أن أرسطوبولوس بعد ما ملك أظهر التكبر والتجبر ولبس تاجا عظيما ترفعا واستصغارا لتاج الكهنوت المقدس وقيد أخاه اسكندر وأمه لمحبتها لاخيه ومال الى أخيه الثالث أنتيغونوس وقدمه على جميع أصحابه واعتمد عليه فى أموره وبعث به الى محاربة الامم الذين عصوه ـ ويدل هذا على ان الامم التى رضخت لهركانوس ما لبثت أن أخذت تتمرد على سلطان المكابيين بعده ـ فقهرهم وردهم الى طاعته وعاد الى القدس ظافرا غانما ، فوجد الملك قد تشكى واعتل بعلة عظيمة فى غيبته . ولكنه رأى أن يمضى أولا الى بيت الله ليشكره على ما رزقه من النصر ثم يمضى الى أخيه . وكان ذلك فى عيد المظال وقد حضر اليهود الى القدس . وكان عليه جوشن

(١) يلاحظ ان الاسم والصيغة يونانيتان . والمتبادر ان اليهود اخذوا يفعلون ذلك نتيجة لانبساط السلطان اليوناني عليهم وعلى بلاد الشام ومصر معا منذ اواخر القرن الرابع للميلاد .

مذهب حسن الصنعة ، وكان هو ذاته شابا بهيا رائع الجمال فلما نظر اليه اليهود تعجبوا من بهجته وجماله • وقد سارع بعض حساده الى الملك ووشوا به قائلين انه لم يأت اليك بل ذهب لاستمالة الناس عليك لما علم بمرضك وانه سيأتى اليك مع اصحابه شاكى السلاح بقصد اغتيالك ، فأثرت به الوشاية ووضع الحرس فى الطرق ووصاهم بقتل كل من يحاول الدخول الى قصره ومعه سلاحه وارسل الى أخيه يطلب منه المجىء بدون سلاح • وكانت امرأته تكره انتيفونوس كرها شديدا فوصت الرسول الذى أرسله الى أخيه بعكس الرسالة حيث يقول له ان أخاه يريد ان يراه بزيه وهيئته وسلاحه عند دخوله القدس فلما جاء الى القصر على ذلك هاجمه الحراس دون ان يعرفوا هويته وقتلوه • وعلم الملك بالامر فحزن أشد حزن وبكى واشتدت علته ولم يلبث ان قضى نحبه • وحينئذ أخرج الجند أخاه اسكندر من سجنه فتولى الملك واستقام له الامر •

وبلغ اسكندر أن أهل غزة وعكا اعلنوا العصيان فسار الى عكا وحاصرها فبعث اهلها الى ابن كليوباطرة الذى كان يقيم فى قبرص مغاضبا لامه ملكة مصر ، يستنجدون به ويعدونه بالخضوع • فجاء ومعه ثلاثون الف رجل فعلم الاسكندر بمجيئه فرحل عن عكا • ولما جاء لبطرا ــ ابن كليوباطرة ــ الى عكا ــ أرسل اليه صاحب صيدا يعرض التحالف ضد اسكندر • وعلم

هذا فأرسل اليه أموالا عظيمة وطلب منه الوقوف بجانبه ضد صاحب صيدا . فاستجاب اليه فاغتنم اسكندر الفرصة وغزا صيدا واستباحها وعاد الى أورشليم غانما ظافرا .

ثم وجه الى كليوباطرة سرا يقول لها ان ابنها الذى عصاها فى بلاده ويقترح عليها أن تأتى سريعا بعسكرها على أن يسير هو أيضا بعسكره فيحيط به العسكران . وبلغ خبر المؤامرة لبطرا فعظم عليه الامر فسار الى الجليل وقتل من أهلها خلقا كثيرا . وسبى سبيا عظيما ثم توجه لمحاربة الاسكندر ونزل على الاردن وخرج اسكندر الى لقائه فدارت الدائرة عليه وقتل عددا عظيما من عسكره وفر باقيهم الى الجبال وعاد اسكندر الى أورشليم مكسورا بسبب اعتداده بقوته وعدم توكله على الله كما يقول يوسيفوس ، وكان جيشه قويا وفيه ستة آلاف جبار حرب أبطال .. وعلم لبطرا أن أمه خرجت اليه فركب البحر وعاد الى قبرص. ولم يذكر يوسيفوس مصير عكا بعد انسحاب لبطرا منها . ويذكر مع ذلك أن اسكندر سار الى غزة فى السنة نفسها ففتحها وقتل أهلها وأحرق هيكلا فيه صنم لهم وقتل كهنته .

وتجددت الحرب الاهلية بين اليهود فى عهد اسكندر هذا حيث غضب على الفريسيين الذين شتم أحدهم اسكندر واسمه القبيح فى أثناء عيد المظال فأمر اصحابه بقتلهم فقتلوا منهم ستة آلاف . وانتهز الصدوقيون الفرصة فقاموا على خصومهم واخذوا

يذبحونهم وامتد ذلك ست سنين وساعدهم الاسكندر فبلغ عدد قتلى الفريسيين خمسين ألفا • ومضى جماعة منهم الى الملك السلوقى أنتيوخوس ديستريوس وسألوه المساعدة على الاسكندر وبذلوا له مالا كثيرا فسار بعسكره اليه كثير من اليهود •

وخرج اسكندر الى لقائه فدارت بينهما معركة فى نابلس دارت فيها الدائرة على اسكندر وقتل أكثر عسكره •

وهذا يعنى كما هو المتبادر أن الدولة المكابية كانت تعتبر رسميا تحت سيادة السلوقيين وان كان من الممكن اذا صح السياق اذ يكون هركانوس وارسطوبولوس واسكندر قد تمتعوا باستقلال ذاتى واسع عاد ضيقا بعد هذه الواقعة •

ولما رجع ديستريوس الى بلاده عادت الحروب بين الفريسيين واسكندر فقتل منهم مقتلة عظيمة فتواروا من أمامه فطاردهم وأخذ ثمانمائة من وجوههم وصلبهم واستولى بعد ذلك على جميع اليهود وقهرهم (والعبارة ليوسيفوس) وقد تعنى العبارة أنه غدا طاغية • ثم سار الى ديمتريوس فى عسكر كبير وتمكن من الاستيلاء على كثير من بلاده وخرج هذا اليه فى عسكر كبير فظفر به اسكندر وقتله • وقد استغرقت رحلته ثلاث سنين عاد بعدها الى أورشليم ظافرا غانما فاستقبله اليهود بالاعظام لما ظهر لهم من بأسه وشجاعته وانتصاره على ديمتريوس وجميع اعدائه

وقهره لكل من يقاومه فاستقام أمر مملكته واعتز سلطانه ، حسب تعبير يوسيفوس •

ولقد اعتل بالحمى ثلاث سنين حتى أنهكته واغتنم الفرصة بعض البلاد فأعلنت تحررها فسار وهو عليل وحاصرها وفى أثناء الحصار توفى بعد حكم امتد سبعا وعشرين سنة • وكانت زوجته معه فأخفت خبر وفاته وشددت الحصار حتى فتحت المدينـــة المحاصرة ثم عادت الى أورشليم فاستدعت وجوه الفريسيـــين وتألفت قلوبهم ، وكان هذا حسب وصية زوجها وهو على فراش الموت فاجابوها بالجميل وأظهروا الحزن وبايعوها بالملك خلفـا لزوجها فاستقام امرها بمساعدتهم •

وقد ردت الملكة تدبير الدولة الى زعماء الفريسيين وأطلقت من كان منهم فى السجون ورجعت عن المذهـب الصدوقى الى مذهبهم وجعلت ابنا لها اسمه هركانوس كاهنا وابنا اخر اسـمه أرسطوبولوس قائدا للجيش ووجهت الى جميع الذين كانوا تحت سلطان الدولة فأخذت منهم رهائن فدامت بذلك طاعتهم لهـــا وحملهم الخراج والهدايا سنويا واستقام ملكها وقوى أمرها •

وطلب الفريسيون منها أن تمـكنهم من أخـــذ ثأرهم من الصدوقيين فأجابتهم الى ذلك فأخذوا يقتلون من قدروا عليـه فهرع زعماء الصدوقيين الى الملكة شاكين منددين بالغدر الذى لقوه مقابل ما كان منهم من تعضيد لزوجها وطلبوا منها أن تكفه

الفريسيين عنهم أو تسمح لهم بمقابلتهم لانهم قادرون عليهم او بالخروج من أورشليم والتفرق فى الضياع البعيدة لئلا يقتلهم خصومهم كالغنم ويذلوهم • وأعانهم أرسطوبولوس فى موقفهم فبكت لبكائهم وأذنت لهم بالخروج من أورشليم لانها لا تأمن عليهم منهم وظنت أن هذا أدعى لحسم الشر • وخرج الصدوقيون وخرج معهم وجوه العسكر وأبطالهم وجبابرتهم وتفرقوا فى الضياع • فأوهن هذا الدولة وأغرى الاقوام الخاضعة بالعصيان وكان سببا لمنازعات وحروب عديدة مديدة بين ولديها هركانوس وارسطوبولوس •

وماتت بعد حكم امتد تسع سنين • وكان ابنها أرسطوبولوس حينما رآها مشرفة على الموت ذهب الى الضياع التى يقيم فيها الصدوقيون وأخبرهم بمرض أمه واستنهضهم لنصرته ومساعدته على التملك فضمنوا له ذلك واتصل الخبر بأمه فأمرت بسجن امرأته وابنتيه • ولكنها لم تلبث أن ماتت ، فانشطر اليهود شطرين الفريسيين مع هركانوس والصدوقيين مع أرسطوبولوس وخرج الاخوان كل على رأس انصاره للقتال وتصفية الامر بينهما وتحاربا على نهر الاردن فانهزم هركانوس الى أورشليم وأغلق أسوارها فتبعه أرسطوبولوس وضرب عليه الحصار وأخذ يعمل لهدم الحصن • وخرج الكهنة وشيوخ اليهود اليه وطلبوا منه

الكف عن القتال والمصالحة مع أخيه على أن يكون هو الملك واخوه الكاهن واستقر الامر على ذلك وتحالفا عليه •

- ٢٢ -

واستقامت الامور ردحا من الزمن ثم فسد ما بين الاخوين فتجددت الفتن والحروب • ويقول يوسيفوس ان سبب ذلك دسائس رجل اسمه أنتبطراس كان واليا قبل هركانوس على أدوم (١) فاقام فيها سنين عديدة وتزوج من أهلها وانجب أولادا وصار صاحب مال وضياع ومواشي ، وان الملكة اسكندرة عزلته فجاء وأقام فى أورشليم • واختلف فى أصله فقيل انه يهودى وقيل انه عسقلانى فلسطينى وثنى الاصل ثم تهود كما قيل انه آدومى• وكلمة أدومى ترادف فى هذا الظرف الذى تقع فيه الاحداث كلمة نبطى عربى ، لان بلاد أدوم كان يقوم فيها فى هذا الظرف ــ فى القرن الاول قبل الميلاد أو قبله ــ دولة الانباط العربية وكانت

(١) ليس من المعقول ان يكون انتيبطراس واليا على ادوم • لانه كان يقوم فى بلاد ادوم ومعظم شرق الاردن دولة الانباط العربية منذ القرن السادس قبل الميلاد، وكل ما يمكن ان يكون محتملا ان انتيبطرس كان يتولى الاقسام القريبة من شرق الاردن الملاصقة لغرب الاردن والتى كان فيها جاليات اسرائيلية وكانت تعد من توابع اليهودية ■

العروبة الصريحة أخذت تتوطد فى أنحاء شرق الأردن (١) : وكان ذا مكر ودهاء وحيلة كما يقول يوسيفوس فانعقدت المودة بينه وبين هركانوس حتى لم يكن يفارقه مما أثار ريبة آرسطوبولوس وجعله يترصده . وشعر هو بذلك فساوره الخوف فأخذ يتآمر على آرسطوبولوس بدوره . ويذكر ظلمه وتقلبه على أخيه الاكبر هركانوس ويدعو الى تمليك هذا بدلا منه . واستطاع ان يكون حزبا مناصرا كبيرا من وجوه الدولة وكبرائها ثم قال لهركانوس ان أخاه يريد قتله لانه يعلم ان الملك من حقه ولا يثق ببقاء الملك فى يده الا بموته وما زال يلح عليه حتى جعله يخرج من آورشليم ويلجأ الى هريمة ملك الاعراب . وكان أنتيبطراس قد ذهب سرا الى هريمة وقص عليه قصة النزاع بين الاخوين وأخذ منه عهدا بالحماية والتأييد . وقد خرج أنتيبطراس وهركانوس سعا الى هريمة فتلقاهما بالاكرام . ثم أخذ أنتيبطراس يحرك هذا على أرسطوبولوس ومساعدة هركانوس ويلح عليه حتى قبل على شرط رد جميع ما كان استولى عليه أبوه من البلاد التى كانت تابعة له ، وسار بعسكر كبير ، وخرج أرسطوبولوس الى لقائه ، غير أن أكثر جيشه انحاز واستأمن لهركانوس فعاد ارسطوبولوس فارا الى أورشليم وتحصن فيها . وزحف هركانوس وهريمة

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٦٨ وما بعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٢ ص ١٧ وما بعدها .

وحاصرا المدينة وطال الحصار واتصلت الحروب وعظمت الفتن ببلاد اليهود وجنح كثير من طلاب السلامة منهم الى النزوح الى مصر .

ومما ذكره يوسيفوس أن عيد الفطر قد حل فى هذه الاثنـــاء فخاطب الكهنة فى أورشليم اليهود الذين مع هركانوس وطلبوا منهم أن يعطوهم ما يلزمهم من الذبائح للعيد فوافقـــوا على أن يؤدوا ثمن كل رأس الف دينار فوافقوا وأرسلوا المال فأخذوه وغدروا ونكثوا أيمانهم ولم يعطوهم شيئا ، مما فيه صورة مـــن صور الجشع والغدر الاسرائيلى ضد بعضهم . كذلك مما ذكره أن بعض جماعة هركانوس سألوا رجلا صالحا من اليهود صادفوه خارج المدينة أن يدعو على أرسطوبولوس فأبى ودعا باصـــلاح حالة اليهود جميعا فوثبوا عليه فقتلوه !

ولقد اتفق فى ذلك الزمن أن القائد الرومانى بومبيوس كان يزحف على المشرق وقد استولى على سورية فأرسل أرسطوبولوس رسلا الى نائبه فى دمشق يستعين به على أخيه وهريمة فأرســـل هريمة يأمره بالانصراف عن القدس ويتوعده اذا خالف الامـــر فأذعن وعاد معه هركانوس وأنتبطراس .

ونقول استطرادا ان هريمة هذا هو على الارجح الحارث ملك الانباط لان زمنه يصادف زمن بومبيوس حوالى عام ٦٤ ق.م وهو أعظم ملوك الانباط سعة سلطان وعلو شأن وقوة حيلة .

وقد تمكن من الاحتفاظ باستقلاله حين زحف بومبيوس ودافعه بالحسنى • وهريمة على الاغلب محرفة عن هريثة بالنسخ وهريثة هى أعجمية حارثة او الحارث كما هو المتبادر (١) •

ولقد أرسل أرسطو بولوس ثانية الى بومبيوس الذى كان وصل الى دمشق رسلا معهم هدايا جليلة وخمسمائة بدرة من الذهب وسأله المساعدة على أخيه ، ووجه هركانوس بدوره أنتيبطراس الى بومبيوس وسأله مساعدته على أخيه • واستطاع هذا بسعة حيلته وذلاقة لسانه أن يستولى على لب بومبيوس فاستدعى الاخوين اليه فتقاضيا امامه وادعى هركانوس انه أحق بالملك لانه الاكبر وادعى ارسطوبولوس انه ملك بوصية من أبيه وأمه وأرجأ القائد الرومانى البت الى أن يزور أورشليم ويدرس الموقف فيها • وأرسل أنتيبطرس الى جميع المدن التى كان قهرها أرسطوبولوس والتى تقع فى طريق بومبيوس يحرضها على الشكوى ضد أرسطوبولوس والتظلم من جبروته ففعلوا فأمر بومبيوس أرسطوبولوس برد جميع ما أخذ منهم وكف يده عنهم فأذعن ، ولما دخل أورشليم طلب أرسطوبولوس منه التأييد وعدم تشميت أعدائه فطلب منه حمل كل ما فى المعبد من أموال وكنوزا وذخائر ليحمله الى هيكل المشترى فى روما فأذعن • ولكن الكهنة

---

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان ص٦٨ وما بعدها ، والعرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ١٧ وما بعدها •

عارضوا وقتلوا الوكلاء الذين أرسلهم بومبيوس لاخذ الكنوز فغضب هذا وقبض على ارسطوبولوس وقيده ثم ركب للهجوم على المدينة فأغلقت الابواب فى وجهه غير أن الفتنة لم تلبث أن نشبت بين أنصار الاخين فسارع انصار هركانوس الى فتح الابواب فدخل بومبيوس وأوقع فى أهلها وكهنتها واستولى على ما فى المعبد ونصب هركانوس ملكا وأشرك معه أنتيبطراس وجعل معهما قائدا على رأس حامية رومانية وفرض على اليهود خراجا سنويا وحمل معه أرسطوبولوس مع ابنيه أسرى وأزال يد اليهود عن الامم التى كانت تحت طاعتهم ورد بلدانهم لهم وهى المدن والرساتيق والضيع والكور والاعمال من أوطية الجبال ، كان المكابيون قد استولوا عليها أيام قوتهم ، وعاد الى روماء والعبارة تدل على أن ما كان تحت يد المكابيين وسلطانهم انما كان من أرض فلسطين وغرب الاردن وحسب . وهكذا غدت الدولة المكابية خاضعة لسيادة روما واحتلالها العسكرى مكفوفة اليد عن غير اليهود من الاقوام الاخرى فى أرض فلسطين بعد أن كانت خاضعة لسيادة السلوقيين حيث نسف الرومان دولة هؤلاء سنة ٦٤ ق.م وحلوا محلهم .

ولما عاد بومبيوس الى روما مضى هركانوس وأنتيبطراس وشكاروس قائد الحامية الرومانية الى العرب ليدعوهم الى طاعة الرومان . وكان لأرسطوبولوس ابن ثالث اسمه اسكندر استطاع

أن يختفى ويفلت من يد بومبيوس فاغتنم الفرصـــة وجاء الى أورشليم من مخبئه فتلقاه أهلها بالاكرام وملكوه عليهم • فلمـا عاد هركانوس ومن معه خرج اليهم وحاربهم وهزمهم بعـد ان قتل منهم مقتلة عظيمة • غير انه لم يهنأ بما نال حيث كان قائـد رومانى جاء على رأس فرقة الى سورية فى هذا الوقت فعلم بمـا فعله اسكندر فزحف على أورشليم وانضم اليـه هركانوس ومن معه وتمكنوا من التغلب على قوة اسكندر فانهزم الى حصـن يسمى اسكندرونة فلحق به القائد الرومانى وحاصره فاضطر الى الخروج اليه مستأمنا • وفى هذه الاثناء تمـكن أرسطوبولوس أبوه من الفرار من روما ومعه أحد أولاده أنتيفونوس وجاء الى اليهودية فاجتمع عليه خلق كثير غير أن القائد الرومانى حاربـه وتغلب عليه وقتل أكثر رجاله وأسره وأرسله ثانية الى رومة •

وفى هذه الأثناء برز قيصر وتغلب على رومة فأطلـق سراح أرسطوبولوس وأحسن اليه وضم اليه قائدين فى اثنى عشر الفا وأمره أن يعود الى اليهودية ليكون نصيرا له على بومبيوس الذى نشب بينه وبينه نزاع تنافسى • وعلم بومبيوس بالامر فكتـب الى أنتيبطراس ليكفيه أمر أرسطوبولوس فاستدعى قوما مـن وجوه أورشليم وأرسلهم اليه ومعهم سم قاتل وأمرهم بالاحتيال عليه وسمه • وقد تمكنوا من ذلك ، فظـل مستتبا لهركانوس وأنتيبطراس •

وخرج قائد رومانى اسمه كرسوس من روما قاصـــدا بلاد العجم على رأس حملة كبيرة فعرج على أورشليم وطلب من الكهنة اعطاءه ما فى المعبد من الاموال وحاول الكاهـــن الاكبر العازار صرفه عن ذلك فأبى فعرض عليه الكاهن ان يعطيه ثلاثمائة بدرة من الذهب على ان لا يمد يده على شىء مما للهيكل فوافـــق وحينئذ أخرج الكاهن الذهب من محل سرى فى المعبد وأداه له. ولكن القائد غدر بعهده وأخذ جميع ما فى الخزائن وكان يقدر بنحو الفى بدرة مع ما فى الهيكل من أدوات وأوان .

ومن العجيب أن الرومان فعلوا هذا والحـــكم مستتب لهركانوس فى اليهودية حيث يدل هذا اذا صح على مقـــدار استهتارهم به وعلى عجزه عن صدهم عما ابتغوه . وقد ذكـــر يوسيفوس بعد هذا أن قائدا آخر جاء بحملة لمحاربة العجم الذين انتصروا على حملة كرسوس واستولوا نتيجة لذلك على بـــلاد الشام وعرج بعد انتصاره عليهم على أورشليم فوجـــد اليهود يحاربون هركانوس وأنتيبطراس فنصرهما وثبت ولايتهما حيث يدل هذا على أن اليهود اغتنموا فرصة انكسار حملة كرسوس وانتصار العجم فثاروا على هركانوس حقدا عليه وعلى الرومان أوليائه ..

ويحكى يوسيفوس بعد هذا ما كان من نزاع بـــين قيصر وبومبيوس وانتصار قيصر عليه وقتله وزحفه على بلاد الشرق

لتوطيد سلطانه عليها • وسعى هركانوس وأنتيبطراس للتزلف اليه بمساعدة ملك السريان متردات الذى سيره قيصر الى محاربة قواد بومبيوس وما كان من بلاء أنتيبطراس فى هذه الحرب • واستدعاء قيصر لهذا بعد أن علم ببلائه من متردات وترحيبه به ، ووشاية أنتيفونوس بن أرسطوبولوس لقيصر به وبعمه هركانوس وذكره ما كان من ولائهما لبومبيوس ، وجواب أنتيبطراس على سؤال قيصر فى ذلك قائلا انه كان محبا لبومبيوس لانه كان صاحب جيش الروم وعظيمهم وانه مع ذلك حارب قواده خدمة له وكشف عن جروحه فأعجب قيصر احتجاجه وكلامه وأثنى عليه وقال له انه ثبت لديه اخلاصه له وحرصه على طاعته وانه من اجل ذلك يقدمه على جميع اصحابه ويعقد له الرئاسة على جيوشه • ثم أخذه معه لمحاربة العجم فأظهر من شدة البأس والشجاعة والمناصحة ما زاد فى ميل قيصر اليه ومحبته له وما زاد به حكم هركانوس وأنتيبطراس على اليهودية توطدا ورسوخا •

- ٢٣ -

ولقد جنح أنتيبطراس الى استغلال ما كان له من منزلة فى نفس قيصر وما رآه من ضعف عزيمة هركانوس ووهنه واستسلامه

له فاستولى هو وأولاده على الدولة فجعل أحدهم فيلــو ناظرا على أورشليم وثانيهم هيرودوس واليا على الجليل ولم يبــق لهركانوس الا الاسم • وفى هذه الاثناء برز فىفلسطين جبار اسمه حزقيال جمع حوله جماعة من أمثاله وأخذوا يعيثون فســادا فى أنحاء سورية والجليل فتصدى له هيرودوس وكبسه وقتله فبعث والى سورية اليه بمال عظيم قوى به أمره • وعز على اليهود قتل حزقيال ، فأخذوا يحرضون هركانوس على أنتيبطــرا وأولاده ويخوفونه منهم ويشكون له ما فعله هيرودوس وما زالوا به حتى جعلوه يستدعيه الى أورشليم للمحاكمة بحضرة مجلس السبعين • وجاء هيرودوس الى المجلس وعليه اللباس الموشى وقد أصلــح شعره وصفف طرته وتقلد حسامه ومعه أصحابه على هذه الحال فانبثت هيبته فى قلوب الاعضاء وفى قلب هركانوس • ولكـــن الحقد عليه كان باديا • واستشعر هو ذلك فانصرف من أورشليم الى والى الشام فقابله بالاكرام • وكتب هركانــوس الى قيصر يسأله تجديد العهد بينه وبين الروم فأكرم الرسل وقضى حوائجهم

وقد أورد يوسيفوس نص كتـــاب قال ان قيصر أرســله الى وكلائه فى صيدا وصور يثنى فيه على هركانوس ومحبتــه ومحبة قومه للروم ويشيد بشجاعته وبلاء فارس اليهود وجبارهم أنتيبطراس ويأمر بتقديم خراج صيدا السنوى الى معبد أورشليم م عشرين الف مد من الحنطة ورد اللاذقية وسائر أعمالها وكل

ما كان بيد اليهود الى شط الفرات مع ما كان المكابيون بنــو حشمناى فتحوه من جانب الفرات الآخر الى هركانوس لانه مما أخذه اباؤه بحد السيف . وانتهى نص الكتاب بالقول « وهى من الآن لهركانوس ولمن بعده من الملوك . وهــذا العهد عنى وعن كل ملك يملك على الروم بعدى . وعلى من خالفه ونقضه وغير شيئا منه اللعنات وعلى أولاده وبلاده . واذا قرأتم كتابى هذا فانسخوه فى ألواح نحاسية بلسان الروم واليونان وعلقوها فى هيكل الهنا العظيم ديوس ــ أى المشترى ــ فى صيدا وصور ليراها كل واحد فيعلم ما جعلت لهركانوس واليهود من المواثيق والعهود » .

والنص ولاسيما خاتمته تثير الشك فى صحته ولاسيما انــه اختص وكيله فى صيدا به مع أن الوالى الاكبر فى دمشق لا فى صيدا ولا فى صور . هذا الى أنه لم يرد أى شىء فى تاريــخ يوسيفوس ولا فى أسفار المكابيين عن فتح هؤلاء اللاذقية وأعمالها ولا لضفتى الفرات وكل ما ذكر أن هركانوس الاول فتح حلب فى طريق عودته من بلاد العجم وأخذ منها خراجا ولم يعد يذكر أى شىء عن أى نشاط ونفوذ وسلطان وتبعة وخراج كان لليهود فى حلب أو فى أى مكان غير غرب الاردن ولفترة ما فى شرق الاردن .

والراجح أن الخيال وذكرى ما كان فى عهد هركانوس قــد

لعبا دورهما فى الروايات فوصلت الى يوسيفوس مشوبة بهـذا الغلو الكبير •

ومما ذكره يوسيفوس ان هركانوس أرسل رسلا مع هدايا عظيمة الى أوغوسطوس (٢٩ ق•م — ١٤ ب•م) حينما آل اليه سلطان روما بعد قتله كيساوبس •

وطلب تجديد العهد والامر باطلاق سبى اليهود فلبى طلبه وكتب له جوابا أورد يوسيفوس نصه • وقد سرد فيه ما جرى بينه وبين كيساوس وظفره به وبأعوانه ثم قال « فليعظم سرورك ايها الملك هركانوس وجميع الكهنة فى هيكل الله وسائر اليهود بذلك واقبلوا الهدية التى أرسلناها الى الهيـكل وادعو ببقـاء الملك أوغسطوس وسلامته وقد كتبنا الى سائر عمالنا بان لا يبقى سبى من اليهود الا ويطلق ويسـمح لهم بالرجوع الى أرض آبائهم » وان أوغوسطوس كتب لعماله فى صور وصيدا بان يردوا ما أخذوه من بلد اليهود فى أيام كيساوس وأن يسـالموهم ولا يعارضوهم فى شىء من أمورهم •• حيث تدل العبارة على أن ولاة صور وصيدا لم يلبثوا ان نقضوا أمر قيصر ومدوا أيديهم الى أنحاء كثيرة من أرض فلسطين التى آعيدت بأمر قيصر الى حوزة اليهود ••

كذلك مما ذكره يوسيفوس أن أنتيفونوس بن أرسطوبولوس مضى مع جماعة الى ملك العجم ووعده بألف بـدرة وثمانمائة

(٨٠٠) جارية من بنات آكابر اليهود ورؤسائهم اذا هو ساعده على أخذ الملك من عمه وقتل هيرودوس وأخيه •

وقد كان ذكر أن هركانوس الاول فتح بعض حصون أدوم ثم ذكر استعانة هركانوس الثانى بملك أدوم الذى هـو ملـك الانباط ومساعدته له على شرط التخلى عن كل ما كان فى يـده من أنحاء شرق الاردن •• ولهذا نميل الى القول ان هذه الروايات من الذكريات الخيالية عن عهد هركانوس الذى كان بينه وبـين يوسيفوس أكثر من قرن ونصف ••

هذا ، ويظهر أن أنتيبطراس وبنيه أصحاب الكلمة والشأن فى الدولة المكابية حيث ذكر يوسيفوس أنه حينما قتـل قيصر وتغلب كيساوس على الدولة وجاء الى آسيا جاء الى بلد يهوذا ــ يعنى أورشليم ــ وطلب سبعين بدرة فجمعها أنتيبطراس وبنوه من بلدان اليهود وحملوها اليه فأخذها ومضى •

ومهما يكن من أمر فالسياق يدل على ان كتاب قيصر المزعوم لم يغير من حالة خضوع الدولة المكابية لسيادة روما كما هـو المتبـادر •

وقد ذكر يوسيفوس بعد هذا أن رؤساء اليهود تآمروا على قتل أنتيبطراس وتمكنوا من دس السم له • وكان زعيم المؤامرة قائدا اسمه ملكيا فمضى هيرودوس الى كيساوس وشكا له مـا

جرى فوعده بتمكينه من قتل قاتل أبيه حينما يصل الى صور •
ولما وصل اليها دعا هركانوس وملكيا وبقية خواص الدولة الى صور وهناك تمكن هيرودوس من قتل ملكيا • وان ملك الفرس أجاب انتيفونوس الى طلبه وسار معه فى عسكر كبير الى أرض سورية ففتحها وقتل من كان فيها من ولاة الروم ووجه قائدا من قواده على رأس حملة كبيرة الى أورشليم ومعه أنتيفونوس وأمره بتحقيق طلب أنتيفونوس بأسلوب مناسب ، وان القائد تظاهر بانه لم يأت الا ليدخل بيت الله ويصلى فيه فلما دخله غدر وامتد فى القتل والنهب فبادر هيرودوس وأخوه الى المقاومة فأدرك ملك الفرس صعوبة المهمة وأرسل الى هيرودوس وأخيه وهركانوس يعتذر ويتلطف ويعرض عليهم الصداقة والمودة حتى استمالهم ثم أمر قائده بالانسحاب واستصحاب فيلو وهركانوس بحيلة ما •
ولما وصل بهما الى الشام أظهر الملك لهما الغدر فقتل فيلو نفسه وقطع أنتيفونوس أذن عمه حتى لا يصلح للكهانة ثم أخذه الملك معه أسيرا الى بلاده ووجه حملة كبيرة بقيادة احد قواده ومعه أنتيفونوس لتمليكه • وبلغ هيرودوس غدر ملك الفرس فأخذ امه وزوجته وأمها وباقى أسرته الى جبال الشراة ووضعهم فى مقام أمين ثم سار الى مصر ومنها الى روما حيث أخبر أوغوسطوس بما جرى •

والصورة المألوفة من مكائد الاسرائيليين ودسائسهم وشدة

حقدهم ضد بعضهم بادية فى هذا السياق . هذا مع التنبيه على أنه ليس من المعقول ان حملة ملك الفرس كانت استجابة لاستنجاد انتيفونوس واغرائه بالمال اليهودى والفتيات اليهوديات أبناء الاكابر كما يريد السياق أن يوهمه . وكل ما يحتمل ان يكون أن جولة من جولات التشاد والحروب التنافسية التى كانت تتكرر من حين لآخر بين الفرس والرومان الذين ورثوا اليونان وممالكهم انتصر فيها الفرس واستولوا نتيجة لها على بلاد الشام لفترة من الزمن فاغتنم انتيفونوس الفرصة وسعى سعيه مع ملك الفرس ضد عمه وهيرودوس وأغرى الملك بالمال والفتيات .

وقد ذكر يوسيفوس أن أوغوسطوس البس بموافقة مجلس شيوخ روما هيرودوس التاج وملكه على اليهود وكتب له عهدا على ألواح نحاسية وأقام له موكبا ثم سيره مع حملة خرجت لقتال الفرس حتى اذا وصلت انطاكية اتجه قسم منها الى أورشليم لقتال انتيفونوس الذى ملكه الفرس ، فما كان من هذا الا ان ذهب الى جبال الشراة لاعتقال أسرة هيرودوس فلحق به هذا وأطبق عليه وقتله مع كثير من جنده فاستتب له الحكم .

وانتهى بذلك عهد أسرة حشمناى التى تولى حكم اليهود منها عشرة اشخاص وهم : متنيا ـ يهوذا بن متنيا ـ يوناتان بن متنيا ـ شمعون بن متنيا ـ يوحنا ـ هركانوس بن شمعون ـ اسكندر بن هركانوس ـ اسكندرة زوجة هركانوس ـ

أرسطوبولوس بن اسكندر ـ هـركانوس بن اسـكندر ـ انتيفونوس بن أرسطوبولوس ، وامتد حكمهم نحو ١٢٥ سنة ـ لانه يخمن أن هيرودوس صار ملكا فى العقد الثالث من أواخر القرن الاول قبل الميلاد .وقد تسمى الخمسة الاولون كهانـا والخمسة الآخرون ملوكا . ومارس بعضهم استقلالا ذاتيا واسعا وبعضهم استقلالا ذاتيا ضيقا تحت سيادة السلوقيين والرومـان ومارس بعضهم سيادة قد تكون تامة لفترة قصيرة فى زمـن السلوقيين على ما مر شرحه .

- ٢٤ -

وبتولى هيرودوس ابتدأ عهد أسرة جديـدة حاكمـة على اليهودية يتراوح التخمين فى أصلها بين أن تكون فلسطينيـة عسقلانية او أدومية نبطية عربية أو اسرائيلية .

وقد تولى الحكم منها خمسة ملـوك هم هيرودوس الاول وأرخلاوس بن هيرودوس وأنتيفوس بن هيرودوس المسـمى هيرودوس الثانى وأغريبا بن أرسطوبولوس بن هيرودوس وأغريبا الثانى ابنه . وامتد حكمها نحو مائة سنة ٢٥ ق.م ـ ٧٠ب.م(١)

(١) ص ١٤٩ وما بعدها .

ولقد ذكر يوسيفوس أن هيرودوس بعد أن فرض سلطانه اخذ يقتل من يعاديه ويناوئه من الرؤساء والوجوه والعلماء ويصادر أموالهم حتى لم يبق من يعانده ويعارضه • ثم استدرك فقال «والذين بقوا منهم كانوا يكرهونه ويخافون بطشه فيدارونه

وقال عن هيرودوس فيما قال انه كان كثيرا ما يخالف وصايا التوراة • ومما فعله أنه وكل بأبواب مدينة القدس من يفتش الخارجين منها ويأخذ ما يوجد معهم من فضة وذهب • ووكل كذلك من يفتش الجنائز ويصادر ما يحتال أهل الاموات على اخراجه فى توابيتها من أموال • وتمكن بذلك من جمع مالم يجمعه ملك قبله •

ومما ذكره يوسيفوس عنه أنه غزا جميع الامم الذين عصوا على اليهود خالفوهم فردهم عنفا واقتسارا وألزمهم بحمل الخراج اليه ، والعبارة غامضة مطاطة • ولكن المرجح ان صح ذلك فيكون المقصود بذلك أمم فلسطين الاخرى لان الدولة المكابية كانت راضخة لسيادة روما مع سائر بلاد الشام وليس من اعلمقول ان يكون للدولة المكابية سيادة او خراج على غير فلسطين • وكان هذا هو شأنها فى معظم حقبتها السابقة •

ومما وصفه يوسيفوس به أنه كان ملكا مهابا مظفرا وأنه كان متواثقا مع الفريسيين • وانه أخرج الاموال الجزيلة فى سنة جدب وقحط وجلب المؤن من مختلف الانحاء وأجرى على الشيوخ

واليتامى والأرامل والعميان والمرضى والمنقطعين من الخبز ما يكفيهم فألهج بذلك الالسن بشكره وقوى اعتباره وحكمه ؛ وانه هدم المعبد الذى بناه العائدون من السبى وجدد البناء على الاسس والحدود والهيئة التى كانت له فى زمن سليمان وأنفق على ذلك طائل الاموال واستغرق العمل فيه بضع سنين وأن السماء فى أيام الشتاء كانت تمطر مطرها فى القدس فى الليل دون النهار خلال هذه السنين حتى لا يتعطل العمل مما هو من نسج الخيال والذكريات ، وانه بنى فى أورشليم بناية حسنة وصور فيها جميع الملوك الذين غلبهم وقهرهم واتخذ ميدانا جعل فيه عجلات تجرها الخيل للمسابقة وجمع فيها أنواعا كثيرة من السباع والوحوش وكان يأمر بالقاء الناس لهم لتفترسهم بحضرته .. وقد سرد يوسيفوس فى سياق طويل كيف احتال هيرودوس على هركانوس الذى كان أخذه معه ملك الفرس أسيرا والذى كان أطلق سراحه وأقام بين يهود العراق مستريحا مكرما فأحضره الى القدس ثم قتله ليأمن شره . وكان هذا بعد أن حضر قد اتصل بملك العرب ــ ملك الانباط ــ بقصد الالتجاء اليه حينما ساورته المخاوف فاتخذ هيرودوس ذلك ذريعة الى قتله . ثم ذكر يوسيفوس فى سياق طويل كذلك أن هيرودوس حول رئاسة الكهان عن بيت حشمناى حتى لا يبقى لهم رئاسة ما ضمانا لملكه وعين لها رجلا من عوام الكهنة ، وأن هذا وذاك قد أثارا

غضب اسكندرة زوجة هركانوس وابنتها مريم زوجة هيرودوس وابنها آرسطوبولوس ، وأن اسكندرة شكت هيرودوس الى كليوباطرة ملكة مصر وأنطونيو القائد الروماني وطلبت منهما التدخل لتعيين ابنها للكهانة . وأن هيرودوس خاف من منافسة هذا بعد أن عينه مضطرا للكهانة نتيجة لذلك التدخل فاحتال عليه وقتله غرقا ثم قتل بعد ذلك اسكندرة وزوجته مريم ابنتها بأسلوب قاس بعد أن أذاقهما العذاب والهوان ، ثم قتل زوجي أخته لاشتراكهما فى المؤامرات ضده واحدا بعد الآخر وكان الثانى واليا فى بلاد أدوم وتستر على عدد من أبنـــاء أسرة حشمناى وأنصارها . ثم قتل ولديه اسكندر وأرسطوبولوس ابنى مريم بنت هركانوس بدسيسة من ابن آخر له من أدوميــة اسمها أنتيبطراس حتى يخلو له الجو ، ثم قتل هذا الولد حينما عرف دسيسته . وانه اعتل بعد ذلك بعلة شديدة تقرح بهــا جسده وصار يتمنى الموت حتى انه حاول أن يقتل نفســه ثم هلك على أبشع صورة من المرض والتقرح .

ومع أن من المحتمل أن يكون السياق قد شيب بالخيال فان ذلك لا يمنع أن يكون وقع دسائس ومكائد ووشايات وحركات فى أواخر عهد هوميروس أدت الى مآس من نوع ما جاءفيه مما تكررت صوره من اليهود ضد بعضهم فى هذه الحقبة وقبلها .

ومما ذكره يوسيفوس من أحداث هيرودوس ما نشب بينه

وبين كليوباطرة من عداء وتشاد بتأثير شكايات اسكندرة • ولقد طلبت من أنطونيو قتله لانه غدر بهركانوس وزوجته وأولادها رغم ما كان من رعايتها لهم فوعد بالاحتيال على ذلك •

وكان متواثقا مع هيرودوس فطلب منه الزحف على العرب الذين أعلنوا العصيان والتمرد ، وأرسلت كليوباطرة كتيبة لتشد عضده فى حربه مع العرب فى الظاهر وتخامر عليه وتبطش به فى الحقيقة •

وقد نفذت الكتيبة المؤامرة فأدت مخامرتها الى هزيمة جيش هيرودوس وقتل الالوف من اليهود غير أن هيرودوس تمكن من النجاة والعودة الى القدس •

ويستطرد يوسيفوس فيقول ان هيرودوس جمع زعماء اليهود وأخذ يحرضهم على العرب ويخوفهم من عاقبة الهزيمة وتفاقم خطرهم فاستجابوا اليه فجند جيشا كبيرا وزحف به ونشبت المعارك بينه وبينهم وانتصر عليهم المرة بعد المرة وتمكن فى النهاية من استباحة ديارهم وأموالهم وتدمير مواطنهم فذلوا وطلبوا منه الامان فأمنهم ووافقهم على مال يحملونه اليه كل سنة ولم تخالفه العرب بعد ذلك • ولا ندرى أى العرب يقصد يوسيفوس بهذا الخبر ! فان دولة الانباط العربية هى التى كانت قائمة يشمل سلطانها العرب فى شرق الاردن وحوران •

وكانت هى ودولة هيرودوس فى هذه الآونة تحت سيادة روما • وكانت قوية نوعا ما فى نطاق استقلالها الذاتى حتى أن هركانوس طلب أن يلتجىء اليها فى عهد هيرودوس نفسه كما أن بعض الامراء المكابيين قبله كانوا يطلبون مساعدتها على بعضهم فى سياق التنافس الذى نشب بينهم على ما مر ذكره • ولم يذكر المؤرخون أنهاذلت لهيرودوس وغير هيرودوس من المكابيين فكل ما يمكن أن يكون ان صحت أخبار حروب هيرودوس مع العرب أن هذه الحروب كانت بينه وبين بعض قبائل عربية كانت تقيم فى حدود الدولة اليهودية من الشرق أو الجنوب •

ومما ذكره يوسيفوس كذلك من سيرة هيرودوس أن اوغسطوس بعد أن انتصر على أنطونيو الذى ثار غضبه عليه لاهماله مهمته واستغراقه فى عشق كليوباطرة استدعى هيرودوس فحمل اليه هدايا كثيرة ولكن اوغسطوس كان يعرف شدة تواثقه مع أنطونيو فرفض مقابلته الا بعد أن ينزع من رأسه التاج ففعل ثم دخل عليه وقال له :

اذا كنت سخطت علي من أجل محبتى لانطونيوس فان ذلك كان وفاء له لقاء مساعداته لى • وأنا وفى يوفى معى محب لمن يحسن الى • فأعجب أوغسطوس بعقله وكلامه وأمر برد تاجه اليه وطيب خاطره وقال له نحسن اليك لما تقدم من طاعتك لدولتنا وخدمتك لها ومحاربتك اعداءها •

ولقد تولى العرش بعده ابنه ارخلاوس وأمه أدومية ـ عربية فدفن أباه فى قصره باحتفـــال عظيم وأجلســه على عرش من ذهب بستور من الديباج الثمين ووضع على رأسه تاجا من ذهب وفى يده قضيبا على صورته وغمره بالاطياب الثمينة وسار جمهور اليهود من زعماء وكهان وعوام فى جنازته لاستمرار شـعورهم بالهيبة والرهبة منه (وهذه عبارة يوسيفوس)

على أن الناس لم يلبثوا ، كما يقول يوسيفوس ، أن أخذوا يطلقون ألسنتهم بذمه وذكر أفعاله الذميمة وأخذوا يظهـرون المناوأة والعصيان لابنه خشية من سيرته فيهم سيرة أبيه • وقابلهم أرخلاوس بالقمع والشدة وقتل كثيرا منهم فذهب فريق منـهم الى روما يشكونه الى أوغسطوس ويطلبون عـدم الاعتـراف بملكه وتعيين وال من قبله • وسارع أرخلاوس هو الآخر الى روما فتمكن من احباط شكوى الشاكين والحصول على تثبيتـه مما ينطوى فيه أن الدولة اليهودية غدت تابعة هزيلة لروما لم يكن يبقى لها من الكيان الا الصورة •

ولقد استمر علي اساءة السيرة فى الناس واستمر الناس على الشكوى منه مما جعل اوغسطوس يرسل من يقبض عليه ويقيده ويأتى به الى روما حيث سجن.ومات فيها بعد أن حــكم سبع سنين •

وملك القيصر مكانه أخاه أنطيفوس وسماه هيرودوس الثاني وكان هذا على ما يقول يوسيفوس شرا من أخيه وأقبح فعالا ، وكان مسرفا فى النساء والمعاصى حتى انه اغتصب زوجة أخ له اسمه هيروديتا . فلما أنكر علماء اليهود عليه فعلته قتل كثيرا منهم ومن جملتهم يوحنا بن زكريا الحبر الاعظم والكاهن الاكبر الذى عرف عند النصارى باسم يوحنا المعمدان (وعند المسلمين باسم يحيى (١) .

ولقد أشار يوسيفوس فى سياق خبر قتل يوحنا اشارة خاطفة الى المسيح ، فقال :

وكان فى هذا الوقت رجل حكم اسمه يسوع صانع عجائب كثيرة ومعلما للذين أرادوا أن يتعلموا الحق ، وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم وهو المسيح الذى اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمتنا وسلمه بيلاطس النبطى للصلب .

ومما ذكره يوسيفوس أن أوغوسطوس مات فى زمن هيرودوس الثاني وأن طيباريوس تولى سلطان روما بعده (١٤ —

---

(١) فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى ان يوحنا قال له لا يحل ان تكون لك فأخذه واوثقه والقاه فى السجن . فلما كان عيد مولد هيرودوس رقصت ابنة هيروديتا فأعجب بها هيرودوس واقسم لها ان يعطيها ما تطلبه فأمرتها امها ان يعطيها فى المكان الذى هى فيه رأس يوحنا المعمدان فى طبق فحزن الملك ولكن من أجل اليمين والمتكئين معه امر ان تعطاه وارسل فقطع رأس يوحنا فى السجن واتى به فى طبق ودفع الى الصبية وهذه اتت به الى امها .

٢٩ ب٠م) وكان رجلا قبيح السيرة ، وقد أمر الناس بالسجود لصورته وبعث بقائد له من بلد النبطس يسمى ببلاطس ومعه تمثال للملك ــ قال يوسيفوس عنه صنم صورة ــ الى أورشليم ليأمر الناس بالسجود له فامتنع اليهود فقتل منهم جماعة كبيرة • وأرسل طيباريوس بمن قبض على هيرودوس ثم نفاه الى أسبانيا ليأمر الناس بالسجود له فامتنع اليهود فقتل منهم جماعة كثيرين • حيث مات منفيا بعد حكم امتد ٢١ سنة •

وملك بعده على اليهود ابن اخته أغريباس • وفى عهد هذا الملك تولى نيرون (٥٤ ــ ٦٨ ب٠م) الذى أصدر آوامره بتسميته الها وانشاء المذابح وتقريب القرابين باسمه ويقول يوسيفوس ان اليهود امتنعوا عن تنفيذ الاوامر واستعدوا للمقاومة وأرسلوا وفدا يلتمس اعفاءهم منها فغضب نيرون على الوفد فابتهل الوفد الى الله وصام وسأله صرف بلية نيرون فلم يلبث العسكر بعد ثلاثة أيام أن شغبوا على نيرون وهجموا عليه وقطعوه بالسيوف وألقوه للكلاب •

ولما مات أغريبا الذى كان يصفه يوسيفوس بأنه كان حسن السيرة محمود الطريقة مكرما عند قيصر بعد حكم امتد ٢٣ سنة ملك بعده ابنه الذى كان اسمه على اسم أبيه • وكان آخر ملوك اليهود •

وفى أيامه كان الجلاء وخراب أورشليم وتشتتت الامة وكثر القتل والحروب فى جميع البلدان اليهودية وكثر المتغلبون والخوارج وزاد الشر وكثر الفسق والغش والظلم والقتل وأخذ أموال الناس وانقطاع السبل وانبساط يد الاشرار ، وكثر الباطل وخفى الحق •

ولم يستقم لاغريباس ولا لرعيته حال وكثرت العداوات بين اليهود وبغض بعضهم بعضا بغير سبب • وكان كل من مقت صاحبه قتله • وكثر القتل وهان على الناس سفك الدماء وكثر الاشرار فى أورشليم وكان قوم منهم يحملون سكاكين صغيرة ذات حدين ، ومن أراد أن يقتل رجلا أعطى هؤلاء الاشرار مالا وسلطه على خصمه فيمضى ويلاصق الرجل ثم يضربه بالسكين فيسقط ميتا ويختلط بالناس فلا يعرف القاتل وكثر هذا حتى سمى بالموت الاعمى وهلك فيه كثير من الناس وخرج كثير من سكان أورشليم بأموالهم وأولادهم فمضى الاشرار الى فيلكس صاحب الروم فأخبروه بذلك وقالوا له انما يريدون الخروج بقصد العصيان فوجه أصحابه فقتلوا أكثرهم وأسروا من بقى منهم •

وهذا كلام يوسيفوس وفيه دلالة على ما وصلت اليه حالة اليهود ودولتهم من فساد وهوان وفوضى عجيبة •

ولقد أخذ يوسيفوس بعد هذا الوصف يسرد أحداثا متنوعة

فى سياقات طويلة اختلطت فيها الحقائق مع الخيـال وأدت الى تدمير الدولة اليهودية والقضاء على الكيان اليهودى •

وواضح أن هذا ليس جديدا من حيث جوهره وبقطع النظر عن تنوع الصور • فقد كان فى عهد القضاة ثم كان فى عهـد دولتى يهوذا واسرائيل ، ولا سيما فى أواخر أيامهمـا ، وكان موضوع تعقيب قوى فى الاصحاح الثانى من سفر القضـاة والاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثانى ــ الرابع على ما أوردناه قبل •

وقبلَ أن ننتقل الى ذكر الاحداث التى سردها يوسيفوس وأدت الى تلك النهاية الرهيبة نريد أن نذكر أولا ما رأيناه جديرا بالنقل عن الدبس من خلاف مهم وزيادة ونقص بالنسبة لما ذكره يوسيفوس فى صدد سيرة هيرودوس وخلفائه • ونريد ثانيا أن نعقد فصلا خاصا عن ظهور المسيح وسيرته ، لان هذا وذاك مما يتصل بالحقبة التى سبقت تلك الاحـداث • وبذلك يتسـق تسلسل الكلام •

- ٢٥ -

فبالنسبة للنقطة الاولى تقول ان الدبس(١) يذكر أن هيرودوس

(١) الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ سورية ص ١٧٧ وما بعدها •

الاول ــ الكبير ــ وصى بولاية اليهودية والسامرة لابنه أرخلاوس وبولاية الجليل لابنه هيرودوس أنتيباس ــ الذى سماه يوسيفوس أنتيقوس وهيرودوس الثانى ــ وبولاية اللجا والجولان لابنه فيلبس ويدخل مدن يمنه وأشدود وفازاليس لاخته صالومى ، وعلق تنفيذ الوصية على مشيئة أوغوسطوس حيث يدل هذا على انه قسم مملكته ولم يجعل ارخلاوس ملكا عليها جميعها . وان أرخلاوس حاول أن يكسب الشعب فوعده بالتخفيف عنه والسير حسب رغباته والقيام بالاصلاحات التى يريدها بعد تثبيت أوغسطوس للوصاية فأبى الشعب الا التنفيذ حالا وتألب عليه فكان ما حكاه يوسيفوس من القمع والشدة ، وأنه ذهب بعد ذلك هو واخوته الى روما لسماع مشيئة أوغسطوس فى وصية أبيهم ، فنشبت فى غيابهم مناوشات بين اليهود والحامية الرومانية ونهب الرومان الهيكل ودنسوه وأحرقوا أوراقه ، وهاج اليهود وماجوا وحاصروا الحامية فاستنجدت بوالى سورية وبملك العرب الحارث ــ ملك الأنباط ــ فجاءت النجدات من الناحيتين ونكلت باليهود وشنقت ألفين من أسراهم فوق الصلبان وبذلك ذلوا وسكنت نأمتهم ، وان أوغسطوس ثبت وصية هيرودوس بقسمه مملكته بين أولاده دون أن يسمى ارخلاوس أو غيره ملكا بل سماهم ولاة .

وان الشكايات توالت من اليهود ضد أرخلاوس خاصة مما

جعله يأمر الحامية بارساله الى روما حيث نفاه الى فرنسا ومات في منفاه • وانه ألحق بعد نفيه اليهودية وما يليها بولاية سورية ومضى الامر على ذلك مع اقامة نواب وولاة على اليهودية والمناطق الاخرى تحت امرة ولاة سورية • ويتناقض هذا كما هو المتبادر مع ما ذكره يوسيفوس من تملك ارخلاوس على مملكة هيرودوس ومن بعده أنتيفوس أو هيرودوس الثاني وأغريبا الاول وأغريبا الثاني •

ولقد ذكر الاصحاح الثالث من انجيل لوقا انه كان في السنة الخامسة من ملك طيباريوس قيصر ، على اليهودية وال اسمه بيلاطس النبطي وعلى الجليل هيرودوس بلقب رئيس ربع ــ وعلى الارجح هو هيرودوس الثاني ــ وعلى ايطورية وبلاد تراكونيتس اخوه فيلبس بلقب رئيس ربع أيضا ، مما يتطابق مع ما ذكره الدبس •

ولقد ذكر الدبس قصة اغتصاب هيرودوس ــ الثاني ــ رأس يوحنا بناء على طلب هيروديتا وابنتها ونفيه الى اسبانيه وقال انه اذدرى بآلام المسيح وألبسه ثوبا قرمزيا •

وهذا القول يكاد يوهم أن هيرودوس كان هو الحاكم في أورشليم حينما تألب اليهود على المسيح وطلبوا صلبه ، الا أن الاصحاح الثالث والاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا قد ذكرا ذلك وقالا انه كان رئيس الربع في الجليل وانه حينما

تألب اليهود على المسيح كان فى أورشليم كزائر فأرسله بيلاطس اليه لانه عرف أنه من أيالته ، حيث يرجح هذا السياق رواية الدبس على رواية يوسيفوس •

ومما ذكره الدبس أن أغريبا صار واليا على الجيدور واللجا وحوران بعد وفاة فيلبس (وهذه البلاد سميت فى انجيل لوقا باسم ايطورية وبلاد تراكونيتس)

وان نطاق ولايته وسع فى عهد القيصر غايوس (٣٩ ـ ٥٤ ب•م) حتى شمل الجليل وعبر الاردن وبيروت ثم اليهودية أخيرا بعد سحب بيلاطس منها وأنه لقب بلقب الملك ، وان أغريبا الثانى ابنه قد خلفه على هذه المملكة التى فاقت سعة رقعتها سعة رقعة مملكة جدهما هيرودوس الاول •

وقد اعتنى أغريبا ببيروت وقيصرية عناية كبيرة فأقام فيها الملاعب والمشاهد والحمامات •

ومما ذكره من أحداث عهده أنه عزل الكاهن الاكبر يوسف الذى كان من الفريسيين وعين مكانه حنان بن حنان الذى كان من الصدوقيين ، وأن هذا جمع مجمعا قضى فيه بالرجم على السنن فأرسلوا فريقا من أولى التقوى والمحبة الحقيقية رسولا الى أغريبا يسألونه ردع حنان عن تجنيه كما أرسلوا مثل ذلك الى الوالى الرومانى فأدت الشكوى الى عزل الكاهن الجديد

وتدل شكوى اليهود الى الوالى الرومانى على أن هــذا الوالى الذى كان يلقب بوالى سورية كان يشرف على اليهودية التى كان يقوم على رأسها أغريبا ثم ابنه من بعده •

ومما ذكره الدبس وفيه تأييد لذلك أن النزاع كثر بين والى الرومان فى سورية وبين أغريبا ملك اليهودية فى عهد القيصر كلود (٤١ ــ ٥١ ب•م) فالتمس أغريبا من القيصر تبديله فبدله • بل ان الدبس روى فضــلا عن ذلك أســماء ولاة رومانيين كانوا يتولون اليهودية فى زمن القياصرة غايوس (٣٧ ــ ٤١) وكلود (٤١ ــ ٥١) ونيرون (٥١ ــ ٦٨ ب•م) فى الوقت الذى كان يتولى ملك اليهودية اغريبا الاول فالثانى كنواب لولاة سورية ، حيث يدل على هذا أن ملك الملكين اليهوديين عزل حتى غـــدا اسما بدون مسمى •

وفى تاريخ الدبس أشياء لم ترد فى كتاب يوسيفــوس الذى تحت يدنا عن أحداث اليهود فى عهد الولاة الرومانيــين غير ما أوردناه آنفا •

فمن ذلك (١) أن بيلاطس الوالى كان يمضى فى قيصرية فصل الشتاء ــ ويقوم مكانها اليوم قرية قيسارية القريبة من حيفــا ومن البحر ــ بعد حادث المسيح فأرسل جنوده الى أورشــليم

---

(١) الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ سورية ص ٢٤٠ وما بعدها •

وعلى أعلامهم صورة العاهل طيبــاريوس (١٤ ــ ٣٧ ب٠م)
فاستاء اليهود وأسرع جم غفير اليه يطلبون اخراج تلك الصــور
من أورشليم لانها مخالفة لسننهم وقال لهم ان فى اخراجها اهانة
للملك فلم يكفوا عن الحاحهم فهددهم بالقتل فانطرحــوا على
الارض وكشفوا عن أعناقهم قائلين أولى أن نموت من أن نخالف
سنتنا مما جعله يعجب من شدتهم ويتراجع ويسحب الاعلام ٠

ومن ذلك أنه أراد أن يأخذ مالا من خزانة الهيكل لجر الماء
الى أورشليم من منبع يبعد مثنى غلوة عن القدس فهاج اليهــود
وماجوا وجاءوا اليه محتجين وأسمعه بعضهم ما يهينه فأمــر
بضربهم فقتل جنوده كثيرا وجرحوا كثيرا دون تفريق بين ثائــر
وغير ثائر ٠

ومن ذلك أن غايوس قيصر (٣٩ــ٥٤ ب٠م) أمر واليــه فى
سورية بارغام اليهود على وضع تمثاله فى هيكلهم فجاء الى عكا
بجيش كثيف لهذه الغاية ٠ ولكن اليهود رفضوا الاقتراح فدعا
الوالي رؤساءهم الى طبريا وبين لهم غوائل رفضهم فلم يذعنوا
فكتب للقيصر بذلك وكتب اليه اغريبا رسالة رقيقة يلتمس فيهــا
العذر لليهود والعفو عنهم فهدأت ثورة غضبه ، ثم بلغه ان اليهود
حملوا السلاح فغضب على واليه لتساهله معهم ، ولم يلبث القيصر
أن مات فوقف الامر عند هذا الحد ٠

ومنها خبر نزاع شديد بين اليهود المقيمين فى الجليل وبين السامريين فى سنة ٥٢ ب٠م فى عهد ولاية والىاليهودية كومانوس أدى الى قتل السامريين جماعة من اليهود فشكا اليهود أمرهم الى الوالى فلم ينصفهم لان السامريين رشوه ، فحمل بعضهم السلاح وهاجموا بعض قرى السامريين فانتهبوها وحرقوهـــا فتعقبهم الوالى وقتل وأسر كثيرا منهم • ثم جاء والى سوريـــة العام الى اللد ليحقق فى الحادث •

ومن ذلك ان القيصر كلود عين سنة ٤٦ ب٠م لولاية اليهودية شخصا من مواليد الاسكندرية اسمه طيباريوس وكان من أغنى أهل اسكندرية ، وكان يهوديا فارتد عن ديانته ودان بديـــن الرومان ، وأنه حصل فى عهده مجاعة شديدة فهاج اليهود حتـى كاد ينقلب هياجهم الى ثورة فقبض الوالى على المهيجين وقتلهم فوقف الهياج •

ومن ذلك حدوث نزاع بين اليهود المقيمين فى عبر الاردن وبين أهل فيلادلفيا (عمان) فى عهد والى اليهودية فاروس ســنة ٤٤ فوثب اليهود على أهل المدينة وقتلوا كثيرين منهم •

ومما يخطر بالبال ان انتصار اليهود على المسيح فى هــذه الحقبة قد اثار فيهم اعتدادا وحيوية فى مجال احياء الشرائـــع الموسوية فدفعهم ذلك الى هذه المواقف وغيرها من المواقـــف المماثلة •

ومن ذلك أن جنديا رومانيا من حراس باب الهيكل فى زمن والى اليهودية كومانوس الذى مر ذكره كشف عن عورته على مرأى من الشعب فى أيام عيد الفطر فاستاء اليهود وعدوا ذلك اهانة لهم ولله وأخذوا يندون بالوالى ويقولون ان الجندى لم يفعل فعله الا بأمره مما أثار حنق الوالى وجعله يهيىء الجنود للوثوب عليهم فتهافتوا الى الفرار وازدحموا فى الازقة حتى مات كثيرمنهم وانقطع الناس عن الصلوات وتقدمة الذبائح وانقلب فرحهم بالعيد نواحا • وأن هذا الوالى ارسل الجند الى القرى المجاورة ليرهبوا اليهود ويرسلوا اليه وجوههم فعثر احدهم على أسفار موسى فمزقها على مرأى الجمهور وأكثر الشتائم للسنة والامة فهاج اليهود وماجوا وذهب جمع غفير منهم الى الوالى وكان فى قيصرية وطلبوا التنكيل بالجندى فجنح الى مسايرتهم •

ومن ذلك ان اليهودية ألحقت سنة ٥٢ بولاية السامرة والجليل ، وكان الوالى فيلكس فى عهد القيصر كلود وأن اليهودية فى أيامه كانت فى أسوأ حال حيث كثر اللصوص والمكارون وكان منهم رجل اسمه العازار صحبه قوم على شاكلته • فاستدعاه الوالى واعتقله ونفاه الى روما •

وقد كان بولس الرسول احد الحواريين ينشط فى التبشير برسالة المسيح فى عهد هذا الوالى فشكاه خينيا رئيس الكهنة اليه وكان هو فى قيصرية فأمر قائد الحامية فى أورشليم بالقبض

على بولس وارساله مقيدا حيث بقى مدة ثم أرسل أسيرا مقيدا الى روما من طرف وال آخر اسمه فستس جاء خلفا لكومانوس •

ومن ذلك أن واليا اسمه اليبن عينه نيرون على اليهودية سنة ٦١ فلم يدع شرا الا وصنعه وكان يتجر بحقوق العباد ويغتصب أموالهم وكان يرتشى من المسجونين ويطلق سراحهم ولا يعد مجرما الا من لم يدفع له • وتزلف اليه الاغنياء بهداياهم وسر به المشاغبون لان تصرفه آفسح المجال لثورتهم (والعبارة من الدبس) وقد أثقل على اليهودية بضرائب جديدة ، ولما استدعاه نيرون الى روما سنة ٦٤ فتح كل السجون فملأ اليهودية باللصوص والقتلة • وقد خلفه على الولاية وال اسمه فلورس فأنسى بجوره كل المظالم التى كانت فى أيام أسلافه فاتقدت بسبب ذلك نار الحرب بين اليهود والرومانيين •

ولقد ذكر الدبس سلسلة من مظالم هذا الوالى فى الفصل الذى عقده على أحداث هذه الحرب وأسبابها فقال فيما قال (١) انه كان جائرا وانه كان يبذل مجهوده للاغتناء فينهب القرى والمدن حتى ارغم كثيرا من الاغنياء على الهجرة ، وانه كان يحابى الوثنيين فى قيصرية على اليهود ويثير بينهم الخلاف الذى كان يؤدى الى الاقتتال • ولقد ارسل يطلب من خزينة هيكل اورشليم مبلغا جسيما من

---

(١) تاريخ سورية ج ٢ ص ٢٢٨ •

المـال بحجة صرفه فى حاجات للملك فهـاج اليهود وأخـذوا يصبون عليه اللعنات والشتائم . وكان قتال ناشب فى هذه الآونة بين اليهود والوثنين فى قيصرية وبدلا من ان يخمد جذوته تركه يزداد التهابا وجاء على رأس رجاله الى أورشليم للانتقام مـن المعارضين واستدعى الوجهاء والكهان وطلب منهم تسليمه كل من شتمه فحاول هؤلاء تهدئة غضبه فأخفقوا وأمر جنوده أن ينهبوا كل ما يجدونه فى السوق ويقتلوا كل من يعترضهم حتى بلـغ عدد القتلى ثلاثة آلاف وستمائة . وقبضوا على بعض الوجـوه وجلدوهم وصلبوهم وتوسلت برنيكه أخت الملك أغريبا اليـه بالكف عن سفك الدماء فلم يلتفت اليها وخرجت بنفسها اليـه فكادوا ان يقتلوها . وطلب من يهود أورشـليم أن يخرجوا لاستقبال كتيبة من الجنود آتية من قيصريـة ليبرهنـوا على اخلاصهم له فيكف عنهم فأجابوه الى ذلك وخرجوا فحيـوا الكتيبة فلم تجبهم فتذمروا فما كان من الجنـود الا أن انهالوا عليهم بالضرب باشارة منه فانهزموا فتبعهم الفرسان وداسـت خيولهم كثيرين ومات كثيرون فكان ذلك من أسـباب الثورة المباشرة .

هذا ، وهناك بعض أحداث يهودية وقعت فى مصر فى زمـن الحكم الرومانى وقبل الحرب اليهودية الرومانية ذكرها شارويم

مؤلف تاريخ مصر الموسوم بالكافى (١) ، رأينا من المفيد الاشارة اليها توفية للكلام فنقول انه كان فى الاسكندرية جماعات كبيرة من اليهود معظمهم نزحوا أثناء التشاد بين السلوقيين والبطالسة وفرارا من اضطهاد السلوقيين على ما ذكرناه قبل فكانوا يصطدمون من حين لآخر مع اليونانيين تارة ومع المصريين تارة وتتسع بينهم الاشتباكات الدموية • وكانوا يقسون فى خصومهم حينما يظفرون بهم كما كانوا يتعرضون للتنكيل الشديد من السلطات الرومانية •

ولقد كان هذا منذ عهد مبكر من الحكم الرومانى فى عهد طيباريوس ١٤ ــ ٣٩ ب•م وكانت ثورة يهودية ضد السلطات الرومانية حتى أن اليهود قتلوا نائب القيصر • وفى عهد كلود ٤١ ــ ٥٤ ب•م ثارت الفتنة بين اليهود وأهل الاسكندرية فاقتتلوا قتالا شديدا فبادر القيصر الى التهدئة ثم سمح لليهود بانتخاب نقيب يقضى بينهم حسب رسومهم وأحكامهم • وفى عهد نيرون ٥٤ ــ ٦٨ ثارت الفتنة ثانية بينهم وبين أهل الاسكندرية من مصريين ويونانيين وامتدت أمدا غير قصير • وقد مثل اليهود بضحاياهم بقسوة مما جعل الامبراطور يأتى بنفسه الى مصر ويضربهم ضربة قاصمة • وقد نقلنا عن الدبس فى السياق السابق

---

(١) ج ٦ ص ٢٤٠ وما بعدها •

نخبر هذه الفتنة ، وكان الذى ضربهم حسب روايته اسكندر طيباريوس الوالى المرتد عن اليهودية •

وليست هذه الاحداث كل ما سجله التاريخ من أحداث اليهود فى مصر فقد سجل لهم أحداثا مماثلة بعد تدمير أورشليم ايضا مما سوف نذكره بعد نهاية الكلام عن هذا التدمير •

- ٢٦ -

والآن نأتى الى سيرة المسيح التى أشار اليها يوسيفوس اشارة عابرة • وهى من أهم الاحداث التى جرت فى هذه الحقبة كما هى من أهم أحداث التاريخ الانسانى ، وهى متصلة فى الوقت ذاته اتصالا وثيقا بتاريخ بنى اسرائيل لانه منهم (١) وفى سيرته صور كثيرة من أحوالهم واخلاقهم •

واسم المسيح « يسوع » وكلمة المسيح وصف كان يطلق على ملوك بنى اسرائيل الذين كان يمسحهم الانبياء بالدهن بأمر الله ليتولوا ملك بنى اسرائيل • وقد وصف يسوع به وغدا علما عليه او اسما ثانيا له لانه قيل عنه انه ملك اليهود الممسوح من الله من قبيل الاستهزاء •

(١) وهم اول المخاطبون بدعوته •

وسيرة المسيح مستقاة من الاناجيل التى مفردها انجيل، وهى كلمة يونانية معناها الكرازة او البشارة او الدعوة . والاناجيل عديدة واشهرها والمعترف بها اربعة وهى أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا بالتوالى حسب ترتيبها فى المجموعة التى عرفت بالعهد الجديد والتى تضم بالاضافة اليها ثلاثة وعشرين سفرا تحتوى اعمال الرسل ورسائل بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا القديسين ورؤيا القديس يوحنا .

والأناجيل هى بمثابة ترجمة لحياة المسيح كتبها كتابها بعده، ومنهم من استقى ما كتبه من شهود عيان على ما يفيده بعضها (١) ويرجح كثير من الباحثين انها كتبت خلال القرن الميلادى الاول، ولقد قيلت أقوال كثيرة فى صددها . والخلاف يدور حول زمن كتابتها ورواتها وأحداثها وشهودها العيان . وعلى كل حال فليس هناك من ينكر قدم كتابتها وكون ذلك يرتقى الى القرن الميلادى الثانى (٢) .

والمسيح او يسوع من حيث نسب أمه وزوجها يوسف الذى لم يمسها لانه ولد بمعجزة ربانية وهى عذراء لم تمس ، هو من

---

(١) الاصحاح الاول من انجيل لوقا يبتدىء بهذه الجملة «اذ كان كثيرون قد اخذوا فى ترتيب قصة الامور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة رايت انا ايضا بعد ان ادركت جميع الاشياء من الاول بتدقيق أن اكتبها لك بحسب ترتيبها أيها العزيز ثاوفيلس» والعبارة تفيد تعدد الذين كتبوا القصة التي يراد بها على ما هو المتبادر قصة السيد المسيح .

(٢) اقرأ بحثا مطولا فى الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس ص ٢٧٩–٢٩٠.

ذرية داود وقد ولد فى بيت لحم فى زمن الملك هيرودوس الكبير على ما جاء فى الاصحاحين الاول والثانى من انجيل متى . وقد ذكر هذا الانجيل فى اصحاحه الثانى ان أمه وزوجها أخذاه الى مصر بوحى الله فرارا من هيرودوس ثم عادا بعد موت هـذا الملك فى سياق قد لا يخلو من الخيال وسكنا الناصرة ، كما ذكر فى اصحاحه الثالث انه لما بلغ اشده سكن كفر ناحوم من اعمال الجليل ، ثم أخذت الاصحاحات التالية تذكر طوافه فى انحـاء الجليل وتبشيره برسالته السماوية ودعوته الى الله ونعته اياه آبانا الذى فى السموات وأبى وابيكم والهى والهكم وما فى معنى ذلك ، ثم الى المحبة والسلام والرفق بالضعفاء والبر بالفقـراء والمساكين والمضطهدين والتنويه بهم والى التسامح والتقـوى والتواضع وسائر مكارم الاخلاق الشخصيةوالاجتماعية والنفسية ونهيه عن التكالب على الدنيا والغل والحقد والحسـد والكبر والانانية والنفاق وسائر المنكرات والفواحش وتأييده الوصـايا والتشريعات التوراتية مع تخفيف من التكاليف والقيود واهتمام للجوهر دون العرض ونعيه على اليهود ورؤساء الدين منهـم خاصة ما ارتكبوا فيه من انحرافات وآثام دينية وخلقية وما دأبوا عليه من استغلال الدين والاتجار به لمآربهم بأسلوب حكيم نافذ ممتزج بالموعظة الحسنة والامثال البليغة بحيث كانت رسـالته وبشارته معدلة ومصلحة للرسالة الموسوية ومنقية لها مما علق بها

من تشويش وتحريف وانحراف وضيق أفق • وكانت دعوته ورسالته وبشارته لعموم الناس وليست لبنى اسرائيل فقط •

ولقد كان بنو اسرائيل ينتظرون مسيحا مخلصا وأشارت اليه تنبؤات بعض أنبيائهم فى بعض الاسفار ولكنهم كانوا ينتظرون مخلصا لهم خاصة ، يعودون بزعامته الى سيرتهم الاولى القائمة على الاثرة والاستعلاء وفكرة الاختصاص فلما رأوه من جهة يعم رسالته ودعوته حتى تشمل جميع الامم ويهاجم من جهة رؤساءهم ويندد بهم ، ويتساهل فى بعض التقاليد الموسوية تنكروا له وتألبوا عليه واخذوا يناوئونه •

ولقد ذكرت اصحاحات متي فى سياق سيرته وبشاراته ما كان يقع على يديه من المعجزات العديدة المتنوعة التى كان اكثرها فى مجال شفاء المرضى من مصروعين وعميان ومشلولين مما أدى الى ذيوع صيته وتقاطر الناس عليه من كل ناحية واتباع كثير منهم له وملازمة بعضهم له ملازمة تامة وهم اصحابه الاثنى عشر الذين سموا بالحواريين • فبادر الفريسيون والصدوقيون والكهنة الى ازعاجه بتحدياتهم وتنديداتهم فى صدد عدم حفظ السبت ومخالفة الرسوم والطقوس والعبادات والامثال التى تحتمل التأويل فكان يرد عليهم ردودا مفحمة بليغة بأسلوب الموعظة حينا والامثال حينا ويخاطبهم بمثل قوله « يا أولاد الافاعى كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وانتم أشرار • انما يتكلم الفم

من فضل ما فى القلب فالرجل الصالح يخرج من كنزه الصالحات والرجل الشرير يخرج من كنزه الشرور» (الاصحاح الثانى عشر) • ثم يستمر فى طوافه وتبشيره ودعوته ووعظه واتصالاته بالناس • وقد قص السفر فيما قص (الاصحاح الحادى والعشرون) مجيئه الى أورشليم ودخوله الهيكل واخراجه من كان فيه من البائعين والشارين وقلبه موائد الصيارفة وهتافه بقوله « مكتوب بيتى بيت صلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوص» فسأله الكهنة والشيوخ بأى سلطان تفعل هذا فأجابهم بأمثال فيها غمز لهم وتنديد بهم حتى هموا ان يمسكوه ولكنهم خافوا من الجموع التى كانت تعده نبيا • ولكنهم لم يكفوا عن تعجيزه وازعاجه وتحديه بالاسئلة ومحاولة اظهاره بمظهر المخالف للشرائع ، فظل يفحمهم بالاجوبة القوية والامثلة البليغة ويستمر فى بشارته • وقد ذكر الاصحاح الثالث والعشرون من انجيل متى وصفه نهم لتلامذته بقوله « ان الكتبة والفريسيين جالسون على كرسى موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا به وأما مثل اعمالهم فلا تعملوا لانهم يقولون مالا يفعلون • لانهم يحزمون احمالا ثقيلة شاقة الحمل ويجعلونها على مناكب الناس ولا يريدون ان يحركوها باحدى اصابعهم • كل اعمالهم يصنعونها رياء أمام الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون اهدابهم ويحبون اول المتكئات فى العشاء وصدور المجالس فى المجامع والتحيات فى الاسواق وان

يدعوهم الناس معلمين» كما ذكر الاصحاح نفسه تنديده بهم وقوله لهم « الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تغلقون ملكوت السموات فى وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولا الداخلين تتركونهم يدخلون • الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تأكلون بيوت الارامل بعلة تطويل صلواتكم ومن أجل هذا ستنالكم دينونة أعظم • الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تطوفون البر والبحر لتجلبوا دخيلا واحدا فاذا حصل صيرتموه ابن جهنم ضعف ما انتم عليه • الويل لكم ايها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء ومن حلف بذهب الهيكل يطالب ايها الجهال والعميان ما الاعظم الذهب ام الهيكل الذى يقدس الذهب • ومن حلف بالمذبح فليس بشىء ومن حلف بالقربان الذى فوقه يطالب • ايها العميان ما الأعظم القربان ام المذبح الذى يقدس القربان فمن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه • الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتتركون أثقل ما فى الناموس وهو العدل والرحمة والايمان وكان ينبغى ان تعملوا هذه ولا تتركوا

تلك • ايها القادة العميان الذين يصفون البعوضة ويبلعون الجمل
الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تنقون خارج
الكأس والجام وداخلهما مملوء خطفا ودعارة • ايهـا الفريسى
الاعمى نق أولا داخل الكأس والجام حتى يتطهر خارجهما ايضا •
الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانـكم تشبهون
القبور المجصصة التى ترى للناس من خارجها حسنة وهى مـن
داخلها مملوءة عظام اموات وكل نجاسة • كذلـك انتم يرى
الناس ظاهركم مثل الصديقين وانتم من داخل ممتلئون رئاء واثما •
الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تشيدون قبور
الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا
لما كنا شاركناهم فى دم الانبياء • فانتم تشهدون على انفسكم
أنكم بنو قتلة الانبياء • فاجمعوا انتم مكيال آبائكم• ايها الحيات
أولاد الافاعى كيف تهربون من دينونة جهنم • من أجل ذلك ها
أنا أرسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون
ومنهم من تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكى
يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الارض من دم هابيل الصديق
الى دم زكريا بن بركيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح • الحق
أقول لكم ان هذا كله سيأتى على هذا الجيل • يا أورشليم يـا
أورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن

أجمع بينك كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحها فلم تريدو • هو ذا بيتكم يترك خرابا (١) » •

ولقد زادت تنديداته وردوده ومواقفه وعظاته وذيوع صيته وافتتان الناس به ، وحقدهم عليه وخشيتهم من عواقب حركته فاشتدوا فى مطاردته والتصميم على اهلاكه حتى لقد شعر هو بذلك وألم به الحزن والاكتئاب وقال لتلامذته ليلة اعتقاله كأنما كان حس ما قبل الوقوع « ان نفسى حزينة حتى الموت » ثم هتف وهو يصلى « يا ابت ان كان يستطاع فلتعبر عن هذه الكأس » • ولقد تآمروا مع السلطات وجعلوها ترسل شرطة للقبض عليه ورشوا يهوذا أحد تلامذته الاثنى عشر ليخونه ويدل الشرطى عليه بعلامة اتفق عليها وهى عناقه وتقبيله ومن ثم سيق الى قيافا رئيس الكهنة الذى جمع مجمعا من الكتبة والشيوخ لمحاكمته مبيتين النية على الحكم عليه بالموت على ما ذكره الاصحاح السادس والعشرون الذى ذكر ايضا فى سياق شبيب بالخيال أن اجلمع اخذ يبحث عمن يشهد عليه بشهادة تساعد على قتله ، وأنه تقدم شهود قالوا انه قال انى أقدر أن أنقض هيكل الله وأبنيه فى ثلاثة أيام فسأله رئيس الكهنة عما يقوله فى

(١) العبارة عبارة النسخة الكاثوليكية المطبوعة فى المطبعة الكاثوليكية فى بيروت سنة ١٩٥١ وقد نقلنا النبذة بطولها لان فيها صورة قوية لما كان عليه رؤساء اليهود من انحراف وسوء سيرة فى هذه الحقبة متسقة مع ما كان عليه اباؤهم فى معظم الحقب » .

الشهادة فلم يجب فأقسم ان يقول هل هو المسيح بن الله فقال له
أنت قلت • ثم قال لهم انكم من الآن ترون ابن البشر جالسا
على يمين القدرة وآتيا على سحاب السماء • فلم يكد الرئيس
يسمع هذا الكلام حتى شق ثيابه وقال لقد جدف فما حاجتنا الى
شهود وسأل المجمع رأيهم فقالوا انه استوجب الموت • وحينئذ
بصقوا فى وجهه ولكموه ولطموه قائلين تنبأ لنا ايها المسيح من
الذى ضربك • ثم أوثقوه ومضوا به الى الوالى بيلاطس النبطى
على ما ذكره الاصحاح السابع والعشرون الذى ذكر ايضا أن
الوالى سأله أأنت ملك اليهود فقال له انت قلت ، وأن رؤساء
الكهنة والشيوخ أخذوا يشكونه فسأله الوالى عما يقول فى
شكواهم فلم يجبه ، وانه كان من عادة الوالى ان يطلق لبنى
اسرائيل فى العيد الاسير الذى يطلبون اطلاقه وكانت اليوم يوم
عيد الفصح ، وكان عنده أسير مشهور يدعى أبرأبا فسألهم من
تريدون أن أطلقه ابرأبا أم يسوع فأقنع رؤساء الكهنة والشيوخ
الشعب بطلب اطلاق ابرأبا واهلاك يسوع فطلبوا من الوالى ذلك
فسألهم وماذا أفعل بيسوع الذى يقال له المسيح فقالوا يصلب
فسألهم اى شر صنع فازدادوا صياحا وقالوا يصلب فلما رأى ان
الكلام غير مفيد وأن البلبال متزايد أخذ ماء غسل به يديه قدام
الجميع قائلا انى برىء من دم هذا الصديق فأجابه الشعب دمه

علينا وعلى بنينا • وحينئذ أطلق لهم ابرأبا وجلد يسوع وأسلمه للصلب •

وقد أخذه الجند الى دار الولاية ونزعوا ثيابه وألبسوه رداء قرمزيا وضفروا اكليلا من الشوك وجعلوه على رأسه وجعلوا فى يمينه قصبة ثم جثوا على ركبهم قدامهم وهزأوا به قائلين سلام يا ملك اليهود وكانوا يبصقون عليه ويضربونه بالقصبة • ثم نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به الى الصلب وصلبوه فى مكان يسمى الجلجلة وجعلوا فوق رأسه علقة مكتوبة « هذا يسوع ملك اليهود» وصلبوا معه لصين واحدا عن اليمين وآخر عن الشمال وكان المجتازون به يجدفون عليه حتى كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه فى الجملة مما جعله يصرخ بصوت عظيم قائلا : الهى الهى لماذا تركتنى • وأسرع واحد فأخذ اسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه فصرخ ثانية بصوت عظيم وأسلم الروح • ثم حكى الاصحاح والاصحاح التالى له فى سياق يبدو عليه الخيال قصة دفنه وقيامته وقيامة كثير من القديسين الميتين بعد قيامه ومجيئهم الى المدينة المقدسة وترائيهم للكثيرين •

وقد اقتبسنا ما مر من انجيل متى الذى يأتى الاول فى الترتيب • والاناجيل الثلاثة الاخرى المعترف بها متطابقة مع هذا الانجيل فى معظم الامور الجوهرية مع اختلاف فى العبارة

والاحداث نتيجة لتداول الروايات في الغالب ، وفيهـا بعض زيادات لم ترد فيه .

ومن الزيادات المهمة التى ذكرت فى انجيل لوقا ما ذكـر فى اصحاحه الاول من قصة حمل زوجة زكريا التى كانت عاقرا بناء على دعاء زكريا لربه وولادتها يوحنا ، وقصة ظهور ملاك الرب لمريم العذراء المخطوبة ليوسف وبشارته لها بابن تلده من روح الله بدون زوج وأمرها بتسميته يسوع وذكره لها على سبيل اقناعها بامكان ذلك دون مس من بعلها ، ما كان من حمل زوجة زكريا بمعجزة ربانية (١) .

وما ذكره الاصحاح الثالث من ان ابتداء دعوة يسوع كانت حينما كان له من العمر ثلاثون سنة مع تنويهه بما كان يبـدو عليه قبل ذلك من علائم الفهم والذكاء والروحانية ، وما ذكـره الاصحاح التاسع من خبر اعطاء المسيح للاثنى عشر حواريا قوه وسلطانا على التكريز بملكوت الله وشفاء الامراض وما ذكره الاصحاح العاشر من تعيينه بعد ذلك اثنين وسبعين آخرين للكرازة للامم وللناس جميعا (التبشير والدعوة الى الله ومكارم الاخلاق

---

(١) هذا الاسلوب قد جرى عليه القرآن ايضا ، بالفصول القرآنيـة التى ذكرت ولادة المسيح من روح الله بدون مس من زوج ذكرت قبل ذلك ولادة يحيى (يوحنا) من ام عاقر واب شيخ بمعجزة ربانية كمقدمة اقناعية بامكان ولادة المسيح كذلك بمعجزة ربانية . انظر آيات سورة آل عمران ٣٤-٦٨ وآيات سورة مريم ١ - ٣٥ .

التى دعا اليها المسيح) حيث يدل هذا على نشاطه فى سبيل ابلاغ دعوته ورسالته ، وما ذكره الاصحاح الثالث والعشرون من قول الذين اخذوا المسيح الى الوالى بيلاطس عنه انه يفسد الامة ويمنع من أداء الجزية لقيصر ويدعى انه المسيح الملك ، وان بيلاطس لما علم انه من الجليل من أيالة هيرودوس ارسله اليه وكان فى تلك الايام فى أورشليم وان هيرودوس سأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء ورجاه ان يصنع آية فلم يلب رجاءه فازدراه مع جنوده وألبسه ثوبا لامعا ورده الى بيلاطس .

ومن الزيادات المهمة فى انجيل يوحنا ما ذكره الاصحاح السابع من أن المسيح كان يتفادى فى البدء الذهاب الى اليهودية لان اليهود كانوا يطلبون قتله حيث يفيد ذلك ان اليهود ناوأوه منذ البدء وعزموا على القضاء عليه حينما سمعوا اقواله وتعاليمه ورأوا افتتان الناس به . والمتبادر ان المقصد من اليهودهم الزعماء والكهان ، وتفيد عبارة الاصحاح انه لم يكذ يأتى الى أورشليم حينما رأى الوقت مناسبا لذلك حتى أرسل شرطة للقبض عليه ولكن هؤلاء تحاشوا ذلك وقالوا انه ما نطق انسان قط بمثل ما ينطق به هذا الرجل فلبث طليقا اياما أخرى يبشر ويدعو ويعظ ويندد ويصنع العجائب .

والاناجيل الاربعة متطابقة بشىء يسير من الاختلاف فى التفصيل فى قصة القبض على المسيح ومحاكمته وصلبه وقيامته .

ولقد قلنا ان العهد الجديد يتألف من الاناجيل الاربعة ومن ثلاثة وعشرين سفرا اخرى اولها الموسوم باعمال الرسل وهو أطولها ثم اربع عشرة رسالة من القديس بولس ورسالـــة من القديس يعقوب ورسالتان من القديس بطرس وثلاث رسائل من القديس يوحنا ورسالة من القديس يهوذا وسفر موسم برؤيـا القديس يوحنا • وما عدا السفر الاخير ، فان الاسفار الاخرى تمثل نشاط هؤلاء القديسين فى مهمة التبشير والتعليم التى انتدبهم لها المسيح وقد احتوت اخبارا عما وقع لهم ووصايا وتعليمـات وتشريعات وتفسيرات فى صدد رسالة المسيح وبشارته وشخصيته •

وليس من منهج الكتاب التوسع فى ذلك • ونقول اجمـالا ان المستفاد منها ، وخاصة من آولها وهو سفر أعمال الرســل الذى يمثل نشاط الرسل فى اليهودية والجليل وسورية فى أعقاب توارى المسيح والذى تتصل محتوياته بتاريخ بنى اسرائيل ، ان الرسل قد نشطوا نشاطا عظيما فى سبيل مهمتهم • وان كثيرا من الناس من يهود ويونان وغيرهم من شعوب البلاد استجاب اليهم وأخذت تقوم فى كل مكان جماعة منهم تسمى الكنيسة وتعيش عيشة شبه اشتراكية غير ان معظم اليهود وقفوا منهـــم موقف المنقبض المتجهم وقاد رؤساؤهم حركة مناوأة ومطاردة قوية ضد الرسل فكانوا يؤذونهم بمختلف الوسائل والاشكال ويهيجون عليهم الناس ويستعدون عليهم السلطات ويصفونهم بالمفسـدين

المثيرين للفتن المخلين بناموس الشريعة ويتمكنون احيانا من اعتقال بعضهم ، فكان يؤدى هذا الى تشاد وحركة ستمرة سلبية وايجابية بين بنى اسرائيل والجماعات المسيحية ، كثيرا ما تنتج عنه نزاع وقتال مما سوف نذكر بعض احداثه فيما بعد .

وفى بعض رسائل القديس بولس اشارات الى ما كان عليه اليهود من اخلاق سيئة والى ما وقفوه من مواقف مناوئة ضد المسيح ورسله ورسالته ، رأينا ان نقتبسها لانها مما يتصل بتاريخ بنى اسرائيل فى هذه الحقبة ايضا .

فقد جاء فى الاصحاح الاول من رسالته الى روما « انهم لما عرفوا الله لم يمجدوه ولم يشكروه بل سفهوا فى أفكارهم وأظلمت قلوبهم الفتية . وقد زعموا انهم حكماء فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذى لا يدركه الفساد بشبه صورة انسان ذى فساد وطيور وذوات اربع وزحافات . فلذلك اسلم الله فى شهوات قلوبهم الى النجاسة لتضحية أجسادهم فى ذواتهم الذين ابدلوا حق الله بالباطل واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق ، لذلك أسلمهم الله الى أهواء الفضيحة فغير اناثهم الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة وكذلك الذكر ايضا تركوا استعمال الانثى الطبيعى والتهبوا بعشق بعضهم بعضا ففعل الذكران بالذكران الفحشاء ونالوا فى انفسهم الجزاء اللائق بضلالهم . وبما انهم لم يؤثروا ان يستمروا على معرفة الله

أسلمهم الله الى رأى مرذول حتى يعملوا مالا يليق ممتلئين من كل اثم وشر وزنا وبخل وخبث مفعمين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا وأساءة نمامين مغتابين ممقوتين من الله شتامين متكبرين مفتخرين مخترعين شرورا عاقين للوالدين لا فهم لهم ولا نظام ولا ود ولا عهد ولا رحمة » .

وجاء فى الاصحاح الثانى منها « فان كنت يا هــــذا تدعى يهوديا وتعتمد على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتثـق بانك قائد العميان ونور الذين فى الظلام ومؤدب الجهال ومعلم الاطفال فأحرى بك ان تعلم نفسك . أتسرق وانت تكرز بعــدم السرقة . أتزنى وانت تأمر بعدم الزنا . أتنتهك المقدسات وانت تمقت الاوثان . أتهين الله بتعدى الناموس وانت تفتخر بالناموس »

وجاء فى الاصحاح الثالث منها عن اليهود « ضلوا كلهـــم فرزلوا وليس احد منهم يحمل الصلاح . حناجرهم قبور مفتحة وقد غشوا بألسنتهم . وسم الاضلال تحت شفاههم . وأفواههم مملوءة لعنة ومرارة . وأرجلهم مسارعة الى سفك الدمـاء وفى مسالكهم خصم ومشقة . ولم يعرفوا سبيل السلام وليســت مخافة الله امام اعينهم ام الله لليهود فقط ؟ اليس هو للامم ايضا بل للامم ايضا » .

وجاء فى الرسالة الثانية من بولس الى أهل كورنثوث «الاصحاح الحادى عشر » : أعبرانيون هم فأنا كذلك ، أئسرائيليون هم فانا

كذلك ، أذرية ابراهيم هم فأنا كذلك أخدام المسيح هم فانى فى ذلك أفضل منهم أكثر فى الاتعاب وفى السجون وفى الجلد فوق القياس وفى الموت مرارا • جلدنى اليهود خمس مرات • وضربت بالعصى ثلاث مرات ، ورجمت مرة وانكسرت بى السفينة ثلاث مرات • وقضيت ليلا ونهارا فى عمق البحر • وكان الحاكم الذى تحت أمر أرتياس الملك « الحارس ملك الانباط » يحرس مدينة دمشق ليقضى على فدليت من كوة فى السور بزنبيل حتى نجوت منه •

وجاء فى الرسالة الاولى من بولس الى أهل تسالونيكى « الاصحاح الثانى » : فانكم أيها الاخوة اقتديتم بكنائس الله التى فى اليهودية اذ قد أصابكم من أمتكم ما أصابهم من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع والانبياء واضطهدونا وهم لا يرضون الله ويقاومون جميع الناس ويمنعوننا أن نكلم الامم لخلاصها حتى يستتموا خطاياهم كل حين فان غضب الله قد حل عليهم الى النهاية •

- ٢٧ -

والآن نأتى الى الاحداث التى ذكر يوسيفوس أنها أدت الى تدمير أورشليم وتشتت الامة •

وننبه على أن هذه الاحداث فى حقيقتها حركات ثورية ضد

السلطات الرومانية تزعمها ثلاثة زعماء من اليهود واندمج فيها كثير من اليهود بل كان يندمج فيها فى بعض الاحيان كل اليهود أو جلهم وكان أذاها يمتد الى غير الرومان من سكان البلاد يهود وغير يهود بالنهب والقتل لانه كان يندمج فيها فئات متنوعة منها الصالح والطالح والمخلص والمريب والمغـــامر الذى لا مأرب له الا النهب ، ولم تكن مرتبطة بنظام ودولة وحكومة •

وهذا ما جعل يوسيفوس يصف زعماءها بأوصاف رديئة حتى لكأنها توهـــم أنها قامت للنهب والسلب وســـفك الدماء والاذى وحسب •

ولقد سبقها حوادث متنوعة كانت من بواعثها • فقـــد تكررت محاولات القياصرة لحمل اليهود على السجود لتماثيل أو وضـــع هذه التماثيل فى هيكلهم مما كان يثير فيهم هياجا ويجعلهم يرفضون بقوة وعناد ويتعرضون من جراء ذلك للقمع والتنكيل ، وكان يتسولى عليهم ولاة متعسفون يمدون أيديهم الى اليهود بالاذى بأســـاليب وصور متنوعة ويبتزون أموالهم ويحابون الوثنيين عليهم مما أوردنا أمثلة عديدة له فى الفصل السابق الذى اقتبسناه من الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ سورية للدبس •

ولقد لخص الدبس أحداث الحرب الرومانية اليهـــودية عن يوسيفوس • وفى تلخيصه أشياء لم تذكر فى ترجمة وطبعة صادر المختصرة • وفى هذه النسخة أشياء لم يذكرها الدبس أيضا •

وسنورد الاحداث اقتباسا من نسخة يوسيفوس(١) التى فى يدنا ومن تلخيص الدبس معا فنجمع بذلك بـين المصدرين فى شرح الاحداث الرهيبة التى أدت الى تدمير الدولة اليهـــودية والكيان اليهودى فى فلسطين نهائيا • وسنستعير عبارة يوسيفوس نفسها فى بعض الاوصاف لانها أوفى لتمثيل صورة الحال •

وأول ماساق يوسيفوس(٢) من الاحداث قصة العازارين حنانى الذى سماه بأحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا سبب خراب أورشليم وهلاك الامة ووصفه بأنه أول من ابتدأ باظهار مخالفة الروم ، وأنه كان جبارا فاتكا داعرا حراميا وانه انضاف اليه جماعة من الحرامية وأهل الشر فكانوا يمضون الى بلاد الشام فيقتلون وينهبون ويعودون ثم صاروا يفعلون ذلك فى بلدان اليهود فاستغاث النـــاس بفيلكس صاحب الروم فاحتال عليه حتى اعتقله ونفاه الى روما وقتل أصحابه غير أنه تمكن من الافلات والعودة ثم استأنف حركته • وقد انضم اليه كثير من اليهود بسبب سيرة فيلكس الغاشمة وظلمه وتمكنوا من الانتصار عليه والجائه الى الفرار الى مصر •

وفيلكس هذا هو والى السامرة والجليل الذى ألحقت اليه ولاية اليهودية أيضا سنة ٥٢ ب م على ما مر بيانه قبل اقتباسا من الدبس• ومعنى هذا أن خروج ألعازار كان مبكرا بالنسبة للحوادث الاخرى

---

(١) تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثاني ص ٢٢٧ وما بعدها •

(٢) ص ٢١٩ وما بعدها •

العديدة التى وقعت بين اليهود وولاة الرومان بعد انسحاب فيلكس سنة ٦٠ ب م •

ويقول يوسيفوس بعد ذلك أن أغريبا الملك كان فى هذه الاثناء فى روما فعاد الى أورشليم فقابله الناس وشكوا اليـــه ظلم فيلكس وقالوا له انا لا نطيع الرومان بعد الآن فأخذ يحذرهم من عواقب التمرد وشدة بطش الرومان ووعدهم بتقديم شكاويهم للقيصر وقال لهم انه اذا علم بما وقع عليهم رفعه وما زال يلح عليهم حتى لانوا • غير أن العازار وأصحابه لم يقتنعوا ثم هاجموا جميع من جاء مـــع أغريبا من الروم كما قتلوا جميع من كان فى المدينة منهم دون علـم أغريبا الذى كان يقيم فى المعسكر الرومانى خارج المدينة • ثم دخل الهيكل وأخرج جميع الهدايا والذخائر التى بعث بها نيرون ومن قبله من القياصرة وألقاها بعيدا قائلا : لا يجوز أن يكون محل قدس الله لنجاسات الغرباء •• ولما علم أغريبا بما وقع أرسل كتيبة المدينة وتضامن معها كثير من اليهود الذين تحسـسبوا من بطش الرومان ونشب صراع بين العازار وجماعته من جهة وبين الكتيبة والمنضمين اليها من جهة وتمكن هؤلاء من كسر العازار وجماعته وقتل كثـــير منهم فى البدء ثم تحولت الريح الى جانبهم فسيطروا على المدينـــة وأحرقوا قصر الملك الذى كان فيه من الذخائر والكنوز ما لا يحصى وفر أكثر الشيوخ والعلماء من المدينة •

وقد ذكر يوسيفوس فى هذا السياق انه كان بين السريان واليهود الذين يسكنون بلادهم عداوة وكان السريان فى ذلك الوقت يسكنون بدمشق وحلب وقيصرية وفى مدن كثيرة غير ذلك فاحتال السريان على اليهود حتى قتلوا كل من فى قيصرية ومن فى دمشق فلما اتصل الخبر بأهل اورشليم وغيرهم من اليهود اجتمعوا الى دمشق وغيرها من بلاد الشام فقتلوا من بها من السريان وعادوا بغنائم كثيرة وسلب جزيل واجتاز اليهود فى عودتهم بمدينة حصينة من مدن السريان يقال لها ستيلو فنزلوا عليها وحاصروها وأرسلوا الى اليهود الذين فيها يشيرون عليهم بالخروج من المدينة والانتقال منها وقالوا لهم انهم لا يأمنون عليهم من السريان فلم يقبلوا منهم بل أجابوهم بالقبيح وخرجوا وحاربوهم معاونة للسريان عليهم فانصرف اليهود عنهم • فلما كان بعد أيام خاف السريان من اليهود فاحتالوا عليهم وقتلوهم بأجمعهم وكانوا خلقا كثيرا •

وقد ذكر الدبس فى تلخيصه هذا الحادث بشىء من الاختلاف عزوا الى يوسيفوس ، ثم أورد بعده سياقا طويلا ليس واردا فى نسخة يوسيفوس التى فى يدنا ذكر فيه خبر مذابح كثيرة وقعت بين اليهود والسوريين فى مدن الجليل والشام ومصر • وقد رأينا أن نورد ما ذكره عن هذا الحادث ثم ذلك السياق لانهما مهمان فى بابهما فى صدد تاريخ بنى اسرائيل وعلاقتهم بسكان البلاد التى

كانوا يقيمون فيها فى هذه الحقبة امتدادا لما قبلها وما كان من تأصل العداوة والاحقاد بين بنى اسرائيل وهؤلاء السكان •

ومما جاء فيه أن خبر قتل الثائرين لجنود الرومان فى أورشليم لما بلغ قيصرية اغتنم اليونان والسوريون فيها الفرصة فوثبوا على اليهود فقتلوا عشرين ألفا منهم بامداد فلورس فأثارت هذه المقتلة الحنق والانتقام من الوثنيين فدمروا قرى ومدنا عديدة وقتلوا من وقع بيدهم فثار عليهم السوريون ووثبوا على قرى اليهود ومدنهم فنهبوا وقتلوا وأحرقوا وأمست سورية فى حالة يرثى لها فلم تكن مدينة الا قام فيها الشغب والقلق والقتال •

ثم ذكر قصة المدينة التى سماها يوسيفوس فى الترجمة التى تحت يدها سفيلو وسماها الدبس سيتوبولى أى بيسان « وهذا تفسير الدبس » وقال : انه لما اتصل ما فعله أهل بيسان باليهود فيها بباقى المدن ثاروا على اليهود فقتل أهل عسقلون منهم ألفين وأهل عكا ألفين وذبح أهل صور كثيرين وكذلك صنع الوثنيون فى مدن عديدة • وأما أهل أنطاكية وصيدا وأباميا فأبقوا على اليهود لقلة عديدهم ولانهم لم يروا منهم ما يخل براحتهم • وأما مملكة أغريبا وهى الجولان والجيدور وحوران فلم ينج أهلها • فقد جاء اليهود الى نائب أغريبا فاروس وطلبوا منه جنودا لحمايتهم فكان جوابه أن أرسل من قتلهم ليلا عن آخرهم ثم لم يدع جورا ولا اعتسافا الا وأقدم عليه • ولما بلغت أغريبا أخبار ظلمه عزله ولم يقتله لاتصال

نسبه بأحد اليهود المقيمين بين ظهرانيهم ، فاغتنموا فرصة خروج أمتهم على الرومان فاجتمعوا للتشاور وانسل بينهم بعض اليهود فحسبوهم جواسيس وقبضوا عليهم وأرادوا حرقهم أحياء فتسارع اليهود مدججين بالسلاح لانقاذ اخوانهم • وكان والى المدينة اسكندر طيباريوس رجلا ارتد عن مذهب اليهود وصار وثنيا فأطلق جنوده على اليهود كالضوارى فقتلوا منهم خمسين ألفا وانتهبوا بيوتهم وحوانيتهم • ولما رأى غلوس والى سورية الهياج على اليهود من كل فج جمع جيشا وسار به الى عكا وانضم اليه كثيرون من سكان المدن المجاورة لها وجاء اليه أغريبا ببعض جنوده فزحف الجيش الرومانى الى زابلون ففر أهلها الى الجبال فانتهبها وحرق بيوتها التى لم تكن أبنية صور وصيدا وبيروت أحسن منها ونهب وأحرق القرى المجاورة لها وعاد الى عكا • فشجع عوده اليهود وتعقبوا السوريين فقتلوا منهم ألفى رجل أكثرهم من بيروت كانوا تباطأوا لطمعهم بالاسلاب • ثم سار غلوس من عكا الى قيصرية وأرسل كتائب من جيشه الى يافا فباغتو اهلها وقتلوهم عن آخرهم ونهبوا المدينة وأحرقوها وكان عدد القتلى ثمانية آلاف وأربعمائة وأرسل كتيبة من الفرسان الى جهة السامرة فقتلوا كثيرين من الاهلين • ثم أرسل فريقا آخر الى الجليل ففتحت مدينة صافوريس (صفورية اليوم) أبوابها للجنود واقتدى بها غيرها ، غير أن المشاغبين اعتزلوا فى جبل

عرمون فسار اليهم الجنود وظهروا عليهم وقتلوا أكثرهم • وعرف غلوس أن كثيرا من اليهود اجتمعوا فى برج أفيق (المعروف بفقوعه على قول كندر وبالفولة على رأى كاران فى مرج ابن عامر والتفسير للدبس) فأرسل كتيبة لضربهم فلم يجسروا أن يقوموا فى وجـــه الجند فنهب الرومانيون أفيق والقرى المجاورة لها وأحرقوها • ثم سار غلوس الى اللد فلم يجد من أهلها الا خمسين رجلا لانهم كانوا مضوا الى أورشليم لعيد المظال فقتلهم وأحرق مدينتهم وسار بعسكره نحو أورشليم وأنزل جيشه فى جبعة القريبة منها (والسياق يفيـــد أن حركة غلوس وتنكيلاته كانت ضد اليهود) ولما رأى اليهـــود دنو جيش الرومانيين من عاصمتهم تركوا حفلات العيد ولم يرعوا السبت وخرجوا على جنود الرومان فكسروا طلائعهم حتى وصلوا الى قا ب الجيش فارتد الرومانيون الى بيت أور وتربص غلوس ثلاثة أيام وأرسل أغريبا رسلا الى اليهود يبلغونهم من قبل غلوس أنهم اذا ألقوا سلاحهم وأخلصوا فى الطاعة أراحهم مما يشكون منه فلم ينثن المشاغبون عن عزمهم بل قتلوا أحدالرسل وفر الثانى مثخنابالجراح فاستاء الشعب من ذلك وأرغموهم بالحجارة والعصى على الفرار من المدينة • واغتنم غلوس فرصة انقسامهم وزحف عليهم وهزمهم وتعقبهم الى أورشليم وحل فى جانبها وأنذرهم بالارعواء فلم يرعووا فصف جنوده للقتال فلم يقفوا فى وجههم بل تألبوا فى الهيكل فدخل غلوس المدينة وحل فى أعلاها وحرق بعض بيوتها فعاودت الحميـة

اليهود وتحصنوا بالابراج واستمروا يدافعون خمسة أيام وفى اليوم السادس دنا الرومانيون من الهيكل وكان اليهود يرشقونهم بالنبل من شرفات الهيكل ، ولكنهم كانوا يتقون بتروسهم ويتقدمون وأخذوا ينقبون الحائط • غير أن غلوس رفع الحصـــار بسبب المطر وقلة المؤونة فحسب اليهود ذلك انكسارا وهزيمة فخرجوا وتعقبوا ساقة الجيش وقتلوا بعضهم وظل الجيش الرومانى فى انسحابه واليهـود فى تعقبهم له وقتلهم من قدروا عليه منهم حتى بلغ مقدار القتلى ستة آلاف وعادوا الى أورشليم مبتهجين بالنصر وأخذ هو يتعـــاظم ولم يعودوا يفكرون فى مسايرة الرومان ومصالحتهم •

ويقول يوسيفوس : ان أغريبا سار الى روما وأخبر نيرون بما جرى فأرسل حملة بقيادة قائد اسمه كسبينا لرد اليهود الى الطاعة • ولما وصل الى فلسطين أخذ يحرق جميع ما يمر به من مدن اليهود ويقتل أهلها الى أن انتهى الى أورشليم • وخرج اليهم العـــازار الخارجى وأصحابه فاشتبكوا معهم فهزموهم فارتدوا الى المدينـــة وتحصنوا فيها ، وعرض كسبينا عليهم الصلح فرفضوا ثم خـــرجوا وتمكنوا من قتل كثير من الرومان • ولما رأى كسبينا شـــدة بأس اليهود خاف منهم ورأى أن يبتعد عنهم قبل أن يستأنفوا الهجـــوم عليه فأشعل فى الليل نيرانا كثيرة وضرب بالابواق وأثار حركة قوية ليوهم اليهود بوجوده ثم انسحب بعد نصف الليل الى قيصرية • وفى الصباح خرج العازار وجماعته فوجدهم قد انسحبوا فتبعهم وقتل

خلقا كثير منهم . ويستمر يوسيفوس فى سياقه فيقول ان كسبينا وأغريبا عادا الى روما فأخبرا نيرون بما جرى فعظم الامر عليه . وكان له قائدعظيم اسمه وسباسيانوس عاد الى روما فىذلك الظرف بعد انتصارات أحرزها فى الاندلس فأمره بالمسير الى اليهود واستئصالهم وتدمير بلدانهم وحصونهم، وأرفقه بجيش عظيم. وبلغ اليهود الخبر فأخذوا يستعدون للمقاومة، وقسموا البلاد ثلاث مناطق عسكرية واحدة في الشمال وهي منطقة الجليل ، وثانية في الجنوب وهي منطقة القدس ، وثالثة في شرق الاردن . وجعلوا على كل منطقة قائدا وطفقوا يحصنون المدن والبلاد . وكان طريق زحف الرومان المنطقة الشمالية . ومع أن يوسيفوس يقول : ان عدد من كان في المنطقة من محاربي اليهود ستون ألفا فانه قال ان القائد خاف وانسحب الى حصن اسمه يوذاب فتحصن به وتزل الرومان على الحصن وأرسل الى القائد اليهودي يدعوه الى الصلح فأرسل الى أورشليم يستشير فجاءه الجواب بعدم المسالمة وتفضيل الموت . وجبن القائد فاستلم القيادة يوسيفوس الذى يقول الدبس انه المؤرخ نفسه - مع أن النسخة التى فى يدنا لا تذكر ذلك - وأخذ يشتبك مع الرومان ، وامتدت المصاولة خمسة أيام . وقتل من الفريقين خلق عظيم ، واستمات اليهود فى الحرب ، وكان الرومان يقوون بمن كان ينضم اليهم من الامم التى أظهرت العداء لليهود فى بلاد الدولة وتخومها على ما يذكره يوسيفوس ، بينما كان عسكر اليهود يقلون

ويضعفون • ثم انقطعوا عن الخروج وأغلقوا الابواب فحـاصرهم الروم وقطعوا عنهم الماء حتى أجهدوهم فخرجوا مستميتين واشتبكوا مع الروم ثانية وكادوا يهزمونهم ، ثم انكسروا وارتدوا الى الحصن، واستمرت الحالة على ذلك ثمانية وأربعين يوما • وتمكن الروم فى النهاية من اقتحام الحصن وقتل جميع من كان فيه واستطاع القـائد يوسيفوس وأربعين من رجاله الافلات والنجاة الى مغارة • وأرسل القائد الرومانى من تبعهم وحاصرهم وطلب منهم الاستسلام• ومال القائد الى ذلك فأبى رجاله وفضلوا الموت وكانت بينهم وبينه محاورة يبرز عليها الخيال فى صور ترجيح الموت على التسليم ثم أخـذوا يقتلون بعضهم بالقرعة عدا يوسيفوس الذى فضل الحياة وخـرج مستسلما للقائد الرومانى • وقد أشار عليه بعض اليهود الذين معـه بقتله فأبى مما فيه دلالة على أن جماعات من اليهـود كانوا يقاتلون بنى قومهم فى صفوف الرومان • وبعد ذلك فتـح ومباسيانوس حصون اليهود ومدنهم فى الجليل والسواحل وقتل جميع من قاومه وأحسن لمن استسلم وخضع حسب تعبير يوسيفوس •

وكان برز فى هذه الاثناء فى الجليل من قرية كوشاله ـ لعلهـا أكسال اليوم وهى من قرى الشمال ـ شخص اسمه يوحانان وصفه يوسيفوس بأنه الخارجى الثانى وأنه كان ذا عقل وافر ومعرفة بليغة وحكمة الا أنه كان رجلا شريرا يرتكب العظائم ويستحل المحـارم وقد انضاف اليه جماعة من أهل الشر قوى بهـم على ما يريد فكان

يقتل الناس ويأخذ أموالهم ويستبيح نعمهم فأيسر وكثر ماله وانبسطت يده(١) . فلما فتح الروم مدينة كوشاله هرب مع أصحابه الى أورشليم . وكان قد التجأ اليها من المدن التي استولى عليها الروم جماعات كثيرة من شرار اليهود ، فلما جاء يوحانان انضموا اليه فقوى أمره وانبسطت يده على المدينة وأخذ ينهب أموال أهلها ويمنحها لجماعته ، وعزل رئيس الكهان وعين مكانه جاهلا من عوام الكهنة وطفق يقتل من يمتنع عن تنفيذ أوامره ورغباته مهما كان فيها من مخالفة للشرع فعظم شره على الناس حتى تمنوا أن يأتي الروم ويستولوا على المدينة ويستريحوا . وقد اجتمع رؤساء المدينة الذين مع حناني الكاهن المعزول ، وانضاف اليهم خلق كبير وأخذوا يشتبكون مع يوحانان وجماعته فكانت حربا أهلية ذهب ضحيتها عدد كبير من الفريقين ثم اتخذ يوحانان وجماعته المعبد مركزا وحصنا وأرسل الى أدوم يطلب منهم النجدة ، فجاءه عشرون ألف محارب ، وحاول حناني منعهم من دخول المدينة ، وأغلق دونهم الابواب . وتظاهر الادوميون ــ الانباط العرب ــ بالاستعداد لنصرة حناني على

(١) في تلخيص الديبس ان يوسيفوس المؤرخ هو الذي ولاه اليهود على منطقة الجليل ، وان يوحنا الخارجي خرج في عهده وكان يناوئه طمعا في منصبه وان الجليليين انقسموا فريقين فريقا مع هذا وفريقا مع ذلك وان رئيس مجمع أورشليم كان متحزبا مع يوحنا ضد يوسيفوس فارسل اليه نجدة وان اهل بيسان والجيش وطبريا اظهروا العداء ليوسيفوس نتيجة هذا الانقسام فحاربهم ، وهذا ليس في نسخة يوسيفوس ترجمة صادر ، وينطوي فيها صورة لما كان عليه اليهود من فوضى وبلبلة في هذه الحقبة .

يوحانان ، فكاد ينخدع ويفتح لهم الابواب غير أن السماء فى هذه الآونة أرعدت وأبرقت فخاف اليهود وفروا الى بيوتهم فسارع جماعة يوحانان الى الابواب ففتحوها للادوميين وصاروا واياهم يدا واحدة على المدينة • وأخذوا يكبسون المنازل وينهبونهـا • وقتلوا عددا كثيرا من عظمائها وأغنيائها وعوامها • واستمرت الحالة على ذلك أياما ثم بعث يوحانان بسرايا الى المدن التى استأمنت للروم فتحت كثيرا منها وقتلت أهلها ونهبت أموالها • وأرسل أهل أورشليم ـ لما عظم بلاؤهم ـ رسلا الى وسباسياتوس يشكون مما نالهم ويسألونه انقاذهم • فامتنع عن السير أولا الى أورشليم وسار الى مدينة اسمها أفراذا على الاردن كان يحاصرها جماعة من يوحانان ففروا من أمامه فتبعهم وقتل بعضهم وألقى بعض آخر أنفسهم فى النهر فغرق معظمهم • ثم سار الى بلادأدوم ففتحها ثم فتح سبسطية ثم جمع جموعه وسار نحو أورشليم •

وكان فى هذه الاثناء قد برز فى أورشليم شخص اسمه شمعون سماه يوسيفوس بالخارجى الثالث وقال عنه انه كان ساقطا شريرا ظالما سافكا للدماء فأخذ يفعل مثل يوحانان فطرده حنانى الكاهن من المدينة ـ ونسى يوسيفوس أن حنانى مغلوب على أمره معزول من يوحانان ـ فمضى الى بعض الضياع فانضاف اليه جماعة من الاشرار واللصوص وقطاع الطريق حتى صار عددهم عشرين ألفا فخاف أهل

القدس منه فبعثوا اليه عسكرا ليحاربه ـ ونسى يوسيفوس أن أهل أورشليم أعجز من يرسلوا جيشا وكانوا فى أشد حالات البلاء والمحنة من يوحانان وجماعته والادوميين الذين جاءوا لمساعدته ـ فهزمهم شمعون وقتل كثيرا منهم وقوى أمره وأخذ ينهب الضياع ويتلف الزروع فتعاظم الهم واشتدت المحن لان يوحانان فى أورشليم يقتل الناس وينهب الاموال وشمعون فى الخارج يفعل مثله . واشتد خوف الناس على أنفسهم وأموالهم وحريمهم وكان أذى يوحانان خاصة أشد حتى لقد أرسل أهل أورشليم يستمدون العون من شمعون ليكفيهم شره . وسارع هذا الى التلبية وعاهدهم على حسن السيرة فلما صار فى المدينة نقض العهد وأخذ يفحش هو الآخر فى القتل والنهب والتدمير ويشتبك فى ذات الوقت مع يوحانان وجماعته ...

وفى هذه الاثناء ورد الخبر لوسباسيانوس بموت نيرون وتملك رجل ساقط فغضب هو وجيشه لذلك ونادى الجيش به قيصرا ٦٩ ب م وقسم عسكره قسمين أخذ أحدهما معه واتجه نحو روما لتوطيد سلطانه وترك النصف الثانى مع ابنه تيطس ووصاه بمحاربة اليهود . وظلت الحالة شديدة عصيبة فى أورشليم والاشتباكات متصلة بين يوحانان وشمعون وتقاسم الزعيمان المدينة واحد فى أعلاها وآخر فى أسفلها . وانضم فريق من الكهان والرؤساء الى واحد وفريق

آخر الى الآخر وكثر القتل فى الشوارع والازقة والمعبد وكانت جثث القتلى تتراكم على بعضها وانتشرت رائحة الموتى وكثرت الامراض وكان لا يمشي امرؤ الا على قتيل أو دم أو أمعاء ممزقة. وكان الفريقان يتراشقان بالنيران فتنشب الحرائق . وهكذا اجتمع على أهل المدينة آفات القتل والحريق والجوع وعلا ضجيجهم وبكاؤهم وكرهوا الحياة وتمنوا الموت ..

ولما فرغ تيطس من بسط سيطرته على الجليل والسامرة زحف الى أورشليم وحينئذ اجتمع رؤساء الخوارج واصطلحوا واتفقوا على وقف الحرب فيما بينهم ومحاربة الروم متضامنين وخرجوا من أورشليم . ولكن تيطس انتصر عليهم وهزمهم فعادوا الى المدينة وأغلقوها ولم يلبثوا أن تنافسوا على الزعامة فانتقض العهد بينهم وعادوا الى ما كانوا عليه من الشر والحرب . ودخل يوحانان الى المعبد مع أصحابه وقد أخفوا سلاحهم فأمن اليهم الكهنة والناس واستقبلوهم ولكنهم لم يلبثوا أن أظهروا سلاحهم حينما صاروا فى داخل المعبد وأخذوا يقتلون الناس والكهنة بغير رحمة ولا شفقة .

ووصل الخبر الى ألعازار وشمعون فبادروا اليهم وأخذوا يشتبكون معهم . وبينما كانت الملحمة دائرة فى أورشليم والمعبد كان تيطس يجد فى فتح الثغرات فى الاسوار وكانت ثلاثة واحد وراء الآخر . وكان كلما تمكن من فتح ثغرة فى سور اتفق اليهود

فيما بينهم على وقف الحرب والتضامن ضد الروم ، وكانوا يستميتون في الحرب ويكبدون الروم خسائر فادحة . وحاول تيطس أن يخذل بعضهم عن بعض وكان معه يوسيفوس الذى استسلم اليه في الجليل فجعل يخاطبهم ويعدهم ويمنيهم ويذكرهم بأحـــداث آسلافهم فقابلوه بالشتيمة والحجارة وحينئذ اغلظ لهم القـــول وأنذرهم بالهلاك والفناء .

وقد أورد يوسيفوس هذا في سياق طويل يبرز عليه الخيـــال والتهويل والمبالغة والمناقضة . ثم قال ان تيطس ترك محاربة اليهـــود واكتفى بحصارهم والتضييق عليهم الى أن يقهرهم الجوع وشـــدد عليهم الحصار حتى جهدهم الجوع فعلا واضطرهم الى فتح الابواب في النهاية . ومما ذكره أن قوما من الاشرار سعوا الى شمعون بأمثاى الكاهن الاكبر وقالوا له انه يريد أن يستأنس للروم فقبض عليـــه وعلى أولاده وقتلهم فوق السور بعد أن أنبه الكاهن بخطاب طويل يبرز عليه الخيال هو الآخر ثم أتبعهم بعشرات من الكهان والوجوه الذين وشى بهم الواشون أو أنكروا قتل أمثاى الكاهن .

ولقد طال الحصار على المدينة وفنى كل ما فيها من القوت حتى أكل سكانها الجيف ودبيب الارض، ومنهم من أكل أولاده ، وهلك خلق كبير من الجوع واشتغل الاحياء بأنفسهم ، وتركوا المـــوتى بدون دفن ، فامتلأت المنازل والشوارع والازقة بالجثث وتعفنت

وخفتت الاصوات والمناحات ، وكان الخوارج يلقون الموتى الى الوادى الواقع فى شرقى المدينة من الاسوار حتى صار منهم أكوام عظيمة وصار الناس يخرجون الى الروم بالالوف دون أن يمنعهم أحد ، وكان الخارجون يبلعون ما عندهم من ذهب وفضة ثم يستخرجونه من البراز بعدوصولهم الى الروم ، وانتشر خبر ذلك بين العرب والسريان الذين هم فى عسكر الروم فأدى الى قتل كثير من المستأمنين طمعا بما فى أجوافهم من ذهب وفضة . وكان نيطس يرقب الحالة ، ويضيق الحصار ، ويجد فى هدم الاسوار ، ولقد تمكن من هدم السور الثالث فما كان من رجال العصابات والمقاومة على شدة ما حل فيهم من ارهاق وعناء الا أن بنوا سورا جديدا فى ليلة واحدة على ما زعم يوسيفوس وأشغلوا الروم بمناوشاتهم خارجه الى أن تم بناؤه . وعاد نيطس يخاطب زعماءهم مرغبا محذرا داعيا الى الاستسلام فردوا عليهم ردودا شديدة فأوقف القتال ثانية لعل الجوع يحل المشكلة . وقد ساق يوسيفوس هذا أيضا فى سياق طويل يبرز عليه الخيال والتهويل والتناقض . وقد تمكن الروم فى النهاية من خرق الاسوار ، ودخول المدينة وأخذوا يفتكون فى اليهود ويعملون فى المدينة والحرم يد التدمير والسلب . وقد أغضبهم عمل أقدم عليه بعض اليهود ، حيث أشعلوا مكانا كان فيه جمع من الروم ، فهلكوا حرقا، فاشتدوا فى الفتك والنهب والتدمير

ويقول يوسيفوس : ان اليهود الذين كانوا يدافعون الروم حول المعبد لما غلبهم الامر ورأوا المعبد قد احترق قالوا ما لنا وللحياة وزجوا أنفسهم فى النار واحترقوا .. وان اليهود الذين هم فى أحياء المدينة الاخرى لما علموا بأن قدس الاقداس قد احترق مضوا الى جميع ما فى المدينة من قصور ومنازل فأحرقوها بما فيها من ذخائر وعدد وأموال ثم أخذوا يقاتلون الروم قتال الموت حتى قتلوا عن آخرهم .. ويقول أيضا ان يوحانان وشمعون الخارجيين أرسلا الى تيطس يطلبان منه الامان فأرسل يندد بهم ويعدد ما سببوه لامتهم وبلادهم من خراب وطلب منهم الاتيان بدون سلاح وعلى هيئة المساكين فأبوا وظلوا معتصمين فى جبل صهيون ، ثم انحدروا ليلا الى المعبد ، فقتلوا قائدين للروم كان تيطس وكلهما بحفظه فثار غضب تيطس ، وأمر بقتل من بقى فى المدينة بأمان سابق منه فقتل خلق لا يحصى عددهم . وأرسل الادوميون الذين كانوا مع شمعون يطلبون الامان ، فعلم هذا بذلك فقتل رؤساءهم فهرب الباقون الى تيطس . وقد تمكن شمعون ويوحانان من الانحدار من الجبل والفرار غير أن تيطس أرسل من طاردهما وظفر بهما فى النهاية . وهكذا دمرت أورشليم ودمر المعبد للمرة الثانية وفنى اليهود فى المدينة قتلا وجوعا بأيدى بعضهم وأيدى الرومان معا .

وقد ذكر يوسيفوس أن موكلا بأحد أبواب المدينة أحصى من

أخرج ميتا من بابه فبلغ عددهم مائة وخمسة وعشرين الفا وأن رؤساء اليهود الذين استأمنوا للروم ذكروا أنهم أحصوا الموتى الذين أخرجوا من جميع الابواب فى مدةالحصار والحروب فبلغ عددهم ستمائة ألف وذلك غير من طرح فى الآبار ومات فى الشـــوارع والازقة ولم يدفنوا وأن الذين قتلهم الرومان فى الحروب وغيرهـا والذين قتلهم الخوارج قد بلغوا ألف ألف انسان ، وأن جملة من سباه تيطس غير الذى أمنه بلغوا تسعة وتسعين ألفا وأن معظـــم أصحاب الخوارج قد هلكوا فى الحرب ومن بقى منهم وقع فى أسر تيطس فأخذهم معه وكان يلقى منهم للسباع فى كل منزل ينزل فيه جماعة الى أن هلكوا جميعهم •

وقد يكون فى الارقام مبالغة ولكن المتبادر من السياق أن معظم يهود أورشليم ــ وكثيرا من اليهود كانوا تجمعوا فيها ــ قد فنوا قتلا وسبيا بالاضافة الى ما فنى من يهود الجليل وغيره •

وقد ذكر يوسيفوس فى خاتمة كتابه أن ألعازار لما رأى ما فعله شمعون ويوحنا من سفك ونهب وتدمير نزح الى خارج القـــدس وانزوى الى أن رحل تيطس • ثم ظهر ومضى الى قرية اسمها ماصيو فرمم سورها وحصنها وأقام فيها ، وسمع به الناس فأخذوا يفدون عليه ويتجمعون حوله • واتصل خبره بتيطس وهو فى أنطاكيـــة فأرسل قائدا من قواده على رأس قوة فنزل على ماصيو وشدد عليها

الحصار • ورأى المحصورون أنهم لا قبل لهم بالروم فتشاوروا في طلب الامان والاستسلام • ولكن ألعازار خطب فيهم خطبة طويلـــة ليقنعهم بعدم فائدة الاستسلام ويفضل الموت الكريم على حيـــــاة الذل والسبي • وأخذ يذكرهم بأحداث التاريخ وجهاد الآباء حتى قنعوا وقضوا ليلة ليلاء ناحوا فيها وبكوا وودعوا بعضهم ثم قتلـــوا نساءهم وأولادهم وألقوهم في الآبار • وخرجوا بعد ذلك مستقتلين فلم يزالوا يحاربون الروم الى أن قتلوا جميعا •

وقد أورد يوسيفوس هذا في سياق طويل كذلك يبرز عليـــه المبالغة والغلو •

وبهذا الحادث ينتهي كتاب يوسيفوس •

والسياق يسوغ القول ان ثقل التدمير والابادة قد أناخ بكلكله على أورشليم بنوع خاص • والمستفاد من روايات الدبس في الجزء الثاني ـ المجلد الثالث والمجلد الرابع من كتابه تاريخ سورية أنه بقي في فلسطين شراذم من اليهود وبعد خراب أورشليم برغم جلاء كثير منهم عن فلسطين وتشتتهم في كل قطر وخاصة في الاقطار المجاورة مثل مصر وقبرص وتدمر وليبية وبين النهرين •

بعد تدمير أورشليم

- ١ -

لقد سجل التاريخ لبني اسرائيل في فلسطين وخارجها أحداثا متنوعة بعد تدمير أورشليم رأينا أن نلم بها في هذا الفصل الذي سيكون خاتمة الكتاب .

فمما ذكره الدبس(١) من ذلك أن فسبسيان عين واليا على اليهودية اسمه بسوس وأمره أن يسير مع شراذم اليهود الباقية فيها سيرة الشدة واليقظة ، وأنه أمر بهدم هيكلهم في الاسكندرية لانه رآهم تكتلوا حوله بعد تدمير أورشليم وهيكلها تكتلا قد يجر المتاعب من ناحيتهم .

كذلك مما ذكره(٢) أن اليهود هاجوا وماجوا في قبرص والقيروان ومصر في عهد الامبراطور تراجان (٩٨-١١٧(٣)م) وقتلوا كثيرا من الوثنيين واليونانيين . وأبدوا من القسوة والهمجية ما لا يكاد يصدق حيث كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دمهم ويتحزمون بأمعائهم ويلتفون بجلودهم وقد شطروا كثيرين من

(١ و٢) تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثاني ٥٦٨ وما بعدها .

(٣) سني حكم القياصرة في هذه النبذة ماخوذة من القائمة الملحقة بالمجلد الرابع ـ الجزء الثاني من تاريخ سورية للدبس ص ٥٥٩-٥٦٢ .

رأسهم الى أسفل وأرغموا كثيرين على مصارعة بعضهم وقتل بعضهم قاصدين بكل ذلك الى الثأر بدم آبائهم الذين هلكوا أيام نيطس (والعبارة للدبس) حيث يبدو فى هذا صورةفظيعة من صور انفجار الاحقاد والقسوة ضد غيرهم ولو لم يكونوا هم غرماءهم والتى تسكررت منهم نتيجة لما كان يحصل فيهم من ضربات واضطهادات .

وقد روى أن عدد الذين قتلهم اليهود فى ليبيـة والقيروان (٢٢٠٠٠٠) وفى قبرص ٢٤٠٠٠٠ ، أما الاسكندرية فان أهلها تغلبوا على اليهود وقتلوا من كان منهم فيها . وقد أثخن قادة تراجان والقبرصيون فى اليهود الذين فى الجزيرة وطردوا من نجا من القتل وسنوا قانونا حرموا به الجزيرة على اليهود وكانوا يقتلون كل من أقبل عليها ولو ضالا أو مدفوعا بعاصف . وأرسل تراجان الى ليبية ومصر قائدا على رأس جيش كبير فأهلك من اليهود فيهما جما غفيرا وقائدا آخر على رأس جيش الى ما بين النهرين فأوقع فيهم ملاحم . ويظن بعض المؤرخين أن كثيرين من المسيحيين قد هلكوا فى هذه الوقائع ، اما أن يكون اليهود قتلوهم لبغضهم لهم أو الوثنيون لعدم تمييزهم اياهم عن اليهود .

ولقد ذكر ادى شير مؤلف كتاب تاريخ كلدة وآشور(١) أنه

---

(١) ج ٢ ص ٨ و ١٥-١٦.

كان فى ما بين النهرين جماعات كبيرة من اليهود أنسال السبى الذين تخلفوا عن العودة وأنهم نشروا سنة ١٤٤ ب م أى فى عهد تراجان كذلك لواء العصيان فأمر القيصر واليه الذى كان رسمه لوسيا فقتل منهم جما غفيرا لا يحصى • ومن المحتمل أن هذه الثورة امتداد لما كان من ثورات اليهود فى مصر وقبرص وليبية •

ومما ذكره الدبس (١) ان القيصر ادريان ١١٧ـــ١٣٨ ب م أمر جنوده بتمهيد محل خرابة الهيكل ثم بنى فيه هيكلا للمشـــترى وأسكن جالية رومانية فى جبل صهيون ومنع اليهود من الختان • فهاجوا وماجوا ونسوا ما حل فيهم في عهد تراجان • وحملت زمر منهم السلاح وظهر منهم رجل اســـمه بركوكبا أى ابن الكوكب اعتبروه المسيح المنتظر وقالوا انه الكوكب الذى يشرق من يعقوب • وسلمه أحد رؤسائهم صولجان السلطة باحتفاء كبير • وانضوى اليه كثير من اليهود وأخذوا يعتدون على غير اليهود وعلى الجنـود الرومانيين فى الجملة • فنهض لهم والى اليهودية روفوس وأعمل فيهم يد القتل دون تفريق بين رجال ونساء وأطفال ، ثم أرســـل ادريان قائدا على رأس جيش كبير أخذ يضرب محلا محلا مضيقا عليهم وقاطعا موارد رزقهم واستمر يفعل ذلك سنتين حتى دمر نحو تسعمائة قرية وهدم خمسين حصنا • وقد بلغ عدد القتلى بالسـيف

(١) المصدر السابق ص ٥٧٢ ه

منهم ٥٨٠ ألفا عدا من هلك جوعا ومرضا وحرقا حتى استعظم اليهود مصابهم هذا على مصابهم فى حصار تيطس وفى حملة بختنصر وكان بركوكيا من جملة القتلى • وعذب الرومان علماء الشريعة الذين كانوا محصورين فى قلعة بتير عذابا مبرحا حتى زهقت أرواحهم ، وسبوا كثيرا من النساء والاولاد وباعوهم بأبخس الاثمان فى أسواق غزة وترابينا ومن لم يجدوا له شاريا أرسلوه الى مصر • وبعثوا الى روما بكثير من الاسرى غذوا بلحمانهم أسود الملاعب وحرموا على اليهود دخول أورشليم الا يوما واحدا فى السنة لينوحوا على خرائب المدينة ولم يسمحوا لهم بذلك الا بعد دفع غرامة كبيرة • فكان فى هذا القمع الشديد الذى يخمن أنه كان فى سنة ١٣٢ ب م الضربة النهائية لليهود فى فلسطين التى لم تقم لهم فيها قائمة بعد •

- ٢ -

وقد صرفتهم الضربة على ما يبدو الى عمل دينى حيث شرع علماؤهم فى عهد ادريان فى كتابة التلمود ليكون لهم جامعة معنوية اذ لم تعد لهم جامعة وطنية • وقد بدأ بكتابته علماء مدرسة جريا •

وجمعوا فيما كتبوه وسموه التلمود تقاليدهم وفتاوى علمائهم وأحكام رؤسائهم وما استطرفوه من عادات •

وهو قسمان « المثنا » ومعناه الشريعة الثانية ، و « الكومار » أي التكملة وهو تفسير أو شرح للاول • ولهم تلمودان واحد يسمى الاورشليمى ، وقد بدىء فى كتابته فى القرن الثانى ثم زيد عليه الى أن تكامل فى القرن الرابع • وآخر يسمى البابلى ألفه بعض الربيين بعد هجرتهم الى العراق فى اثر ما أنزله ادريان فيهم ولم يكمل الا فى القرن الخامس أو السادس • والتلمود غامض العبارة • وقد تعمد كتابة ذلك حتى لا يظهر المعنى الصحيح لبعض النبوات، ومفعم بمزاعم وأقاصيص شبيهة بأقاصيص القدماء من الوثنيين • واليهود يفضلون التلمود على سنة موسى ، ومن أمثالهم أن الاهتمام بالتوراة قديكون له جزاء وقدلا يكون وأما الاهتمام بالمثنا فيستحق الجزاء والمكافأة وأن الاهتمام بالكومار فضيلة ليس أعظم منها • والمثنا كتب بلغة عبرانية صحيحة • أما الكومار فقد خالط لغته ألفاظ كلدانية كثيرة • وقد طبع لاول مرة كاملا فى البندقية فى اثنى عشر مجلدا سنة ١٥٢٠ وترجم الى الافرنسية وطبع بها فى باريس سنة ١٨٣١(١) •

على أن اليهود لم ينضووا جميعهم الى جامعة التلمود حيث بقى فريق منهم فيهم الاحبار والعلماء ينكرونه ولا يعترفون الا بأسفار

(١) المصدر السابق ص ٥١٧

العهد القديم ويعرفون بالقرئيين • وأما آلذين قبلوا التلمود وساروا عليه فقد عرفوا بالربانيين(١) •

(١) جل ما ذكرناه عن التلمود مقتبس من مقال فى العبرانيين للدبس ص ٥٧٥، وفى كتاب آداب اللغات السامية لمحمد عطية الابراشى ص ٥٧ وما بعده • ان التلمود منصران متن وشرح ويسمى الاول المشنا والثانى الجمارا ، والاول بالعبرانية والثانى بالارامية ، والمشنا يشتمل على احكام دينية والجمارا تشتمل على بحوث دينية وفقهية • والمشنا يذكر المبادىء والقواعد بدون نقاش غالبا بينما تحتوى الجمارا جدلا ونقاشا ثم تنتهى بذكر الحكم النهائى • وفى كتاب اسرائيل بنت بريطانية البكر لمحمد الزغبى ص ٥٧ وما بعدها ان الربانيين يعتقدون ان التلمود موحى به الى الذين كتبوه خلافا للقرائين الذين يرون انه اجتهادى •

وفى هذا الكتاب فقرات عامة مقتبسة من التلمود ليدلل مؤلفه بها على الروح التى سيطرت على واضعيه من علماء اليهود المنتسبين الى أجيال متعاقبة • وقد رأينا ان ننقل بعضها لندلل بدورنا على ان هذه الروح ليست جديدة وعلى انها كانت وظلت تطغى على جميع بنى اسرائيل فى جميع أدوار حياتهم وتوجههم فى الحياة ثم على الذين دونوا اسفارهم القديمة فكان من اثرهـا فكرة اختصاصهم من الله وفكرة تميزهم على غيرهم واحتكارهم للرب وعنايته وتأييده لهم فى كل حال وفكرة حقهم بالاستيلاء على ما فى أيدى الغير وابادته واستعباده بل واعتبارهم ذلك واجبا دينيا مما مرت الامثلة الكثيرة والنصوص العديدة فى صدده •

١ ـ يباح لاسرائيل بل يفرض عليه قتل من امكنهم من الجوييم واغتصاب مالهم وسرقتهم (والجوييم تطلق على غير اليهودى)

٢ ـ ان املاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذى يحق لليهودى امتلاكه

٣ ـ ان الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات الشعوب •

٤ ـ ان اليهود احب الى الله من الملائكة • وهم من عنصر الله كالولد من عنصر ابيه ومن يصفع اليهودى كمن يصفع الله • والموت جزاء الجوى اذا ضرب اليهودى •

٥ ـ لولا اليهود لارتفعت البركة من الارض واحتجبت الشمس وانقطع المطر •

٦ ـ اليهود يفضلون الجوى كما يفضل الانسان البهيمة • والجوييم كالكلاب والخنازير وبيوتهم كحظائر البهائم نجاسة • ويحرم على اليهودى أن يعطف عليهم • وكل شر يفعله اليهودى معهم هو قربى الى الله •

ولقد نشر مؤخرا بروتوكول حكماء صهيون وفيه خطط ونيات رهيبة ضد جميع الامم وفى سبيل ضمان تحطيمها من مختلف النواحى الدينية والاجتماعية والخلقية والاقتصادية سيطرت اليهود عليها • ولقدتنصل منه اليهود ولكن الخطط والنيات التى اشتمل عليها متسقة كل الاتساق مع نصوص الاسفار وتعاليم اليهود بحيث يجعل المطلع عليها قانعا اشد القناعة بصحة نسبتها لليهود •

على أن التاريخ سجل لهم أحداثا متنوعة أخرى فى عهد الرومان قبل الاسلام • فقد ذكر الدبس(١) أنهم ثاروا فى مصر فى عهد القيصر أنطونيوس ١٣٨-١٦١ بم الذى خلف أدريان فأخمد الرومان ثورتهم بيسر وقسوة • وقد قال الدبس بعد أن أورد الخبر أن فلسطين كانت فى عهد القيصر ساويروس ١٩٧-٢١١ كما كانت فى أكثر أوقاتها مضمارا للاختلافات الدينية وساحة للهرج والشغب والسطو مما جعله يسير سيرة شديدة ولا يغضى على أقل مخالفة • وفى زمن هذا الملك نشبت الفتنة بين اليهود والسامريين مرتين كانت تؤدى الى الاقتتال نتيجة للاحقاد القديمة المتأصلة بين الفريقين الذين يدينون بدين واحد مما ذكرنا أسبابه وبعض صوره فى مناسبات سابقة •

ومما رواه المؤرخون(٢) أن قسطنطين الذى كان أول من تنصر

= وان الانسان ليندهش حينما ينعم النظر فى هذه الخطط والنيات المدمرة الرهيبة التى وردت فى البروتوكول حينما يقابلها مع خطط الشيوعية ونياتها المدمرة حيث يجد التطابق تاما بينها ثم حينما يذكر ان واضعى النظريات الشيوعية وكبار منفذيها فضلا عن صغارهم من ماركس الى انجلز الى لينين وتروتسكى وغيرهم من آلاف اليهود الذين كانوا وظلوا فى كل مكان على راس الشيوعية المخربة وكانوا متناقضين أعجب التناقض بدون مبالاة الى درجة ان بعض كبار أثريائهم فى مصر والعراق قد اندمجوا فى الشيوعية وكانوا يمولون منظماتها •• واذا تنصل اليهود من البروتوكول فلن يسعهم ان يتنصلوا من التلمود ثم لن يسعهم من اسفار العهد القديم لانهم ملزمون بالاعتراف بهما وهما بين أيدى جميع الناس • وكل ما جاء فى بروتوكول حكماء صهيون من خطط ونيات رهيبة مدمرة ضد جميع الامم تتمثل فى الاسفار وفى التلمود معا •

(١) المصدر السابق ص ٥٧٦ - ٥٨٩

(٢) الكافى فى تاريخ مصر لشاروبيم ج ١ ص ٢٤٠-٢٧٥

حاول اكراه اليهود على التنصر وقتل كثيرين من المتعصبين وتشرد كثيرون •

ومما ذكره الدبس(١) أن الامبراطور يوليانوس ٣٦١–٣٦٣ب م بعدأن ارتد عن النصرانية (٢) رأى أن يغيظ النصارى فيجدد الهيكل لان هؤلاء كانوا يقولون بناء على التنبؤات انه سيبقى خرابا الى الابد ، واتصل باليهود بسبيل ذلك فابتهجوا وتسارعوا من كل فج الى أورشليم للعمل مع عمال الملك على تحقيق العزيمة ، ولكن الحرائق كانت تنشب مرة بعد مرة فتأتى على الاخشاب والمعدات وتهلك كثيرا من اليهود مما اعتبره النصارى معجزة ربانية ضد اليهود •

ومماذكره آدى شر(٣) أن اليهود فى بلاده كلده وآشور كانوا يبغضون المسيحيين أشد البغض وكانوا يحركون ملوك فارس عليهم ولا سيما بعد أن اعتنق قياصرة الروم النصرانية وجمعهم واياهم دين واحد وأن الاكاسرة كانوا يضطهدون النصارى اضطهادات شديدة نتيجة لهذا التحريض • وقد أورد المؤلف سلسلة من وقائع الاضطهاد الذى تعرض له نصارى العراق من الاكاسرة •

---

(١) الجزء الثانى المجلد الرابع من تاريخ سورية ص ٩٩.

(٢) بعض الباحثين يقولون ان لدسائس اليهود أثرا قويا فى ارتداد هذا القيصر وفى ما كان منه للنصارى من اضطهاد ومطاردة ، انظر كتاب اسرائيل بنت بريطانية البكر لمحمد على الزغبى •

(٣) تاريخ كلدة وآشور ج ٢ ص ٨ و٢٨–٢٩ وما بعدها

ومما ذكره شاروبيم(١) أنه تنصر جماعات كبيرة من اليهود فى مصر وفلسطين فى زمن القيصر ارقاديوس ٣٩٥-٤٠٨ وطعنوا بالتوراة وقالوا بوقوع تحريف فيها • وأن اليهود فى الاسكندرية قاموا بمظاهرة دينية بمناسبة عيد الفصح في عهد القيصر مرقانوس ٤٥٠-٤٥٧ وصلبوا جسما على مثال المسيح فثار عليهم النصارى واشتبكوا معهم وبعث القيصر جيشا خاصا فنكل بهم تنكيلا شديدا •

ومماذكره الدبس(٢) أن جوستنيان القيصر ٥٢٧-٥٦٧ ب م أصدر منشورا عام ٥٣٠ ب م أمر الوثنيين وأولى البدع فيه بالتنصر فرفض السامريون فى منطقة نابلس وثاروا وملكوا عليهم شخصا اسمه يوليانوس ووثبوا على مدينة بيسان فأحرقوا كنائسها واستحوذوا على نابلس وقتلوا كثيرين من أهلها مع أسقفها وكهنتها وخربوا القرى المجاورة لها فجمع قائد الجيش جنوده وزحف بهم على يوليانوس وجيشه فهزمهم وتعقبهم حتى قتل كثيرا منهم وقبض على يوليانوس نفسه وقطع رأسه وأرسله مع تاجه الى قيصر وكان عدد الذين قتلهم من السامريين عشرين ألفا • وقد عين القيصر واليا جديدا لانه شعر بتهاون الوالى القديم فتتبع هذا آثار السامريين فى الجبال وقتل كثيرين منهم •

ويظهر أن كل هذا لم يشف صدر النصارى فأرسل بطركهم

---

(١) الكافى ج ١

(٢) الجزء الثاني ـ المجلد الرابع تاريخ سورية ص ٤٤١

فى القدس الى القسطنطينية ناسكا شهيرا اسمه القديس سابا فطلب من القيصر بأن لا يسمح للسامريين بناء مجامع ولا نيل شيء من المناصب وأن يبنى الكنائس التى أحرقوها ، فأجابه القيصر الى سؤاله •

ومما ذكره المؤلف نفسه (١) أن اليهود فى انطاكية جاهروا بالعصيان فى عهد القيصر فوقا ٦٠٢–٦١١ ب م ووثبوا على المسيحيين وقتلوا بطركهم ودخلوا منازل بعض الاعيان فحرقوها وقتلوا أهلها فأخذت فوقا الحمية فأمر بتعميد اليهود ولو بالاكراه – تنصيرهم – وأرسل أحد عماله الى أورشليم حيث كان كثر عددهم فيها فجمع اليهود وأنذرهم فأبوا فعمدهم مكرهين فهاجوا وشغبوا واشتبكوا مع النصارى والجنود فى أورشليم واسكندرية وانطاكية بمعارك شديدة فبطش فوقا بهم قتلا وتشريدا •

وفى عهد القيصر هرقل ٦١١–٦٤١ ب م ثاروا فى صور وأرسلوا رسلا الى بنى ملتهم فى قبرص ودمشق وأورشليم يحرضونهم على الثورة بمناسبة غزو الفرس لبلاد الشام • ولقد استولى الفرس على هذه البلاد سنة ٦١٥ ب م وسبوا كثيرا من نصاراها فبادر اليهود الى شراء عدد كبير من السبى يتراوح عدده بين ٨٠ و٩٠ ألفا وذبحوهم على ماذكره الدبس(٢) حيث يتمثل

(١) المصدر السابق ص ٥٤١ – ٥٥٢
(٢) المصدر السابق نفسه

في هذا الحادث عملية انتقامية بالغة القسوة والحقد لم يندر أمثالهـا في تاريخهم •

وقد ذكر أدي شير زيادة على ذلك أنهم أشعلوا النار في جميـع كنائس النصارى فى أورشليم ومن جملتها كنيسة القيامة التى فيهـا قبر المسيح • فلما انتصر هرقل واسترد البلاد شكا النصارى اليه ما فعله اليهود فأوقع بهم وطرد من كان فى أورشليم منهم وحـــرم عليهم سكناها • وهذا ما يفسر لنا ما كان من شرط النصارى عـلى الخليفةعمر بن الخطاب من عدم اسكان اليهود فى أورشليم حينمـا سلموه المدينة استمرارا على ما كان من خطر ذلك عليهم فأجابهـم الخليفة الى طلبهم وسجله في عهد الامان الذى كتبه لهم على ما ذكرته كتب التاريخ الاسلامى القديمة (١) •

- ٣ -

وما ذكره المؤرخون(٢) أنه كان فى تدمر جالية كبيرة من اليهود نزحت اليها بعد تدمير أورشليم فى أواخر القرن الميلادى الاول • ولقد لقيت هذه الجالية فى تدمر حرية وترحيبا وأثرت ثراء طائلا من جراء ابتسام الحظ لتدمر وغدوها مركز نشاط اقتصادي كبير

(١) تاريخ كلدة واشار ج ٢ ص ٣١٠ •
(٢) تاريـخ الطبرى ج ٣ ص ١٠٥ مثلا •

بعد سقوط دولة الانباط فى القرن الثانى . ومع ذلك فقد سجلت كتب التاريخ أن اليهود كانوا يجحدون فضل ملوك تدمر وخاصة نجمهم اللامع الزباء ويتمنون هلاكها ، وأن كثيرا منهم كانوا يحاربونها مع الفرس تارة ومن الرومان أخرى .

ولقد جلا جماعات كبيرة من بنى اسرائيل الى الحجاز فى نفس الظروف . واستقر فريق كبير منهم فى يثرب ـ المدينة المنورة ـ وفريق آخر فى القرى الواقعة فى طريق يثرب الشام مثل خيبر ووادى القرى وفدك وتيماء . واشتغلوا بالزراعة والتجارة والصناعة والربا وأثروا ونموا . وقد تعلموا العربية واشتركوا فى حياة العرب وتقاليدهم وصار لهم فيهم أنصار وحلفاء . وكانوا ينشرون عن أنفسهم علما واسعا فى الاديان والشرائع وأخبار الامم وسنن الكون والدين السماوى الذى يدينون به والكتب المقدسة التى بين أيديهم وكانوا يزهون بذلك على العرب ويستفتحون ويفخرون . وقد أثر كل هذا بالعرب تأثيرا غير يسير فكان لهم بسببه بينهم مكانة دينية واجتماعية وعلمية واقتصادية ممتازة وصاروا مرجعا فى مشاكلهم ومسائلهم ومعارفهم . ولقد روى الرواة العرب خبر غزو أبى جبلة ملك غسان أو تبع الاصغر ملك حمير ليثرب وتنكيله باليهود تنكيلا شديدا ذلوا من بعده . وذلك فى سياق خبر عجيب مفاده أنه كان فى يثرب ملك يهودى اسمه الفيطون وكان عاتيا فظا استن سنة

افتضاض عرائس الاوس والخزرج قبلَ عرسانهن فوثب عليه رجل من الاوس أو الخزرج اسمه مالك بن العجلان فقتله وفر الى ملك غسان في رواية وملك حمير في رواية مستنجدا محرضا فجاء الملك المستنجد به ونكل باليهود • والخبر عجيب منكر وقد وصفه بعض الباحثين بالخرافى(١) • ونحن نميل الى ذلك ولكنا لا نرى ما يمنع أن يكون بعض زعماء الاوس أو الخزرج قد ذهب الى أحد ملكى العرب فحرضه على اليهود لمناسبة من المناسبات • ولعلهم بطروا بعد أن نموا وأثروا وقووا • ولقد روت الروايات أن الملك عين مالك ابن عجلان نفسه حاكما أو ملكا على يثرب وأنه بدوره قتل عددا كبيرا من رؤساء اليهود وأشرافهم • وبرغم ذلك فان اليهود ظلوا محتفظين على ما يظهر بمركزهم الاقتصادى والاجتماعى والادبى فى يثرب استغلالا لما كان يقع بين الاوس والخزرج من نزاع وما كانوا عليه من ثروة وبراعة صناعية وتجارية وما كان فى أيديهم من سلاح وما كان لهم من حصون وآطام وما كانوا عليه من ثقافة دينية ومدنية لان القرآن ذكر بأسلوبه ما كانوا عليه من مركز فى كل ذلك حينما بعث النبى عليه السلام •

ولقد ذكرت الروايات العربية وأيدتها المدونات اليونانية والرومانية والحبشية القديمة أن ملكا من ملوك حمير اسمه تبان

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب لاسرائيل ولنفسون ص ٥١ وما بعدها .

أسعد أبو كرب مر فى احدى غزاوته بيثرب فجاءه حبران من أحبار اليهود فأعجب بهما واتبع دينهما ، وأخذهما معه الى اليمن ودعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأجابوه • وهكذا انتشرت اليهودية فى اليمن ، ويخمن أن ذلك كان فى القرن الخامس بعد الميلاد • ولقد كان المبشرون النصارى قد طرقوا اليمن أيضا عن طريق الحبشـــة بعد أن انتشرت النصرانية فيها بتأييد وتشجيع الامبراطور الرومانى قسطنطين الكبير فاستطاعوا هم الآخرون أن ينشروهـــا فى ربوع اليمن • ويخمن أن ذلك كان فى القرن الرابع • فلمـــا انتشرت اليهودية وغدت دين ملوك حمير أخذ رجا ل الديانتين يتنافسون ويتكايدون نتيجة للعداء الذى كان مشتدا بين اليهود والنصـارى فى مختلف أنحاء بلاد الشام ومصر وقد كسب اليهود الجولة الاولى على النصارى فى أوائل القرن السادس فى عهد الملك الحميرى ذى نواس حيث اشتد اضطهادهم على يد هذا الملك حتى روى أنه أمر بحفر أخدود طويل وتأجيج النيران فيه والقاء الذين يصرون على نصرانيتهم ولا يعتنقون اليهودية • ولقد أشارت الى هذا الاضطهاد رسالة وجهها مارشمعون أسقف بيت أرشام الى رئيس دير جبلة وأورد نصـــها يوحنا الافسسى فى تاريخه الكنسى حيث وصفت ما سمعه من شهود عيان من أهل اليمن من تعذيب نصارى نجران سنة ٥٢٤ ب م وحيث قال ان ملك حمير وجه الى ملك الحيرة رسولا يحرضه عـــلى أن يفعل فى نصارى بلاده ما فعله هو فى نصارى نجران •

وقد جر هذا الاضطهاد على اليمن غزو الاحباش الذين اتخذوه ذريعة انتصارا لبني دينهم فى الثلث الاول من القرن السادس قبل الميلاد ومحرضين أو مؤيدين من قبل الروم ، فتمكنوا من نسف الدولة الحميرية وبسط سلطانهم على بلادها نحو سبعين سنة ، وخلال ذلك كال النصارى لليهود بكيلهم حتى أفنوهم أو كادوا ..

- ٤ -

ولما بعث النبى محمد عليه السلام وقفوا من رسالته وهو فى مكة موقف التأييد والتصديق(١) . لانهم رأوه يشيد بهم ويصدق بتوراتهم ويحترم أنبياءهم ويستشهد بهم(٢) ، مؤملين على مايبدو أن يقوى به من مركزهم بين العرب. ولكنهم لم يلبثوا أن بدلوا موقفهم حينما هاجر الى يثرب ورأوا العرب فيها ينصرفون عنهم اليه ويلتفون حوله ، ويغدو قائدهم ومرشدهم وقاضيهم ، ثم رأوا أنه يدعوهم لينضووا اليه خلافا لما أملوه من انضوائه اليهم لكونهم

---

(١) اقرأ مثلا آيات سورة الاحقاف ١٠ والاعراف ١٥٧ والرعد ٣٦ والاسراء ١٥٧ والقصص ٥٢ .

(٢) اقرأ مثلا آيات سورة الانعام ١٠ و١١٤ والرعد ٤٣ .

أصحاب الهدى الاول • وبالتالى حينما رأوا فى حركته ونجاحه خطرا على مركزهم وكيانهم • فأخذوا يناوئونه بمختلف الاساليب من تحد وتعجيز ودس وتحريض وتشكيك وخداع وتآمر مع مرضى القلوب الذين عرفوا بالمنافقين والذين صاروا لهم شياطين وألفوا معهم جبهة واحدة ضده • ولم يبقوا فى حدود الجدل والمراء والدس بل تجاوزوه الى التآمر مع أعداء المسلمين والتهديد بالقوة واستعمالها ، مما جعل النبى ييئس منهم وينكل بهم فريقا بعد فريق فيجلى من رأى جلاءه كافيا ويقتل ويسبى من رأى قتله وسبيه واجبا ويصادر أملاكهم وسلاحهم ، ويخضد بذلك شوكتهم ، وكانت وصيته الاخيرة اخراجهم بالمرة من الحجاز فنفذ الخليفة عمر بن الخطاب الوصية وطهر البلاد المقدسة منهم نهائيا (١) •

ولقد احتوى القرآن الكريم فصولا عديدة أشار فيها الى معظم ما ذكرناه ، ووصفت فيها بالاضافة الى ذلك أخلاقهم مع ربطها بين أخلاقه وأخلاق آبائهم من قبل ربطا محكما ونعتها جميعهم بنعت بنى اسرائيل حيث نعتهم بالكفر والجحود والحجاج واللجاج والانانية وقسوة القلب والزهو والتبجح والترفع عن الغير واعتبارهم أنفسهم فوق الناس وعدم الاندماج الصادق والولاء الثابت مع أحد والتضليل

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من رسالة القرآن واليهود وكتابى عصر النبى وبيئته قبل البعثة وسيرة الرسول للمؤلف ومن تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٢ من ١٧٢ وما بعدها • وج ٤ من ١٧٨ وما بعدها •

والدس والتدليس والتآمر والشره الشديد الى ما فى أيدى الغــير والحسد الشديد لهم ولو تمتعوا أنفسهم بأوفر النعم ومحــاولة الاستيلاء على كل شيء والتأثير في كل أحد واللعب على كل حبـل وفوق كل مسرح واستحلالهم لما فى أيدى الغير وعدم اعتبــارهم أنفسهم مسؤولين عن شيء أمامه وضنهم بأى شيء عن الغير اذا ملكوا وقدروا وعدم مبادلتهم الغير فى ود وبر وولاء ومحبة ، واندماجهم فى كل موقف مهما دنؤ وفجر وكان فيه كفر وفسق وخيانة وغدر وبغى فى سبيل النكاية بمن يناوئونه، ونقضهم لمبادىء دينهم فى سبيل مكايدته وتحطيمه ، وعدم تقيدهم بأى عهد ووعد وميثاق وحــق وعدل وواجب وأمانة • وتشجيعهم لكل حاقد وحاسد وفاســـد ودساس ومتآمر فى سبيل التهديم وشفاء لداء الحسد والحقــد المتأصل فيهم • وجبنهم وهلعهم عند أى شدة وتجاه أى صــعوبة وجحودهم لاى فضل ونعمة من الله أو الغــير وتذمرهم من الله لأتفه المصاعب وكذبهم عليه وتحريفهم أوامره ووصاياه ونقضهـــا والانحراف عنها مما كان ديدنهم وجبلتهم فى مختلف حقبهــم التاريخية ومما نعتتهم به وقررته عليهم أسفارهم وأنبياؤهم مما تقدم عليه الامثلة التى لا تكاد تحصى(١) •

---

(١) اقرأ آيات سورة البقرة ٤٠-١٤١ وسورة آل عمران ٦٥-١٢١ و١٨٠ - ١٨٩ والنساء ٤٤-٥٧ و١٥٠-١٦٢ والمائدة ٤١-٧١ والاعراف ١٦١-١٧١ والانفال ٥٥-٦١ والاحزاب ٢٦-٢٧ ومحمد ٢٦ والحشر ٢-٦ و١١-١٧ والصف ٥ والجمعة ٥-٨

ومن العجيب المعجز أن المرء ليراهم فى أخلاقهم اليوم على اختلاف منازلهم وبيئاتهم صورة طبق الاصل لما وصفهم به القرآن والاسفار قبله من صفات وأخلاق ، لم تزدهم الايام فيها الا رسوخا مما هو مصداق ما قرره القرآن من الجبلة الراسخة المتوارثة من الآباء للابناء ومما لمسها فيهم البشر جميعا فى كل زمان ومكان منذ انهدام كيانهم نهائيا فى أورشليم فى القرن الاول والثانى بعد الميلاد وتشتتهم فى كل قطر فلا تراهم الا والعيون مزورة منهم والسخط ثائر عليهم والنفوس متبرمة بهم والناس مستثقلون ظلهم والحذر رائد الجميع منهم وشرهم ومكرهم بالغ الاثر فيهم والجميع راغب فى التخلص منهم بأى وسيلة • وكفى باجماع البشر على اختلاف الزمان والمكان والاجناس قوة ودليلا على تأصل الجبلة الفاسدة التى يصدرون عنها فى أعمالهم وتصرفاتهم •

— ٥ —

ونختم كلامنا وكتابنا باستطراد مهم الى الحركة اليهودية القومية الحديثة المسماة بالصهيونية • فالصهيونيون يزعمون أن اليهود المعاصرين هم أنسال بنى اسرائيل القدماء ويحاولون أن يربطوا بين حركتهم وتاريخ بنى اسرائيل فى فلسطين ، ثم يغلون غلوا كبيرا

في هذا التاريخ ويملأونه بالمفاخر والامجاد السياسية والعسكرية والعمرانية والثقافية • ويجعلون ذلك مستمدا لحركتهم ومبررا لما يهدفون اليه من اقامة دولة يهودية في فلسطين وما جاورها على اعتبار أنهم أنسال بني اسرائيل وأنهم يعودون الى هذه البقاع التي كانت مواطن آبائهم والتي كان لهم فيها تلك الامجاد والمفاخر •

وكل هذا لا يستند الى أي سند ومنطق وتاريخ صادق • فالمتأمل في الفصول السابقة المستقاة من كتب اليهود القديمة التي لها عندهم القداسة والمتأمل في هذه الكتب نفسها يستبين بوضوح وجزم صحة جميع ما نبهنا عليه في مقدمة الكتاب •

أما دعوى الصهيونيين بصلة اليهود المعاصرين ببني اسرائيل القدماء من حيث الجنس فهي دعوى زائفة علميا وتاريخيا من حيث أساسها • لان معظم الفئة القليلة المستضعفة منهم التي بقيت في فلسطين بعد ضربة الرومان القاصمة في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد واعتنقوا المسيحية واندمجوا في السكان الآخرين ثم اندمجوا في الاسلام والعروبة التي كانت طابع الاسلام • ومعظم الذين تشتتوا في أنحاء سورية ومصر وشمال أفريقية واستطاعوا أن ينجوا من المذابح في عهد الرومان اعتنقوا الاسلام كذلك واندمجوا في الاسلام والعروبة • والذين بقوا على يهوديتهم بين الاقوام الاخرى في آسيا وأفريقية وأوروبا اختلطت دماؤهم بدماء هذه الاقوام •

ولم يعد فى الامكان علميا التسليم بأن الدم االذى يجرى فيهم هو دم اسرائيلى أو دم اسرائيلى فقط • وهذا فضلا عن أنه من الثـابت أن كتلا كبيرة من أصل آرى فى آسيا وأوروبا اتخذت اليهودية دينا • منهم من فعل ذلك قبل الميلاد المسيحى ومنهم من فعله بعـده فى مختلف الحقب(١) بحيث يصح أن يقال ان أكثر اليهـود هم من أنسال هذه الكتل ، وان الدم الاسرائيـلى العربى الذى كان فى الجدود الاولين قد باد أو كاد • وان قصارى ما فى الامر أن الدين اليهودى هو الطابع المخصص للكتل التى تدين بهـذا الدين والتى تمت بدمائها الى مختلف الاجناس شأن الاديان الاخرى التى يجتمع فيها كتل مختلفة الاصول والاجناس ، وان أسفار العهد القديم التى

---

(١) ذكرنا فى مناسبة سابقة اعتناق الشعوب التى أرسلها أسرحدون فلسطين من بلاد العراق للموسوية واعتناق كثير من سكان العراق لليهودية واندمـاج بعض هؤلاء فى بنى اسرائيل • وقدوم بعضهم معهم الى فلسطين حين العودة من بابـل (انظر ما اقتبسناه عن سفر استير وعزرا) ولقد ذكرت الموسوعة اليهودية فى مجلدها السادس خبر اعتناق قبائل الخزر للدين اليهودى وانتشارها بعد ذلك فى الحـاء روسية وهجرتها منها الى اوروبا الوسطى فى مختلف الظروف •

ولا شك فى ان اعتناق اليهودية بعد تشرد اليهود من جماعات آرية ليس قاصرا على الخزر وكل ما فى الامر ان الخزر اكبر الكتل المتهودة • وهم الذين يطلق عليهم اسم طوائف الاستكناز • ولقد ذكر البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان ص ٢٠٨ نص كتاب أمان كتبه القائد العربى حبيب بن مسلمة لاهل وسيل فى بلاد الارمن والخزر حينما استولى عليها جاء فيه انه اعطى الامان لاهل وسيل نصاراها ومجوسهـا ويهودها اى انه كان فى مناطق ارمينية والخزر يهود حين كتابة الكتاب فى عهد عثمان ابن عفان ٢٥-٣٥ هـ •

والمتبادر ان اليهود لم يكونوا فى مدينة واحدة فقط ، وان من المحتمـل ان يكون يهود الخزر اثرا من اثار نشاط اليهود او الاحتكاك بهم منذ الف وثلاثمائة سـنة •

ظل اليهود يتدارسونها مع التلمود ويعتبرونها مرجعهـــم الديني والتشريعي والتاريخي ظلت تؤثر فيهم وتطبعهم بطابع الجبلة الشاذة التي تميز بها بنو اسرائيل .

وليس من شأن هذا وحده ولم يكن من شـــأنه في وقت من الاوقات أن يسبغ على هؤلاء صفة قومية متميزة . ولا سيما انهـــم مختلفو اللغات أيضا مع اختلاف أصولهم وأجناسهم . ومحاولة احياء اللغة العبرانية القديمة التي حفظتها الكتب والاسفار الدينيـة وظلت في نطاقها وحسب هي عملية اصطناعية ومتصـلة بفكرة النزوع الى احياء قومية لها لغة خاصة مما أوحت به حالة اليهود الاجتماعيـــة والسياسية حيث رأى بعض رجالهم في القرن الفائت ألا خلاص لبني ملتهم من تلك الحالة الا بايجاد مكان يجتمعون فيه ويحيـــون كأمة . فتفتقت في ذهنهم فكرة العودة الى فلسطين واحياء اللغـــة العبرانية لتكون لغة العائدين لانهم رأوا في تاريخ اليهود القـــديم ما يمكن أن يكون سندا لفكرتهم وباعثا على اعتناقها من قبل اليهـــود فكانت الحركة الصهيونية التي اقتبس اسمها من أحد تلال مدينـة القدس عاصمة سليمان وداود وملوك دولة يهوذا من ذريتهم ، ومكان هيكلهم البائد ، والتي ترمي الى حشد اليهود في فلسطين واقامـــة دولة وكيان قومي لهم فيها بقوة الدافع الديني والذكريات التاريخية مهما كان في ذلك من بعد عن الحقائق ومناقضة للعلم والتـــاريخ

والمنطق السليم، من حيث ان اليهوداليوم ليسوا جماعة قومية تتكلم لغة واحدة وتمت الى بنى اسرائيل القدماء بأسباب صحيحة، وانهم ليسوا الا جماعات تدين باليهودية وتضم مختلف الاجناس والالوان واللغات ، ومن حيث انفقاد أى صلة بين اليهود اليوم وبين فلسطين من الوجهة القومية ، ومرور ألفى عام على خروج بنى اسرائيل منها واشغالها سكانا وسلطانا من قبل العرب الصرحاء منذ ألف وثلاثمائة سنة ، ومن قبل انسال السكان القدماء والرومان واليونان قبل ذلك بسبعمائة سنة .

وبقاء اليهود فى كل مكان وجدوا فيه كتلامنطوية على نفسها فى مساكنها ومعايشها وأخلاقها وعاداتها معرضة للاحقاد والاضطهاد والاحتقار وخاصة في القرن السابق وما قبله ليس من شأنه أن يعضد صحة القومية المتميزة التى يريد الصهيونيون نسبة أنفسهم اليها ، وانما هو متصل بوجودهم بين الكثرة الدينية الاخرى التى يقوم العداء الدينى والاجتماعي والاقتصادى بينها وبينهم ونتيجة من نتائجه ومظهرا من مظاهر حياة الاقلية الدينية والمذهبية وسط الكثرة الدينية والمذهبية الاخرى وما تفرضه هذه الحياة وامتدادها فى القرون الوسطى ..

وحتى لو صحت نسبة بعضهم الى بنى اسرائيل العبرانيين القدماء الذين هم من الارومات العربية غير الصريحة فليس هذا

مخولا لهم أى حق ولا مبررا لهم أى دعوى . فقد شــذوا عن العروبة ، وغدوا وصمة عار فى جبينها بل فى جبين الانسانية بمــا سجلوه فى أسفارهم ، وبما طبقوه فعلا حينما طــرأوا على شرق الاردن وفلسطين قبل ثلاثة آلاف عام من خطط رهيبة مدمــرة ينكرها أى معنى من معانى العدل والمنطق والانسانية والخلــق والشرف وبما سجلوه لانفسهم فى تلك الاســـفار وطبقوه من مميزات لا تتفق مع ربوبية الله عز وجل لجميع العالمين ولا مــع حكمته وعدله . وبما اقترفوه من انحرافات خطيرة دينية وخلقية فاقوا بها جميع الامم ثم بما كان منهم فى فلسطين فى أيامنا هــذه فى حق العرب من أفعال غاية فى الظلم والقسوة والبربرية متسقة مع ما كان منهم قبل ثلاثة آلاف عام فى حق العرب غير الصرحاء فى شرق الاردن وفلسطين فربطوا حاضر اخلاقهـــم وسيرتهم بغابرها ربطا محكما .

على أن الهدف الصهيونى لم يتحقق فى معنـــاه ومداه القومى والدينى والتاريخى برغم ما بذله الصهيونيون منذ ثمانين سنة الى اليوم من جهود جبارة ودعاية قوية عجيبـــة وحبكوه من مؤامرات واسعة وتوسلوا اليه من وسائل متنوعة ، وحتى برغم ما وصلوا اليه من نتائج ايجابية قد تبدو عظيمة وهى التى تتمثل فى حشد عدد كبير من اليهود فى القسم الذى ساعدهم طواغيت الاســـتعمار الانكليزى

والاميركى على اغتصابه من فلسطين ، وفيما أنشأوه من منشآت ومشاريع زراعية وصناعية وتجارية وثقافية وعمرانية ، بفضل ما حصلوا من مساعدات هائلة ، وفيما حصلوا عليه كذلك من اعترافات دولية بكيانهم ووجودهم .

فاليهود الذين حشدوا الى الآن فى فلسطين لا يمثلون أكثر من ١٢ فى المائة من مجموع يهود العالم . وتسعون فى المائة من المحشودين لم يأتوا بدافع صهيونى أى بدافع قومى ودينى وتاريخى وطبية خاطر وانما أتوا بدافع الفقر والبطالة والخوف من الاضطهاد والاغراء بالحياة الآمنة الرضية . ولم يأتى من اليهود الذين هم فى حالة مدية حسنة وطمأنينة وأمن ممن يعيشون فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية الا يقل جدا برغم ما يبذل من جهد ودعايات واغراءات وخداع وما يرسل من آن لآخر من هتافات مريرة . لان ذلك الهدف غير متسق مع طبائع الاشياء وبراهين التاريخ والوقائع فى شىء .

وكل الدلائل تدل على أن الحركة الصهيونية الآن فى حالة جمود أو تراجع من ناحية هدفها القومى والدينى والتاريخى والتأثر به . لانه هدف لا يسنده شىء من الحق والمنطق وحقائق التاريخ والاجتماع بل ويتناقض مع كل ذلك . واذا كانت هذه الحركة

مستمرة مع ذلك على عملها ودعاياتها واغراءاتها فان مرد ذلك الى كونها قد غدت منظمة موظفين تضم عشرات الالوف الذين يرتزقون منها في فلسطين وسائر أنحاء العالم وتحملهم حاجتهم الى الارتزاق منها - ومنهم من يحصل على رزق عظيم يشبه رزق الملوك - على الاستمرار على حركتهم لانها تقوم فيما تقوم عليه على جباية الاعانات والمساعدات التي صارت أرقامها بعد قيام دولتهم لمسح مئات الملايين ، ثم الى الدول الاستعمارية التي رأت وما تزال ترى في هذه الحركة وسيلة الى تحقيق مآربها في الشرق العربي فتغدق عليها المساعدات وتؤيدها بمختلف الوسائل والمواقف . بل ان المأرب الاستعماري يأتي لعامل الاقوى في استمرار الحركة لانه هو الذي يسمح للمنظمة الصهيونية بالقيام بنشاطها العظيم المختلف الاشكال والحصول على نتائج عجيبة منه قد يكون من جملتها تأثير رجال المنظمة الشديد بالرشوة والاغراء على مختلف وسائل وأجهزة الدولة ورجالها البارزين واخفات الاصوات المناوئة ونشاط الشخصيات والهيئات المعادية اليهودية وغير اليهودية بالترغيب والترهيب .

ولا ريب في أن طبيعة اليهودي الماكرة المحتالة الشرهة الدساسة الحاقدة المبيتة لكل شر ورغبة تدمير وتحطيم ضد غير اليهود والتي تكونت في اليهود خلال الاجيال الطويلة ونتيجة للحياة التي

عاشوها والتلقينات التى تلقوها من أسفارهم وتلمودهم من جملــة ما ينبغى أن يذكر من الاسباب أيضا .

وقد تنجح هذه الحركة فى ظل الدولة المسخ التى أقامتها فى فلسطين وفى ظل طواغيت الاستعمار الذين كان لهم الفضل الاقوى فى قيامها وحياتها فى تنشئة جيل يهودى مؤمن بالقومية اليهـــودية والامجاد اليهودية والصلات بين يهود اليوم ويهود الدهر الغابر دما وتاريخا على ما فى ذلك من زيف خداع ، ثم فى احياء اللغة العبرانية القديمة وجعلها لغة قومية عامة فى فلسطين . غير أن هذا لن يزيل الجمود الذى ألم بها .

ومن شأن ضيق رقعة الدولة اليهودية المصطنعة وضعف امكانياتها الذاتية ، وتوقف حياتها كلية على المساعدات والصدقات الخارجية ، واحداق العرب الذين يعدون تسعين مليونا والذين يقوون يوما بعد يوم اقتصاديا وعسكريا وثقافيا ووعيا أشد احداق، وحصارهم لها أقوى حصار ، وشعورهم بخطرها على كيانهم وبلادهم أعمق شعور ، ومشاركة المسلمين لهم وهم يعدون اربعمائة مليون فى كل ذلك أن يساعد على استمرار ذلك الجمود ثم على خنق الدولة المسخ وانهيارها أو سحقها عاجلا أو آجلا .

ومن الجدير بالذكر أن في أوروبا وأمريكا كثيرا من اليهـــود

لا ينضوون الى الحركة الصهيونية لانهم يرونها غير صحيحة الاساس ولا منطقية الاهداف ، ويرونها فضلا عن ذلك ضارة بمصلحة اليهود فى الدول الاخرى وهم أكثرية اليهود الساحقة أشد ضرر ومنهم من يناوئها • ومن شأن هذا أن يساعد على استمرار ذلك الجمود •

وتمنى الحركة الصهيونية نفسها بمصالحة العرب وترى ذلك منفذها ومنقذها الاوحد• ولكن العرب الذين يرون ذلك من ناحيتهم مصدر الخطر الاعظم على كيانهم وجميع بلادهم عاجلا وآجلا فضلا عما يشعرون به من شديد الحقد والجرح القومى الشديد والعار الذى لحق بهم من نجاح قيام دولة المسخ لاسباب متنوعة داخلية وخارجية يعتبرون ذلك خيانة عظمى ، ولن يجرؤ أحد منهم أن ينبس به فضلا عن عجزه على السير فيه وتحقيقه •

ولقد تغيرت والحمد لله حال العرب بعد وحدة سورية ومصر المباركة ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وغدوها أعظم وأقوى دولة فى الشرق الاوسط ، ومناط آمل العرب وعدتهم فى استرداد وطنهم السليب بقيادة البطل العربى الملهم جمال عبد الناصر •

ومهما ظل طواغيت الاستعمار وحماة هذه الجرثومة الخبيثة البغاة يمدونها بأسباب البقاء من المساعدات المادية والتأييدات السياسية فلن يدوم هذا الى الابد وسيأتى يوم لا بد لهم فيه من الاختيارين

العرب واليهود وستملى مصلحتهم فى النهاية اختيار العرب مهما ماروا وكابروا . ولئن اعتزوا بقوتهم فالله أقوى منهـم وقد دمر وأرغم من هم أعظم وأشد . وان لنا فى قول الله عز وجل فى موقف مماثل أعظم الامل والايمان :

« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب(١) من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهـم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهـم وأيدى المؤمنـين فاعتبـروا يا أولى الأبصار » .

« سورة الحشر »

تـم

---

(١) يعنى اليهود لانها نزلت فى ظروف التنكيل بهم واجلائهم .

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

مجموعة

إخترنا لك

تصدر

نصف شهرية باللغات العالمية

يشترك فى تحريرها وإعدادها

لجنة "إخترنا لك"

المراسلات : الدار القومية للطباعة والنشر

٣٠ شارع منصور - ص٠ب ٢٣٩٨

Bibliotheca Alexandrina
0690220

ص
١٠